مخطوطات البحر الميت
بعد خمسين عامًا على اكتشافها

تأليف
أيلين شولر

تعريب
إخلاص القنانوة

مخطوطات البحر الميت

بعد خمسين عامًا على اكتشافها

تأليف

آيلين م. شولر

تعريب

إخلاص خالد القنانوة



المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت

جامعة اليرموك

الأردن

2010

The Dead Scrolls

What Have We Learned 50 Years On?

Eileen M. Schuller

SCM Press, 2006

مخطوطات البحر الميت بعد خمسين عامًا على اكتشافها

تأليف

آيلين م. شولر

تعريب

إخلاص خالد القنانوة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: 2010/8/3074

ر د م ك 978-9957-474-06-5

2010



مطابع الدستور - عمّان

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر ضرورة عن وجهة نظر

المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت

جامعة اليرموك

المحتويات

مقدمة النسخة المعربة

يقدم المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت إلى القارئ العربي إصداره الثالث المتمثل بالنسخة المعربة من كتاب آيلين شولر "مخطوطات البحر الميت بعد خمسين عامًا على اكتشافها" الذي يمتاز باشتماله على استعراض لتاريخ المخطوطات في العقود الخمسة منذ اكتشافها وحتى مطلع القرن الحالي، وبتضمنه لفصول تتعلق بمساهمة مخطوطات البحر الميت بفهم نص العهد القديم، والصلوات، ومنزلة المرأة في مجتمع قمران. وقد وفقت المؤلفة، وهي واحدة من أهم المشتغلين بمخطوطات البحر الميت اليوم، في عرض هذه الموضوعات المتعمقة بلغة سهلة، قربت هذه الموضوعات إلى فهم القارئ غير المختص.

وأود أن أتوجه باسم المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت بالشكر الجزيل إلى لجنة مخطوطات البحر الميت برئاسة الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت لما يحوزه المشروع من لدنها من رعاية دائمة، لولاها لما تسنى له أن ينجز ما ينجز. كما أود أن أشكر أولئك الذين ساهموا في إنتاج هذا الكتاب، خاصًا بالشكر الدكتورة إخلاص القنانوة التي قامت على نقله إلى العربية في دقة بالغة، كما أشكر الباحثة المشاركة في المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت، السيدة عفاف زيادة، لمراجعتها الترجمة، وأشكر طلبة الدراسات العليا بكلية الآثار والأنثروبولوجيا بجامعة اليرموك، رؤوف الشريفين، وسلام الواكد، وشيماء خريس الذين ساهموا في إعداد فهارسه، كما أشكر العاملين في مطابع الدستور على إصدار هذا الكتاب في أحسن صورة.

مدير المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت

عمر الغول

تقديم وشكر

يشتمل هذا الكتاب على محاضرات جون ألبرت هول التي كنت ألقيتها في جامعة فكتوريا في أكتوبر (تشرين الأول) من عام 2002 بعنوان: "ماذا تعلمنا من مخطوطات البحر الميت؟". ولدى مراجعة المحاضرات الأربع بغية إصدار هذا الكتاب، توسعت في المحاضرة الأولى؛ أي الفصل الأول، فصارت تشمل معلومات وردت أصلاً في خطاب رئاستي للجمعية الكندية للدراسات التوراتية في يونيو (حزيران) في عام 1995. أما الصفحات الأخيرة؛ فهي إضافة موجزة إلى المحاضرات تتضمن تطلعات لمجالات البحث في مخطوطات البحر الميت، وتطرح أسئلة حول آفاقه المستقبلية. وحافظت في النص المكتوب على بعض ما اتسمت به المحاضرات الشفوية من طابع شخصي.

وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأشكر كل من شارك في تيسير أمر هذه المحاضرات، وهم كثر؛ فأقدم امتناني بادئ الأمر إلى الدكتور هارولد كورد Harold Coward، وإلى لجنة محاضرات جون ألبرت هول الذين شرفوني بدعوتهم إياي إلى إلقائها، فجازفوا يوم رأوا أنه من الممكن الحديث بأسلوب أكاديمي غير مختص إلى جمهور عام متنوع في موضوع قد يُعَد مثيرًا ومختصًا جدًا. وعندما تلقيت الدعوة في خريف عام 2000 كنت قد أصبحت لتوي رئيسة لقسم الدراسات الدينية في جامعة ماكماستر، وكان علي أن أتدبر متطلبات تلك الوظيفة إلى جانب التدريس. إلا أن المرونة التي تحلى بها منظمو هذه المحاضرات هي التي مكنتني من قبول دعوتهم؛ إذ وافقوا أن آتيهم إلى جامعة فكتوريا في رحلتين منفصلتين على مدى أسبوعين. كما أعبر عن امتناني إلى الدكتور كونراد برونك Conrad Brunck، مدير مركز دراسات الدين

والمجتمع، ولكوني كارتر Connie Carter إدارية المركز، لمساعدتهما لي في ترتيب التفاصيل العملية كافة. وأعبر عن امتناني لكل العاملين في المركز للضيافة اللطيفة والكريمة التي لقيتها منهم خلال مكوثي في جامعة فكتوريا.

ويدخل في مسؤوليات المحاضر في محاضرات جون ألبرت هول عقد "حلقة دراسية كنَسية"، لأسقفية كولومبيا البريطانية، وللمهتمين من الضيوف، إلا أن وقائع تلك الحلقة لم تنشر هنا. وأود أن أعبر عن شكر خاص لكل من حضر في اليوم الذي درسنا فيه وثيقتين جديدتين عن العلاقات اليهودية المسيحية، وهما وثيقة "دَبّرو إيميت"، وتعني "قولوا الحقيقة"[*1]، ووثيقة جماعة "واجب مقدس"[*2]. وقد كنا استكشفنا دلالتيهما للكهنوتية الرعوية، لا سيما في أيام الآحاد الأربعة التي تسبق الاحتفال بميلاد المسيح. وما تزال ذكريات ذاك النقاش العميق والقوي من أكثر اللحظات التي قضيتها في جامعة فكتوريا إشراقًا.

وتستند هذه السلسلة من المحاضرات إلى محاضرات عن مخطوطات البحر الميت ألقيتها على جمهور من الأكاديميين وغير الأكاديميين، على مدى عشرين السنة الماضية. فقد كانت إحدى المنافع غير المنتظرة من عملي على المخطوطات، أن بت أدعى لمشاركة نتائج أبحاثي مع مجموعات مختلفة من الناس، ابتداءً ممن

[*1] هي وثيقة عن العلاقة بين الديانتين المسيحية واليهودية، وقعها أكثر من مائتين وعشرين حبرًا ومثقفًا من جميع فروع اليهودية، وهي لا تمثل أي تنظيم أو تيار من اليهودية. وكانت نشرت لأول مرة في سبتمبر (أيلول) من عام 2000 في صحيفة نيويورك تايمز، ومنذ ذلك الحين استخدمت في برامج التعليم اليهودي في جميع أنحاء الولايات المتحدة. في حين تؤكد هذه الوثيقة وجود اختلافات لاهوتية بين هاتين الديانتين، إلا أنها تظهر الأرضية المشتركة والشرعية للمسيحية من منظور يهودي. وهي ليست وثيقة رسمية ملزمة لأي من الطوائف اليهودية (المعربة).

[*2] وثيقة صدرت في سبتمبر (أيلول) من عام 2002 تتعلق بإعادة النظر في العلاقة ما بين الديانة المسيحية من جهة والديانة اليهودية واليهود من جهة أخرى، وكان من أهم بنودها تبرئة اليهود من دم المسيح (المعربة).

له اهتمام خاص بالمخطوطات، إلى من لا يود سوى استطلاع سبب الضجة التي تثيرها المخطوطات في أجهزة الإعلام. وأنا أتردد في ذكر مجموعات بعينها من بينهم، لكثرتهم، فهم أكثر من أن أحصيهم، ومع ذلك أؤكد ما لتلك المحاضرات من أثر في تشكل أفكاري حول المخطوطات وأهميتها. وعلى أية حال، لا بد من أن أنوه بالفرصة التي أتيحت لي لإلقاء محاضرات في جامعة هيورون، بمدينة لندن بأونتاريو، ضمن سلسلة محاضرات روبنسون ت. أور Robinson T. Orr Lectures، وبتقديمي لخطاب الاجتماع الذي عقد في جامعة كونكورديا في إدمونتون، حيث عرضت مادة الفصل الثالث من هذا الكتاب أول مرة. ونقّحتُ منذ تقديمي لمحاضرات جامعة فكتوريا بعضًا من المادة في ضوء محاضرات ألقيتها لمجموعة إفطار صباح الأحد في كنيس أنشهِ شالوم في هاملتون، وفي المكتبة العامة بمدينة لندن بأونتاريو، وفي قسم الدراسات الكلاسيكية في جامعة كونكورديا بمونتريال، وفي محاضرة ضمن سلسلة محاضرات راتيسبون Ratisbonne Lecture Series في ساسكاتون، وسلسلة محاضرات متحف الحضارات في أُتاوا، بالتزامن مع إقامة معرض "الكنوز القديمة ومخطوطات البحر الميت"، مطلع عام 2004.

وأنا ممتنة لوين باكستر Wayne Baxter، وهو أحد طلبة الدراسات العليا في قسم الدراسات الدينية في جامعة ماكماستر، لمساعدتي في إعداد مخطوط الكتاب. وأهدي هذه المحاضرات إلى ذكرى والدي، نوربرت شولر Norbert Schuller، الذي عانى من سكتة دماغية وقت تقديم هذه المحاضرات، ومات في الخامس من يونيو (حزيران) من عام 2003. عاش أبي نجارًا وعامل بناء طيلة حياته، فكان عالَمه مختلفًا تمامًا عن عالَم الكتّاب، سواء أكتّابًا قدامى من قمران كانوا، أم أساتذة جامعات معاصرين. وكما أدرك الكاتب بن سيراخ قبل أكثر من ألفي عام، وهو شيخ الكتّاب كلهم، فإن الحرفيين والعمال، كأبي، الذين "يتكلون على أياديهم ويمهرون في صنعتهم"، هم الذين "يُبقون

نسيج عالمنا متماسكًا" (الآيات الحادية والثلاثون إلى الرابعة والثلاثين من الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر بن سيراخ).

آيلين شولر

هاملتون، أونتاريو

أبريل (نيسان) 2005

قائمة المختصرات

BAR	*Biblical Archaeology Review* (المجلة النقدية للآثار التوراتية)
BASOR	*Bulletin of the American Schools of Oriental Research* (نشرة المدارس الأميركية للدراسات الشرقية)
CBQ	*Catholic Biblical Quarterly* (الدورية الكاثوليكية التوراتية الفصلية)
DJD	*Discoveries in the Judaean Desert* (مكتشفات في صحراء اليهودية*)
DJDJ	*Discoveries in the Judaean Desert of Jordan* (مكتشفات في صحراء اليهودية التابعة للأردن)
DSD	*Dead Sea Discoveries* (مكتشفات البحر الميت)
ET	*Expository Times* (مجلة التايمز التوضيحية: مجلة مختصة في الدراسات التوراتية وعلم اللاهوت والكهنوتية)
JJS	*Journal of Jewish Studies* (مجلة الدراسات اليهودية)

* يقصد بها اليوم جنوب الضفة الغربية (المعربة).

JSJ *Journal of the Study of Judaism*

(مجلة دراسة الديانة اليهودية)

PAPS *Proceedings of the American Philosophical Society*

(وقائع جلسات الجمعية الفلسفية الأميركية)

RB *Revue Biblique*

(المجلة التوراتية النقدية)

RQ *Revue de Qumrân*

(مجلة قمران النقدية)

ثمة تقليد متبع في ترقيم مخطوطات البحر الميت واختصار أسمائها؛ فالرقم الأول يشير إلى الكهف حيث اكتشفت مخطوطة ما، أما حرف Q فيشير إلى كلمة قمران مكتوبة بالإنجليزية Qumran، والرقم الذي يلي هو الرقم الذي خصص لمخطوطة ما، ومثال ذلك 4Q502. ويلي ذلك رقم العمود (أو رقم الجذاذة)، ثم رقم السطر. وعلى هذا فإن 1 12 4Q504 تعني السطر الأول من العمود الثاني عشر من المخطوطة رقم 504 المكتشفة في الكهف الرابع في قمران.

ويشار إلى مخطوطات رئيسة محددة باستخدام الحرف الأول من اسمها (الاسم العبري غالبًا) عوضًا عن الرقم، وحرف علوي إشارة إلى نسخة معينة من مخطوطة ما (فمثلاً؛ يشير 1QS إلى "قانون الجماعة" المكتشف في الكهف الأول، أما $4QS^b$؛ فيشير إلى النسخة (ب) من "قانون الجماعة" المكتشف في الكهف الرابع).

وتستخدم من حين لآخر أسماء مختلفة للمخطوطة نفسها، ومن الأمثلة على ذلك "قانون الجماعة" الذي سمي في السنوات الأولى بعد اكتشاف المخطوطات "كتاب قواعد ضبط السلوك".

قانون الجماعة (سيْرَخ هيَحاد بالعبرية)	1QS
مخطوطة الحرب (مِلحَمَه بالعبرية)	1QM
مزامير الشكر (هودايوت بالعبرية)	1QH
سفر التكوين الأبوكريفي (المنحول)	1QapGen
وثيقة دمشق	4QD
وثيقة دمشق القاهرية	CD
(نسخة من وثيقة دمشق، اكتشفت عام 1896 للميلاد في جنيزا القاهرة، وهي مستودع للمخطوطات الدينية اليهودية القديمة)	
مخطوطة الهيكل	11QT
المزامير الأبوكريفية (المنحولة)	11QapocrPs

المقدمة

نبدأ حديثنا بطرح السؤال الآتي: "ماذا تعلمنا من مخطوطات البحر الميت بعد مضي خمسين عامًا ونيف على اكتشافها؟" وهذا السؤال يتعلق بالتوجه الخاص لهذه المحاضرات (الكتاب في الوقت الحاضر)؛ فأنا لا أعرض لاكتشافات جديدة، بل لاكتشاف سمع كل واحد منا به قبل أكثر من خمسين عامًا. كما أنني لن استعرض مخطوطات البحر الميت بشكل كامل وشامل، بما في ذلك محتوياتها، وأصولها، وتاريخها؛ إذ توجد الآن مراجع تعريفية مميزة تضطلع بهذه المهمة[1]، ويمكن للقارئ الرجوع إليها للحصول على تلك المعلومات. ثم إنه ليس ثمة بديل عن قراءة المخطوطات نفسها، والتي باتت ترجماتها[2] إلى الإنجليزية جيدة ووافرة.

---

[1] تشمل الكتب التعريفية المسهبة والحديثة عن مخطوطات البحر الميت ما يأتي:

- James C. Vanderkam and Peter Flint, *The Meaning of the Dead Sea Scrolls.*
- James C. Vanderkam, *The Dead Sea Scrolls Today.*
- Lawrence H. Schiffman, *Reclaiming the Dead Sea Scrolls.*
- Geza Vermes, *An Introduction to the Complete Dead Sea Scrolls.*
- Frank Moore Cross, *The Ancient Library of Qumran.*

[2] أقترح على القارئ أن يبدأ بكتاب جيزا فيرمش Geza Vermes، لما يحويه من نصوص، ولتكلفته المعقولة، ولاحتوائه على مقدمة كاملة، وهي الترجمة التي ستستخدم في هذا العمل، إلا حيث ذكر غير ذلك. ومن الترجمات الإنجليزية الأخرى:

- Michael Wise, Martin G. Abegg and Edward Cook, *The Dead Sea Scrolls: A New Translation.*
- Florentino García Martínez and Eibert Tigchelaar, *The Dead Sea Scrolls: Study Edition.*

أما هدفي من هذا الكتاب فأكثر تحديدًا، إذ سأصطحب القارئ في الفصل الأول في جولة عبر السنوات الخمسين الماضية، عقدًا بعد عقد، متناولة الأحداث والإنجازات الرئيسة المتعلقة بدراسة المخطوطات. وسيتناول كل فصل من الفصول الثلاثة المحورية في الكتاب مجالاً علميًا محددًا، أثرت المخطوطات تأثيرًا كبيرًا في فهمنا للمسائل الأساسية المطروحة فيه والمتعلقة بتطور الديانتين اليهودية والمسيحية المبكرتين. وسننظر في كل فصل في نصوص من المخطوطات ذاتها كي نألَف تلك النصوص، دون أن أسعى إلى الإحاطة بكل النصوص ذات العلاقة التي وصلتنا من قمران. وسيبحث الفصل الثاني فيما تعلمناه عن العهد القديم من خلال المخطوطات، وكيف صيغت الكتابات التوراتية وتناقلها الناس. وسيخصص الفصل الثالث لدراسة بعض الصلوات والتراتيم والطقوس الدينية الواردة في المخطوطات، بغرض تبين أهميتها في فهمنا لتطور العبادتين اليهودية والمسيحية. وسيبين الفصل الرابع، من خلال الاستعانة بالنصوص وبالمادة الآثارية، أن المخطوطات تشتمل على معلومات جديرة بالاهتمام عن النساء، خلافًا لبعض الادعاءات المبكرة القائلة إن الجماعة التي عاشت في قمران هي جماعة من الذكور المتبتلين، بل حتى من الكارهين للنساء. وأخيرًا، سأضع في فصل ختامي ملاحظات موجزة عن التوجهات المستقبلية للبحث في مخطوطات البحر الميت.

لقد مضى حتى الآن خمسون عامًا ونيف منذ أن انتشرت في القدس الإشاعات الأولى عن اكتشاف عرضي ومفاجئ لكنز من مخطوطات قديمة في كهوف صحراوية. وكان ذلك في شهور اتسمت بالفوضى، تزامنت مع قرب انتهاء الانتداب البريطاني في ربيع عام 1947[3]. وفي ثقافتنا؛ ثمة ما يميز تجربة "بلوغ سن

---

[3] ما يزال التاريخ الفعلي للاكتشاف موضع خلاف؛ إذ اختلفت الروايات بين شهري نوفمبر- ديسمبر (تشرين الثاني- كانون الأول) من عام 1946، وفبراير (شباط) من عام 1947. ولم يكن البدو يحتفظون بسجلات تبعًا للتقويم الذي نستخدمه، إلا أن عرب التعامرة اعتادوا الإقامة في

الخمسين" (إذ يكفي النظر في مراكز بيع الكتب إلى كتيبات المساعدة الذاتية المتعلقة ببلوغ سن الخمسين، أو بطاقات التهنئة من هولمارك Hallmark، ليدرك المرء أنه أمام ما يشبه صناعة ازدهرت حول مفهوم "بلوغ سن الخمسين")، ولم ينج عالَم مخطوطات البحر الميت من هذه الظاهرة؛ إذ عقدت في عام 1997 المؤتمرات الأكاديمية في مختلف أنحاء العالم - في إنجلترا وألمانيا - وفي اللقاء السنوي لجمعية الأدب التوراتي في سان فرانسيسكو. إلا أن أعمقها دلالة كان المؤتمر الذي عقد في القدس، وفي موقع قمران نفسه[4]. وقد احتفلت تلك المؤتمرات جميعها بالذكرى الخمسين ليوم شتائي من عام 1946-1947، عندما رمى صبي راعٍ حجرًا في كهف، فارتطم بجرة، فلم يكتشف كنزًا من ذهب دفين كما كان يأمل، بل كنز من نوع آخر.

وقد شكل خريف عام 2002 (وهو التاريخ الذي ألقيت فيه هذه المحاضرات) ذكرى نصف قرن أخرى؛ ففي منتصف سبتمبر (أيلول) من عام 1952 اكتشف البدو الكهف المعروف الآن بالكهف الرابع، وهو في الحقيقة كهفان من صنع الإنسان، حفرا في واجهة جيرية مقابلة لخربة قمران. وبحلول أواخر خريف عام 1952، كانت آلاف الجذاذات الصغيرة المكتشفة هناك تعرض للبيع في أسواق القدس القديمة، وفي متحف الآثار الفلسطيني في القدس الشرقية. وللمرة

هذه المنطقة مع ماشيتهم في هذه الأشهر بالذات. كما أن محمد الذيب يذكر في التقارير الشفوية الأولى أنه كان يرتدي فروة من الصوف، وهو أمر متوقع في برد الشتاء.

[4] لقد نشرت أوراق العمل لمعظم هذه المؤتمرات، ومع أنها في الغالب أوراق عمل مختصة وأكاديمية، إلا أنها تزودنا بنظرة عامة عن الوضع الحالي لدراسة المخطوطات. ومن الكتب المنشورة لاثنين من المؤتمرات الكتابان الآتيان: Robert A. Kugler and Eileen Schuller, *The Dead Sea Scrolls at Fifty*، وهي أوراق عمل الجلسة الخاصة لقسم قمران، من جمعية الأدب التوراتي، في الذكرى الخمسين للاكتشاف. أما الكتاب الثاني فهو: Emanuel Tov and James C. Vanderkam, *The Dead Sea Scrolls Fifty Years After Their Discovery 1947-1997*، وهي ست وتسعون ورقة عمل من مؤتمر القدس.

الأولى، بدأ الباحثون يدركون حجم المادة المكتشفة (بقايا خمسمائة وخمسين مخطوطة من الكهف الرابع)، وعظم مهمة نشرها، بما ييسر للأجيال القادمة الاطلاع عليها ودراستها. وقبل انقضاء خمسين عامًا بقليل، وفي نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 2001، أقيمت احتفالات في لقاء جمعية الأدب التوراتي في دنفر بولاية كولورادو للإعلان عن الانتهاء من نشر المخطوطات. فثمة الآن سلسلة معتمدة من المنشورات تحمل عنوان "مكتشفات في صحراء اليهودية" *Discoveries in the Judaean Desert*، واختصارها *DJD*، وهي في تسعة وثلاثين مجلدًا* من منشورات جامعة أُكسفورد، تحوي صورًا للمخطوطات، ونقلاً حرفيًا (نقحرة) للكلمات الواردة فيها، وترجمات لنصوصها، ومقدمات تعريفية بالموضوع، وتعليقات نقدية على كل مخطوطة من المخطوطات (بل ثمة مجلد يحوي "الجذاذات غير المحدَّدة الهوية" أيضًا). وببلوغنا هذه المرحلة المهمة، يحسن بنا الرجوع قليلاً إلى الوراء لتقييم ما تعلمناه من تلك المادة الهائلة.

وقد يبدو البحث في مخطوطات البحر الميت مجالاً مختصًا ومحددًا جدًا؛ أي بابًا فرعيًا من أبواب الدراسات التوراتية. ومع أن هذا المجال من البحث لم يكن قائمًا قبل عام 1946، إلا أن الحجم الكلي للكتابة في هذا الموضوع بات هائلاً؛ إذ بلغت الكتب والمقالات البحثية التي نشرت في الفترة من عام 1970 إلى عام 1995 خمسة آلاف وستمائة عنوان، يقابلها ثلاثة آلاف عنوان آخر نشرت ما بين عامي 1995 و2000[5]. وتضيف القائمة الإلكترونية للمؤلفات، والتي يحدثها

---

* أصبحت السلسلة الآن في أربعين مجلدًا؛ ففي عام 2009 نشرت نيوسوم وشتيغمان وشولر المجلد الخاص بمخطوطة مزامير الشكر من الكهف الأول، مع إدراج النسخة (ب) المكتشفة في الكهف الأول، والنسخ (أ، ب، ج، د، هـ، و)، المكتشفة في الكهف الرابع (المعربة).

[5] انظر:

Florentino García Martínez and Donald W. Parry, *A Bibliography of the Finds in the Desert of Judah 1970-95.*

Avital Pinnick, *The Orion Center Bibliography of the Dead Sea Scrolls (1995-2000).*

مركز أوريون في الجامعة العبرية في القدس أسبوعيًا، ما معدله عشرة عناوين[6]. وثمة دوريتان علميتان مكرستان تحديدًا لمخطوطات البحر الميت، وهما: "مجلة قمران النقدية" *Revue de Qumrân* التي أسست في عام 1958، أما دورية "مكتشفات البحر الميت" *Dead Sea Discoveries*؛ فهي حديثة النشأة؛ إذ أسست عام 1994. وتوجد الآن في مخطوطات البحر الميت تخصصات فرعية، فيشتغل أغلب الباحثين بمجموعة معينة ومحدودة من النصوص (نصوص هالاخية*، أو نصوص توراتية، أو نصوص طقوسية). ومن المستحيل أن يصبح شخص ما خبيرًا بحقول البحث في مخطوطات البحر الميت جميعها، أو أن يقرأ كل ما يكتب عنها. لذا، فقد لا تسعفنا صفحات هذا الكتاب في التعمق في موضوع مخطوطات البحر الميت، وإنما قد يتمكن القارئ من خلال التناول الموجز والانتقائي لمواضيع بعينها من إدراك ما تعلمناه وما سنتعلمه من هذه الوثائق المعقدة والآسرة.

---

[6] يُعدُّ الموقع الإلكتروني *http://orion.mscc.huji.ac.il* لمركز أوريون لدراسة مخطوطات البحر الميت والأدب المرتبط بها مصدرًا قيمًا للمعلومات عن المخطوطات للباحثين ولعامة القراء. كما أن لمزار الكتاب في متحف إسرائيل موقعًا إلكترونيًا *http://www.english.imjnet.org.il*، وهو لعامة القراء أيضًا.

* "الهالاخاه" كلمة مأخوذة من الفعل "هلك"، والذي يعني "ذهب"، "سلك طريقًا"، ومعناها الحرفي "الطريق القويم"، "المسلك". وتقابل كلمة "هالاخاه" العبرية مصطلح "الشريعة" في العربية (المعربة).

الفصل الأول

خمسون عامًا ونيف: استعراض الأحداث عقدًا بعد عقد

رويت لنا مرارًا وتكرارًا القصة البطولية لاكتشاف كهف قرب الشاطئ الغربي للبحر الميت، احتوى ما لم يتوقعه أحد، ورويت معها دائمًا حكاية الأحداث التي أعقبت ذلك الاكتشاف. وقد سجلت لنا شخصيات رئيسة، كان لها دور في هذا الأمر، مذكراتها الشخصية لتلك الأحداث[7]. في حين لم يلقِ آخرون بالاً للأحداث التي وقعت في أثناء تلك الرحلة الطويلة الشاقة التي استغرقت عقودًا من الزمن. وفي الحقيقة، بدا، ولبضع سنين، وكأن مخطوطات البحر الميت غابت عن اهتمام العامة، بيد أنها كانت تعود إلى الأضواء لأحيان قصيرة متقطعة، إما لاكتشاف جديد، أو أزمة، أو فضيحة ما.

[7] كتب مذكرات شخصية عن تلك الأحداث كل من مار أثناسيوس يشوعا صموئيل Mar Athanasius Yeshue Samuel، رئيس أساقفة دير القديس مرقص للسريان الأرثوذكس، في كتابه *The Treasure of Qumran, My Story of the Dead Sea Scrolls*، وجون سي تريفر John C. Trever، وكان حينئذ طالب دراسات عليا ومصورًا هاويًا مقيمًا في معهد ألبرايت في الفترة ما بين عامي 1947-1948، في كتابه *The Untold Story of Qumran*. وروى يجال يادين Yigal Yadin كيف اشترى أبوه، إليعازر سوكنيك Eleazer Sukenik، بعض مخطوطات الكهف الأول في كتاب *The Message of the Scrolls*. وللاطلاع على رواية صحفية شيقة عن سنوات الاكتشاف الأولى، انظر كتاب: Edmund Wilson, *Dead Sea Scrolls, 1947-1969*.

وتبقى القصة الكاملة لدراسة المخطوطات في السنوات الخمسين الماضية غير مدونة[8]*. إلا أنه يمكنني أن أقدم في هذا الفصل عرضًا موجزًا وانتقائيًا لنصف القرن هذا، مع التركيز على أحداث رئيسة ذات أهمية خاصة في فهم كيف ولماذا أخذت دراسة المخطوطات المنحى الذي أخذته. وسأتخذ إعلانين مبكرين جدًا عن الاكتشاف يعودان إلى العام 1948 نقطة بداية، محاوِلةً استخلاص مدلولات ما قيل في ذلك الوقت في ضوء التطورات التي تلت ذلك. وسأتجول رويدًا رويدًا خلال نصف القرن، متوقفة برهة عند رأس كل عقد، وإن لم يرافق ذلك حدث فاصل (على سبيل المثال 1957، 1967، وما إلى ذلك)، وذلك لتأمل وجهتنا وللوقوف على ما أُنجز. وأي نظرة عامة كهذه هي بطبيعة الحال انتقائية، وتأويلية إلى حد بعيد، وأنا على يقين أن بعض توجهاتي وأحكامي سرعان ما ستتكشف. لكن في أثناء قيامنا بهذه الرحلة، سنصادف كذلك العديد من الشخصيات التي كان لها دور رئيس في دراسة المخطوطات، وآمل أن نتبين من خلال هذا الاستعراض بعضًا مما آل إليه البحث في المخطوطات وقد غدونا في مطلع العقد السادس بعد اكتشافها.

---

[8] لعرض موجز، انظر:

Lawrence H. Schifman and Jones C. Vanderkam (eds), Discovery and Purchase, *Encyclopedia of the Dead Sea Scrolls*, pp. 208-12.

ويكتب الآن ويستون فيلدز Weston Fields من مؤسسة مخطوطات البحر الميت دراسة شاملة عن السنوات الأولى، مبنية على كثير من المادة الأرشيفية التي لم تستخدم سابقًا، كما ستشتمل دراسته على مقابلات مع عدد من شخصيات "الجيل الأول" الذين ما يزالون على قيد الحياة.

* تجدر الإشارة إلى أن كتاب ويستون فيلدز، المذكور في الحاشية السابقة، قد صدر في سبتمبر (أيلول) من عام 2009، بعنوان: *The Dead Sea Scrolls: A Full History, Volume I* (المعربة).

في الحادي عشر من أبريل (نيسان) عام 1948، أصدرت المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية بياناً صحفيًا موجزًا، نشر في اليوم التالي في صحيفة "التايمز" اللندنية:

> أعلنت جامعة ييل البارحة عن اكتشاف في فلسطين لأقدم مخطوطة معروفة لسفر إشعياء، وجدت في دير القديس مرقص للسريان في القدس، وحفظت على شكل مخطوطة من البرشمان*، وتؤرخ إلى حوالي القرن الأول قبل الميلاد. وقد تبين الباحثون في المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية في القدس هويتها مؤخرًا. وهناك في المدرسة، فُحصت أيضًا ثلاث مخطوطات أخرى مكتوبة بالعبرية القديمة، فكانت إحداها شروحًا على سفر حبقوق، والأخرى، فيما يبدو، كتاب لقواعد ضبط السلوك لطائفة دينية، أو رهبانية، لا يُعرف الكثير عنها، ربما تكون طائفة الإسينيين. أما المخطوطة الثالثة فلم تتبين هويتها بعد.

ويخبرنا هذا الإعلان الأولي الموجز البليغ، والرصين إلى حد ما، الكثير، لا سيما إذا ما نظرنا إليه من منظور التطورات اللاحقة التي جرت خلال نصف قرن:

مخطوطات: كان هذا، في المحل الأول، اكتشافًا لوثائق قديمة. واكتشفت أيضًا لقى أثرية (جرار ذات شكل مميز، وأغطية من الكتان) استخرجت من

* البرشمان (الرَّق) مادة رقيقة تُتخذ من جلود الحيوانات، وتستخدم للكتابة عادة. وهي تختلف عن أنواع أخرى من جلود الحيوانات المستخدمة في الكتابة في أنها تغطى بالجير ولا تدبغ، لذا فهي غير مقاومة للماء وتتأثر بالرطوبة (المعربة).

الكهف الأول. وكان هنالك بقايا لأبنية منتشرة في المنطقة المجاورة، لم يلبث علماء الآثار أن كشفوا عنها. لكن وقبل كل شيء، كان ذلك اكتشافاً لوثائق، هي بقية باقية لتسعمائة مخطوطة تقريبًا.

مخطوطات مكتوبة بالعبرية: أن يُكتب سفر إشعياء بالعبرية أمر متوقع، ولا يُستغرب كذلك تدوين شروح سفر حبقوق بالعبرية. لكن المثير للدهشة اكتشاف كتابات غير توراتية مكتوبة باللغة المقدسة. فمن الواضح أن العبرية كانت ما تزال لغة حية في التأليف، وربما أيضًا في الخطاب؛ وأنها لم تكن قد استبدلت بعد باللغة الآرامية بشكل كامل. وما لم يكن معروفاً وقت هذا الإعلان أن المخطوطة التي لم تعرف هويتها حينها الهوية (والتي تحوي "سفر التكوين الأبوكريفي") كانت مكتوبة بالآرامية، كما هو حال مائة وعشرين مخطوطة أخرى (يمثل ذلك خمسة عشرة في المائة من المجموع الكلي للمخطوطات).

تؤرخ إلى حوالي القرن الأول قبل الميلاد: أُرخت هذه النسخة من سفر إشعياء إلى القرن الأول قبل الميلاد بناء على دراسة خطوط الكتابات القديمة، من خلال مقارنة الكتابة المدونة على المخطوطات بالكتابة الموجودة على النقوش، وعلى وجه الخصوص، على المدافن المكتشفة في المناطق المحيطة بالقدس، وبوثائق قليلة أخرى، مثل بردية ناش من مصر. وثمة مخطوطات من كهوف أخرى تؤرخ إلى فترة مبكرة تصل إلى بداية القرن الثاني قبل الميلاد، كما أن بعضًا منها يعود إلى فترة متأخرة، تصل إلى منتصف القرن الأول الميلادي، لكن الغالبية العظمى من المخطوطات نسخت في القرن الأول قبل الميلاد.

محتوى المخطوطات: تعد هذه المخطوطات الأربع أنموذجًا لما يمكن أن نجده في مخطوطات البحر الميت كلها؛ فسفر إشعياء، عُرِف ودُرِس منذ وقت طويل، كأحد أسفار العهد القديم العبري، لكن الآن باتت لدينا نسخة منه تعود إلى

فترة أقدم بنحو ألف عام من أية نسخة كانت معروفة في السابق[9]. واحتوت المخطوطات الأخرى على موضوعات لم تكن معروفة قبل هذا الاكتشاف؛ إذ تشتمل المخطوطة الثانية، وهي "شروح سفر حبقوق"، على لون أدبي شوهد للمرة الأولى في قمران، وردت فيه الآيات التوراتية على نحو متسلسل، ويتبع كلَ آية تفسيرٌ لمعناها (فِشْر)، وهو يشبه الشروح على النصوص في وقتنا الحاضر. وبعد ذلك بعدة سنوات، وعندما بسطت المخطوطة غير معروفة الهوية أخيرًا، وبعد عناء شديد، اتضح أنها تعيد سرد أجزاء من سفر التكوين التوراتي مع شيء من التوسع فيها، لا سيما الأجزاء التي تتحدث عن ميلاد نوح، والطوفان، وعن إقامة إبراهيم وسارة في مصر؛ ولذا فقد وسمت باسم "سفر التكوين الأبوكريفي". ويعد هذا مثالاً على مجموعة غنية من النصوص أعيد فيها سرد وتفسير النصوص التوراتية، تمثل نافذة نطل من خلالها على الكيفية التي قُرئت وفسرت من خلالها نصوص العهد القديم في فترة مخطوطات البحر الميت. ولا ترتبط المخطوطة الأخرى المكتشفة آنذاك ارتباطًا خاصًا بالعهد القديم؛ فهي تحوي عناصر متنوعة: صلاة طقوسية تشتمل على مباركات ولعنات، وترنيمة طويلة ذات صبغة شعرية، وعبارات عقائدية ولاهوتية: "مِن إله المعرفة يأتي كل ما هو كائن وكل ما سيكون ... هو خلق الإنسان ليحكم العالم، وجعل له روحين يمشي بهما". كما اشتملت المخطوطة على قوانين وتعليمات تفصيلية عن حكم الجماعة تتضمن قانوناً جزائيًا يحوي قائمة عقوبات محددة في حال انتهاك أعراف معينة. وقد وُسم هذا العمل باسم "كتاب قواعد ضبط السلوك"، وقد سمي كذلك لأنه ذكّر بعض الباحثين المسيحيين الذين قرأوا لأول مرة هذا النوع من النصوص بكتبهم المتعلقة بدستور الكنيسة (على سبيل المثال،

---

[9] انظر مزيدًا من النقاش في الصفحات 50-51 من الفصل الثاني.

"كتاب ضبط السلوك لأتباع الطائفة الميثودية"[*1]). وهو يسمى الآن "قانون الجماعة"، وهو قانون من قوانين عدة عثر عليها في المخطوطات (يضاف إلى ذلك "قانون مجمع إسرائيل"[*2] و"وثيقة دمشق").

طائفة دينية أو نظام رهبانية مجهولان بعض الشيء: يتصف الناس الذين كتبوا "قانون الجماعة" بحسب مفاهيم علم الاجتماع الحديثة بخصائص "طائفة ما". وكسواهم من اليهود، كانوا أتباعًا لشريعة موسى، لكنهم ادعوا أنهم وحدهم الذين يعرفون كيف يفسرونها على النحو الصحيح؛ فهم أبناء النور يحيط بهم أبناء الظلام. ويشير الاعتكاف في الصحراء، والتشارك في الممتلكات، ووجود قوانين وأنظمة صارمة للجماعة، وفي المقام الأول، غياب أي ذكر للنساء والأطفال، إلى أننا هنا أمام نوع من الرهبنة سبق الرهبنة المسيحية التي قدِّر لها أن تزدهر في الصحراء نفسها بعد ذلك ببضعة قرون.

من المحتمل أنها طائفة الإسينيين: تشتمل أوصاف فترة الهيكل الثاني، والتي ذكرها المؤرخ جوزيفوس والعهد الجديد والمصادر الحَبْرية المتأخرة، على ذكر "لطوائف" أو "مذاهب"، هي طوائف الفريسيين والصدوقيين والإسينيين. وحتى بالاعتماد على ما عُرف من هذه المخطوطات الأولى وحسب، فإن مؤلفيها لم يكونوا من الفريسيين قطعًا؛ إذ أوَّلت جماعة قمران التوراة تأويلاً مختلفًا وأكثر تزمتًا، لم يعتمد على التوراة الشفوية التي أنزلت على جبل سيناء، بل

[*1] الميثودية "المنهجية" طائفة بروتستانتية ظهرت في القرن الثامن عشر في بريطانيا على يد جون ويزلي John Wesley الذي كان رجل دين أنجليكانيًا. انتشرت في بريطانيا ولاحقًا في المستعمرات البريطانية، وكانت موجهة بشكل أساسي للعمال والفلاحين والعبيد. ويشكل أتباعها ما يقرب من سبعين مليوناً في جميع أنحاء العالم (المعربة).

[*2] يسمى أيضًا "القانون المسيحاني" (المعربة).

على الإلهام المستمر لقائدهم ومؤسس جماعتهم معلم الحق. وعلى الرغم من أن قادتهم كانوا كهنة (وكانوا يسمون أنفسهم "أبناء صدوق") إلا أنهم لم يكونوا من الصدوقيين؛ إذ كانوا من المؤمنين بوجود الملائكة وبالبعث، أو على الأقل بشكل ما من أشكال الحياة بعد الموت. لكن ثمة أوجه شبه كثيرة بين جماعة قمران وبين الإسينيين، كما يصفهم كل من جوزيفوس، وفيلو Philo، وبليني Pliny؛ فقد عاشوا حياة مجتمع ذي بناء هرمي صارم، وكانوا يتشاركون في الممتلكات، كما أنهم لم يأتوا على ذكر الزواج ولا النساء ولا الأطفال، بل وطابقت تفاصيل معينة وغير ذات شأن، كتحريم البصاق في المجمع[10] مثلاً، تلك المذكورة عند جوزيفوس والآخرين. إلا أن مثل هذا التطابق بين جماعة قمران والإسينيين لا نجده في عناصر أخرى (كما هو الحال في عملية التكريس، لا سيما تأكيد الأهمية الكبيرة لكل ما يتعلق بالمفاهيم الآخروية والرؤيوية التي نجدها في المخطوطات). لذا، فقد بدا للباحثين، في وقت الإعلان الأول، أن الصلة المحتملة بين مؤلفي المخطوطات والإسينيين معقولة بالفعل.

وقبل أن نضع تلك القصاصة من الصحيفة جانبًا، نلاحظ أن هذا الإعلان المقتضب هو بحد ذاته صورة مصغرة للظروف السياسية والدينية المعقدة للاكتشاف على أرض الواقع؛ فهي مخطوطات يهودية اكتشفت في فلسطين مع نهاية حكم الانتداب البريطاني تقريبًا، وهي بحوزة دير القديس مرقص السرياني (من المسيحيين الأرثوذكس)، وأعلنت المدارس الأميركية للدراسات الشرقية في جامعة ييل في الولايات المتحدة عن اكتشافها. وكما هو الحال تقريبًا في جميع الإعلانات الصحفية عن المخطوطات في السنوات الخمسين التي تلت، نجد أن هذا الإعلان دقيق وغني بالمعلومات من ناحية، ومضلل ومنقوص وخاطئ من ناحية أخرى؛ فسفر إشعياء لم يكتشف في دير القديس مرقص

---

[10] انظر السطر الثالث عشر من العمود السابع من "قانون الجماعة". وانظر أيضًا الصفحة السابعة والأربعين من المجلد الثاني من كتاب "حرب اليهود" *The Jewish War*.

للسريان، وليس ثمة ذكر للكهف الذي عثر فيه على المخطوطات في صحراء اليهودية، ولا بيان للطريقة التي وصلت بها هذه المخطوطة إلى القدس.

وكما يحدث في كثير من الأحوال، فإن ذيوع خبر من خلال وسائل الإعلام يأتي بمزيد من المعلومات؛ ففي السادس والعشرين من أبريل (نيسان) من عام 1948، أصدر إليعازر سوكنيك، رئيس الجامعة العبرية وقتئذ، بياناً صحفيًا آخر، لا لتصحيح بعض التفاصيل في الإعلان الأول وحسب، بل ليعلن أن ثمة ثلاث مخطوطات أخرى، لم يطلع عليها الرهبان في دير القديس مرقص ولا الباحثون في المدرسة الأميركية. ففي أواخر شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 1947، أي في الأيام الأخيرة المضطربة من فترة الانتداب البريطاني، استقل سوكنيك الحافلة الخاصة بالعرب والمتوجهة إلى بيت لحم، واشترى من أحد تجار الآثار نسخة أخرى من سفر إشعياء، أكثر تشظيًا، بالإضافة إلى مجموعة شعرية شبيهة بالمزامير، أسماها "مخطوطة مزامير الشكر"، و"مخطوطة الحرب" التي تضمنت خطة قتال تفصيلية لحرب آخر الزمان ما بين أبناء النور وأبناء الظلام. وهذه المخطوطات بحوزة الجامعة العبرية في القدس الآن.

و. ف. أُلبرايت **W. F. Albright**: "إنه اكتشاف مذهل حقًا"

ربما كان و. ف. أُلبرايت الأعلى منزلة والأكثر تقديرًا من بين المشتغلين بالعهد القديم والكتابات القديمة في أميركا الشمالية، لذا أُرسلت إليه على الفور بعض الصور الأولى للمخطوطات، والتي التقطت في معهد أُلبرايت في فبراير (شباط) من عام 1948. وفي رسالة مشهورة كُتبت في الخامس عشر من مارس (آذار) من عام 1948، وفي مقالة نشرت في "نشرة المدارس الأميركية للدراسات الشرقية" في أبريل (نيسان) من العام نفسه، نطق أُلبرايت بحكمه على أهمية

تهاني القلبية على أعظم اكتشاف للمخطوطات في العصر الحديث! ... ولكم أن تتخيلوا كيف جحظت عيناي عندما رأيت الكتابة من خلال عدستي المكبرة! يا لهذا الاكتشاف المذهل حقًا! سيُحدث الاكتشاف الجديد ثورة في دراسات فترة ما بين العهدين*[1] ... كما أنه سيجعل جميع الكتب التي تتحدث عن خلفية العهد الجديد وعن نقد نصوص العهد القديم وتفسيره قديمة مهجورة.[11]

فما الذي كان مذهلاً وثوريًا في هذه النصوص؟ لم يكن قِدَم المخطوطات؛ فمنذ القرن التاسع عشر الميلادي بُهر عالَم الآثار باكتشافات أقدم بكثير؛ إذ يعود مئات الآلاف من الرقم الطينية من بابل، والكتابات الهيروغليفية على جدران المدافن في مصر إلى الألفيتين الثالثة والثانية قبل الميلاد، وبالمقارنة فإن سنة 100 قبل الميلاد التي ترجع إليها بعض المخطوطات ليست قديمة على الإطلاق. وقد كتبت الرقم من بابل على طين صلب جُفف في الشمس، أما الكتابة الهيروغليفية المصرية فسُطّرت على جدران مدافن شيدت بعناية وأحكم إغلاقها. لكن في فلسطين*[2]، وباستثناء بضعة نقوش حفرت في الحجارة (من

[1*] هي دراسات خاصة بالفترة التي يسميها المسيحيون البروتستانت فترة سكوت أو انقطاع الوحي بين العهد القديم والعهد الجديد. وهي فترة تمتد تقليديًا أربعة قرون من آخر أنبياء العهد القديم ملاخي إلى يوحنا المعمدان (المعربة).

[11] الجملة الأولى كانت من رسالة أُلبرايت إلى جون تريفر، كما أعيدت طباعتها في الصفحة الخامسة والثمانين من كتاب *The Untold Story of Qumran*. أما الجملة الثانية فهي من مقالة بعنوان Notes from the President's Desk, *BASOR* 110 (1948), p. 3.

[2*] في الأصل أرض إسرائيل (المعربة).

الأمثلة على ذلك نقش نفق حزقيا*، وبعض الأسماء المنقوشة على معاظم جيرية)، فإن معظم الكتابات كانت على جلود الحيوانات غير تامة الدباغة (لم تكن مصنعة خصيصًا للكتابة، خلافًا لورق البرشمان المصنوع من جلد الحيوانات)، وعلى أوراق البردي من مصر. وهذه المواد قابلة للتلف بسهولة بفعل الاستعمال والزمن، وكذلك المطر والعفن وقضم الجرذان والوطاويط، وهذه أشد أثرًا. وفي فلسطين، لم تصمد مخطوطات كتبت نحو عام 1000 للميلاد أبدًا.

ولهذا، فإن اكتشاف مخطوطات أقدم من ذلك بألف عام يعد أعجوبة بحد ذاته بصرف النظر عن محتواها. وخلافًا لآلاف النصوص ذات الصبغة الاقتصادية الدنيوية (صكوك البيع ووصولات الضرائب) من بابل، فإن معظم نصوص قمران ذات صبغة دينية. ونجد أن ربعها تقريبًا هو نُسخ لأسفار العهد القديم العبري، وثمة مجموعة أصغر من ذلك بكثير، هي نسخ لأسفار يهودية أخرى، كنا نعرفها من خلال ترجمات متأخرة (إثيوبية وسلافية)؛ حفظتها عدة كنائس مسيحية، وعثر عليها الآن في العهد القديم العبري والآرامي الأصليين (أسفار مثل بن سيراخ، وطوبيا، و"إخنوخ"، و"اليوبيلات"). ويشتمل ثلثا المخطوطات على مؤلفات لم تكن معروفة قبل اكتشافها في قمران، وبذلك أصبحت في متناول أيدينا الآن مؤلفات من الأدب اليهودي الديني، من فترة الهيكل الثاني، أكثر بكثير من ذي قبل.

وقد ادعى أُلبرايت أن هذه المادة المكتشفة ستغير فهمنا "لخلفية العهد الجديد"، أو ما يسمى "فترة ما بين العهدين"؛ أي العهد القديم والعهد الجديد. ولا يعني ذلك أننا فيما مضى لم نكن نعرف شيئاً عن الديانة اليهودية خلال فترة حكم

---

* يُعرَف هذا النقش بنقش نفق سلوان، وهو كتابة نقشت على حائط نفق بقرية سلوان المجاورة للبلدة القديمة في القدس. ويخلد النقش حفر النفق الذي استخدم لتسييل مياه عين ستنا مريم إلى داخل أسوار مدينة القدس، في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد عثر على نقش سلوان في عام 1880، أيام حكم الدولة العثمانية على القدس (المعربة).

الإمبراطوريتين اليونانية والرومانية، وهو العالَم الذي انبثقت منه الديانة المسيحية؛ إذ كان في متناول أيدينا سفرا المكابيين الأول والثاني، اللذان يقدمان صورة تفصيلية عن الأزمة الشديدة الوطأة التي وقعت في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، عندما ناضلت الديانة اليهودية في وجه الاضطهاد اليوناني، إلى أن ثارت الأسرة المكابية يدفعها حماس مقدس لشريعة الإله لنزع نير الاضطهاد اليوناني، من خلال توليفة من المعارك العسكرية والدبلوماسية، إلى أن أصبح المكابيون في نهاية الأمر كهنة أعلون وملوكًا، وكان كل ذلك بحسب خطة الإله، كما جاء في سفري المكابيين الأول والثاني. ويمكن أن نسمع من خلال سفر دانيال وجهة نظر لاهوتية مختلفة قليلاً؛ ففي هذا الوقت من الأزمات، يأتي الخلاص من خلال تدخل إلهي مباشر، مصحوبًا بما لا يعدو كونه "مساعدة بسيطة" من بني البشر (الآية الرابعة والثلاثون من الأصحاح الحادي عشر من سفر دانيال). وفيما يتعلق بالأحداث التاريخية اللاحقة تحت حكم الإمبراطورية الرومانية، وحتى اندلاع الثورة اليهودية، التي استمرت من عام 66 إلى عام 70 للميلاد، فقد كنا نعرفها معرفة حسنة من روايات جوزيفوس التفصيلية، وهو أحد اليهود الذين شاركوا في الثورة، وكتب مؤلفاته في كنف الرعاية الرومانية بعد الهزيمة النهائية لليهود. كما كان لدينا بعض الأعمال الفلسفية من مناطق الشتات اليهودي، لا سيما سلسلة مقالات فيلو الإسكندري الطويلة. وقد كانت ثمة أسفار رؤيوية أخرى، مثل "إخنوخ"، و"عزرا الرابع"، و"باروخ الثاني"، وهي أعمال لم تكن تُعدُّ جزءًا من "الأسفار القانونية" للعهد القديم، وكانت تعكس آمال وتوقعات جماعات من غير التيار السائد في اليهودية.

وفي بدايات القرن العشرين جمع ر. هـ. تشارلز R. H. Charles، ولأول مرة، الكثير من هذه الأعمال باللغة الإنجليزية في عمله ذي المجلدين "الأسفار الأبوكريفية والكتابية المنحولة للعهد القديم" *The Apocrypha and Pseudepigrapha of The Old Testament*، إلا أن قلة من الباحثين أعاروا مثل

هذه الأعمال "الهامشية" اهتمامًا كافيًا. وفيما مضى، كان يُنظر إلى يهودية فترة الهيكل الثاني في الكتب التدريسية السائدة بعين جوزيفوس، ومن خلال العهد الجديد والأحبار؛ فكنا نرى أن الفريسيين كانوا المسيطرين، وكان لأحكامهم ولتفسيرهم للشريعة السيادة المطلقة، وكان شغل الصدوقيين الشاغل هو الهيكل، والحفاظ على علاقات طيبة مع الرومان. وقد يكون وجود الإسينيين، وهم مجموعة غامضة ومنغلقة نوعًا ما، ممكناً، ولربما كان الأمر محض اختلاق لنسيج اجتماعي مثالي، لإثبات قدرة اليهود على مضاهاة اليونانيين في الفلسفة والزهد. وقد كان أُلبرايت محقًا في القول بضرورة إعادة كتابة الكتب التي تشتمل على المعارف الأساسية؛ إذ بتنا نسمع، وللمرة الأولى، صوتًا آخر ينطلق في المخطوطات؛ فنسمع يهودًا في "شروح سفر حبقوق" لم ينظروا إلى المكابيين كمنقذين عظماء، بل ككهنة أشرار، ورجال فسق، وأصحاب ثروة غير شرعية، اغتصبوا الكهانة وسيطروا على الهيكل. وقد كان جليًا، حتى عندما لم يكن لدينا سوى المادة المكتشفة في الكهف الأول فقط، أن المخطوطات تعكس واقعًا من الصراعات المريرة حول الكهانة والهيكل وتفسير التوراة والتقويم (في "شروح سفر حبقوق"، على سبيل المثال، يبدو أن الكاهن الشرير يحتفل بيوم الغفران في يوم مختلف عن اليوم الذي يحتفل فيه كتَّاب "شروح سفر حبقوق"). ومن الواضح أن يهودية القرن الأول الميلادي كانت أكثر اختلافًا وتعقيدًا عما كان الباحثون يفترضونه.

وإذا افترضنا أن هذه النصوص المكتشفة حديثاً كتبت في القرن الأول، فتكون بذلك قريبة للنطاق الزمني الذي عاش فيه المسيح، وجاءت جغرافيًا من صحراء، وهي المنطقة ذاتها التي ارتبطت في الإنجيل بيوحنا المعمدان، فعندها إذن لا يلزمنا سوى خطوة صغيرة حتى نتوقع أن تخبرنا المخطوطات بعض الشيء عن يوحنا والمسيح وبدايات المسيحية. فهل ستكشف المخطوطات النقاب عن "السنوات المجهولة" من حياة المسيح؟ وهل كان المسيح في قمران؟ وهل من

الممكن أن نجد في الكهوف إنجيلاً جديدًا، أو نسخة عبرية، أو آرامية من الأناجيل الحالية، أو حتى نسخًا يونانية مبكرة من الأناجيل، لم تفسدها قرون من النسخ الكتابي؟ وما مدى التشابه بين العهد الجديد والمخطوطات، وبين المسيح ومعلم الحق؟ وهل هناك بعض الحقيقة في الزعم القائل بأن "المسيحية لم تولد في الناصرة، بل في كهوف قمران"؟ لم نجد، في الحقيقة، شيئاً من هذا في النصوص المكتشفة إلى الآن، لكن ترقب وتوقع ما يمكن اكتشافه أشعل شرارة الاهتمام عند كل من المسيحيين المتدينين الذين كانوا يبحثون عن تأكيد لعقيدتهم، وعند المشككين بالمسيحية الذين كانوا يبحثون عن دليل يدحض ادعاءاتها.

العقد الأول: 1947-1957

لننتقل مباشرة من هذين الإعلانين في عام 1948 إلى ربيع عام 1957، متسائلين: ما الذي حدث في السنوات العشر الأولى؟ وما الذي تعلمناه بعد عشر سنوات من الاكتشاف الأول؟ إذ يمكن أن نقدِّر التقدم والإنجاز المذهلين في العقد الأول، إذا ما نظرنا إلى الوراء من منظور اليوم.

فبحلول عام 1957 أصبحت المخطوطات السبع المكتشفة في الكهف الأول جميعها، مع صورها الفوتوغرافية، ونقل حرفي لمفرداتها، وترجمة لها، في متناول الباحثين من أنحاء العالم كافة. وكان سوكنيك قد نشر قبل ذلك، في العامين 1948 و1950، وباللغة العبرية، بعض أفضل الأجزاء المحفوظة من "مخطوطة مزامير الشكر". وسرعان ما ترجمت هذه المزامير إلى عدة لغات (إحدى أولى الترجمات التي صدرت كانت ترجمة باللغة اللاتينية في عام 1950[12]). وقبل

---

[12] انظر: Paul Bauchet,Transcription and Translation of Psalm from Sukenik's Dead Sea Scrolls, *CBQ* 12, (1950), 331-5.

وفاته في عام 1953، أعدّ سوكنيك المخطوطات الثلاث التي كانت بحوزته للنشر، وهي: النسخة (ب) من سفر إشعياء Isaiah[b]، و"مخطوطة مزامير الشكر"، و"مخطوطة الحرب"، وذلك باللغتين العبرية والإنجليزية في العامين 1955/1954[13] [1*]. أما المخطوطات الأربع التي كانت في حوزة دير القديس مرقص؛ فأخذت إلى الولايات المتحدة في عام 1948، وبقيت هناك فترة طويلة إلى أن بيعت إلى إسرائيل في عام 1954[2*]، أما الصور الفوتوغرافية المتقنة التي صورها جون تريفر؛ فقد كانت نشرت سابقًا في العامين 1951/1950[14]. وبحلول عام 1957 كانت النصوص الرئيسة جميعها متاحة بسهولة بمعظم اللغات الحديثة، وكان للكثير منها شروح نقدية كاملة. ولا بد من تأكيد هذه الحقيقة؛ فمع غزارة التأليف بسبب "إتاحة المخطوطات للعامة" في الفترة اللاحقة لعام 1990، يسود الانطباع في بعض الأحيان، أنه لم يكن، فيما مضى، ما هو متاح من المخطوطات للباحثين.

---

[13] انظر: (1954) *The Treasure of the Hidden Scrolls of the Hebrew University* بالعبرية، و *The Dead Sea Scrolls of the Hebrew University*, (1955) بالإنجليزية.

[1*] أعدها للنشر بعد وفاته ابنه يجال يادين (المعربة).

[2*] بشأن قصة تهريب هذه المخطوطات، ثم بيعها إلى إسرائيل، خلافًا للقانون الدولي، انظر كتاب محمود العابدي "مخطوطات البحر الميت"، الطبعة الثانية، تقديم ومراجعة عمر الفول (المعربة).

[14] انظر:

The Dead Sea Scrolls of St. Mark's Monastery:
Vol. I: The Isaiah Manuscript and the Habakkuk Commentary (1950).
Vol. II: The Manual of Discipline (1951).

وكان الجزء الأول من المجلد الثاني قد خصص لسفر التكوين الأبوكريفي، لكنه لم ينشر أبدًا. وقد بسطت مخطوطة سفر التكوين الأبوكريفي التالفة جدًا بصعوبة بالغة، ونشرها نحمان أفيجاد Nahman Avigad ويجال يادين، في نهاية الأمر، في عام 1956، في كتاب بعنوان: *A Genesis Apocryphon: A Scroll from the Wilderness of Judaea*.

يضاف إلى ذلك، أنه بحلول عام 1957 كانت جميع الكهوف الأخرى القريبة من المنطقة، والتي عثر فيها على مواد مكتوبة قد استكشفت[15]. وقد كان موقع الكهف الأول اكتشف قبل ذلك في عام 1949، على يد دائرة الآثار الأردنية التي قامت بتنقيب علمي عن الكهف، واكتشفت كتابات ذات أهمية كبيرة، كان البدو تركوها، ومنها جذاذات تعود لاثنتين وسبعين مخطوطة، يضاف إليها ما يقرب من سبع وستين جرة وأغطية جرار. واكتشف الكهوف العشرة الأخرى التي تحوي كتابات علماء آثار، أو البدو، في أغلب الأحيان، والذين كانوا يعرفون الصحراء على نحو أفضل من سواهم. ويستحق الكهف الرابع التفاتًا خاصًا؛ إذ لم يعر علماء الآثار الواجهة الجيرية التي تقع أعلى خربة قمران أي اهتمام، لكن البدو تذكروا كبارهم وهم يتحدثون عن فتحة تفضي إلى "كهف الحجل"، الذي عثر عليه في أغسطس (آب) من عام 1952. وقد عثر البدو في الكهف، وهو في الحقيقة كهفان من صنع الإنسان، على أكبر عدد من المخطوطات على الإطلاق؛ إذ وجدت هناك آلاف القطع الصغيرة الشديدة التلف، منثورة على أرضية الكهف. ولم يعثر فيه على مخطوطة واحدة ملفوفة، أو مغطاة بالكتان، أو موضوعة في جرار، كما كان عليه الحال في الكهف الأول.

وبحلول عام 1957 أصبحت الجذاذات جميعها التي عثر عليها في الكهوف الأحد عشر (ما يقرب من خمسين ألف قطعة إجمالاً) بحوزة دائرة الآثار الأردنية[16]

---

[15] عثر على كهوف أخرى في وادي مربعات وخربة المرد ووادي خبرا خلال البحث في صحراء اليهودية، وعلى الرغم من أن النصوص المكتشفة في هذه الكهوف تدخل، في بعض الأحيان، ضمن التصنيف العام "مخطوطات البحر الميت"، إلا أنني لم أتناولها بالبحث في هذا الكتاب.

[16] ثمة عدد قليل من الجذاذات لم يسلّم إلى دائرة الآثار الأردنية إلا في صيف عام 1958. انظر المقابلة التي أجراها هيرشل شانكس Hershel Shanks مع فرانك مور كروس: *Frank Moore*

باستثناء "مخطوطة الهيكل" من الكهف الحادي عشر (اكتشفت في عام 1956، وأخفاها أحد تجار الآثار لعشر سنوات أخر). وقد بدأ البدو بعد أسابيع من اكتشاف الكهف الرابع، يُحضرون علب أحذية وأكياسًا مملوءة تمامًا بالجذاذات إلى المدرسة التوراتية الفرنسية وإلى متحف الآثار الفلسطيني بالقدس. وقد رصدت الحكومة الأردنية مبلغ خمسة عشر ألف دينار لشراء المخطوطات، والتي كانت تشرى بسعر محدد هو دينار واحد (2.80 دولارًا تقريبًا) لكل سنتيمتر مربع (لمنع البدو من تمزيق الجذاذات للحصول على قطع إضافية!). ومع حلول عام 1956، أُنجز، وعلى وجه السرعة، مسح أولي ولكنه كامل، على نحو يثير الدهشة، للمادة المكتشفة جميعها[17]. وجرى تصنيف المادة المكتشفة من الكهوف الأخرى تصنيفًا مطابقًا لتصنيف النصوص المكتشفة في الكهف الأول؛ وهي: نصوص توراتية، ونسخ لأسفار أبوكريفية وزائفة، معروفة سابقًا، وأخرى لم تكن معروفة من قبل، وتراتيل وصلوات، ونصوص متعلقة بالتقويم، وتفاسير لنصوص توراتية، وتأملات في الحكمة، وأحكام قانونية، وبضعة أجزاء صغيرة من نصوص سرية (على سبيل المثال، نصوص التنجيم، والرجم بالغيب من خلال الرعد*، وقائمة لكنز دفين حُفرت على "المخطوطة النحاسية").

وسرعان ما أدركت الحكومة الأردنية افتقارها إلى الموارد المالية والبشرية كليهما، بغية التعامل مع اكتشاف بهذا الحجم. ولتوفير الموارد البشرية،

Cross: Conversations with a Bible Scholar, p. 124، والذي يستذكر فيه كروس تلك الأيام المثيرة للاهتمام.

[17] انظر:

Patrick Skehan, Jean Starcky John Strugnell, Le travail d'édition des manuscrits de Qumrân, *RB* (1956), 49-67.

* تقوم الفكرة على أن موقعي الشمس والقمر وعلاقتهما بالنجوم يحددان مسار الأحداث في العالم. ويُميِّز الحدث التاريخي بدوي الرعد، والكاهن بعد ذلك، ينظر إلى السماء لتحديد موقع القمر في دائرة الأبراج، ليتنبأ من خلال ذلك بالأحداث إيجابية كانت أم سلبية (المعربة).

أجريت اتصالات مع مؤسسات أكاديمية من مختلف أنحاء العالم لإرسال باحثين شباب للعمل في القدس، وبهذا تشكل ما يسمى "الفريق الدولي"، وكان يتألف من: جوزيف ت. ميلك Józef T. Milik (بولندي/ فرنسي)، وموريس باييه Maurice Baillet وجان ستاركي Jean Starcky (فرنسيان)، وكلاوس- هونو هونتسنغر Claus-Hunno Huntzinger (ألماني)، وفرانك مور كروس Frank Moore Cross وباتريك سكيان Patrick Skehan (أميركيان)، وجون أليغرو John Allegro وجون سترغنل John Strugnell (بريطانيان)، وكان الفريق بقيادة رولان دوفو Rolland de Vaux من المدرسة التوراتية الفرنسية. ومن السهل أن نغفل في عصر تقارب الطوائف المسيحية اليوم عن أن أحد الجوانب غير الاعتيادية في تشكيلة هذا الفريق الدولي تمثل في أن باحثين من الكاثوليك والبروتستانت عملوا على الكتاب المقدس مع بعضهم بعضًا. وفي مقالة بارزة نشرت في النسخة الكندية من مجلة "التايم" في أحد أعداد عام 1957، وصف الفريق بطريقة غريبة بعض الشيء؛ إذ أسمته "فريق مهمات دولي يضم باحثين ذوي عقائد مسيحية مختلفة"[18]. ولم يستطع الباحثون اليهود في الجانب الآخر من "بوابة مندلباوم"* المشاركة في الفريق، مع أنه كان معروفًا للجميع أن يجال يادين ورولان دوفو كانا على اتصال دائم من خلال صندوق بريد في أوروبا.

وبحلول عام 1957 كان ثمة فريق من الباحثين يعملون بشكل يومي على دراسة المخطوطات، يصنفون الجذاذات، ويطابقونها، ويفهرسونها، ويلصقون بعضها إلى بعض، ويقرأون قراءة أولية آلاف القطع المنتشرة على مناضد طويلة، في "قاعة المخطوطات" في المتحف. وفي حقيقة الأمر، وضعت أعمالهم تلك الأساس لكل الدراسات المستقبلية للمخطوطات، وإن كان هذا، في كثير من الأحيان،

---

[18] انظر Out of the Desert, Religion Section of *Time*, Canadian edn. (15 April 1957), 77.

* نقطة عبور بين شطري مدينة القدس في الفترة ما بين عامي 1949-1967، وكان الشطر الشرقي تحت السيطرة الأردنية، أما الغربي فوقع تحت سلطة الاحتلال الإسرائيلي (المعربة).

لا يُذكر صراحة. وقد يكون ما يزال من الممكن في الوقت الحاضر مطابقة بعض الجذاذات (في العادة قطع صغيرة جدًا) مع بعضها بعضًا، وإن كانت هذه العملية غدت غير موثوقة تمامًا اليوم؛ إذ أن مرور أربعين عامًا أثر في لون المادة وبنيتها، كما أنه أدى إلى انكماشها (سواء أكانت من الجلد أم من ورق البردي). وقد صوَّر المصور الأرمني البارع نجيب أنطون ألبينا صورًا فوتوغرافية ذات جودة عالية للمخطوطات، ما تزال ضرورية للقراءات؛ فجودة عمله لا تضاهى، حتى مع وجود مجموعات حديثة أخرى من الصور، التقطتها سلطة الآثار الإسرائيلية، والمصورون الأجانب بمعدات تصوير أكثر تعقيدًا[19].

وشهد العقد الأول، موضع الحديث، القيام بخمسة مواسم من التنقيبات الآثارية عن موقع خربة قمران، بالقرب من الكهوف، بإشراف رولان دوفو من المدرسة التوراتية والآثارية الفرنسية، ولانكستر هاردنج Lankester Harding مدير دائرة الآثار الأردنية. وكان وصف دوفو للموقع كمركز يعيش فيه مجتمع تشاركي، يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد حتى دماره العنيف في عام 69/68 للميلاد على أيدي الرومان قد حظي بشعبية كبيرة، وذلك عندما ذكره دوفو في سلسلة محاضرات شفايش Schweich Lectures التي ألقاها بالأكاديمية البريطانية بلندن في عام 1959[20]. وقد عززت نتائج فحص الكربون المشع 14 للكتان المكتشف من الكهف الأول، بعد "معركة" حامية الوطيس، لكنها قصيرة الأمد حول تأريخ المخطوطات (فيما إذا كانت قديمة بالفعل أم

---

[19] لمزيد من المعلومات عن عملية التصوير، انظر:

John Strugnell, On the History of Photographing of the Discoveries in the Judean Desert for the International Group of Editors in *The Dead Sea Scrolls on Microfiche: Companion Volume*, pp. 123-34.

[20] في ظل غياب تقرير آثاري كامل عن الموقع، كانت هذه المحاضرات تُعدُّ المصدر الرئيس للعمل الذي قام به دوفو (إلى أن صدرت منشورات أحدث، انظر الحاشية رقم 42)، وهي محاضرات نشرت في نسخة منقحة من كتاب *Archaeology and the Dead Sea Scrolls*.

من العصور الوسطى)، ما خرجت به دراسة الخط، لتثبت بذلك الحدود الزمنية للمخطوطات من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي تقريبًا.

أما المهمة الأكبر وهي إيجاد إطار عام لفهم النصوص، فقد تقدمت تقدمًا حسنًا بحلول عام 1957. وكما رأينا سابقًا (الصفحات 6 و7 أعلاه)، فإن أول بيان صحفي أصدرته المدارس الأميركية للدراسات الشرقية، أشار إلى صلة بين هذه "الطائفة" الجديدة، أو هذا النظام الجديد من "الرهبنة"، والإسينيين. وقد استعرض جيزا فيرمش في أطروحته للدكتوراه الخطوط العريضة لما أصبح يعرف "بنظرية الإجماع" أو "بالفرضية الإسينية"، والتي اكتسبت شعبية كبيرة في كتابين يعودان للعامين 1957 و1958 وضعهما ج. ت. ميلك وف. م. كروس[21]. وكان ينظر إلى مؤلفي المخطوطات كمجموعة يهودية منشقة، ظهرت كمعارضة للحشمونيين في مسائل متعلقة بالكهانة والتقويم، عقب الصراع الهلنستي في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. ولتأثر "الفرضية الإسينية" بالأوصاف المذكورة عن الإسينيين عند جوزيفوس وفيلو، إلى جانب تأثرها بما يذكر في المخطوطات نفسها، فقد التفتت إلى خصائص معينة في هذه الجماعة، مثل التبتل وأسلوب الحياة التشاركي (كحياة الرهبان)، وتنبهت، مع ذلك، إلى وجود عناصر أخرى مهمة في مخطوطات البحر الميت، مثل الحماس الأخروي (المرتبط بالآخرة) والترقب المسيحاني، وهي مسائل بالكاد تذكر في الأوصاف الكلاسيكية للإسينيين. لكن ظهرت ثمة نظريات وتفسيرات أخرى فيما يتعلق بجماعة قمران. ويجد المرء للغالبية العظمى من النظريات البديلة المتعلقة بأصول المخطوطات، والتي طرحت في السنوات القليلة الماضية (في بعض الأحيان مع جلبة

---

[21] عنوان كتاب ميلك هو *Dix ans de découvertes dans le desert de Juda*. وقد ترجمه جون سترغنل بعنوان *Ten Years of Discovery in the Wilderness of Judea*.

أما كتاب ف. م. كروس فكان بعنوان *The Ancient Library of Qumran and Modern Biblical Studies*, Haskell Lectures, 1956-1957.

عظيمة وادعاءات بالإبداع)، أصولاً في الآراء الخارجة عن المألوف التي كانت متداولة نهاية العقد الأول، موضع الحديث، وهي نظريات ترى أن مؤلفي المخطوطات كانوا من الصدوقيين، أو الفريسيين، أو القنّائيين، أو مجموعة مجهولة لا نظير لها، أو من المسيحيين.

وقد شهدت السنوات 1947-1957 الكثير من التكهنات الجامحة عن العلاقة ما بين المخطوطات والإسينيين والمسيحية، وتناولت هذه التكهنات كل شيء، بدءًا بسؤال: "هل عاش المسيح في قمران؟"، وانتهاء بادعاءات مفادها أن معلم الحق صُلب، بل بُعث أيضًا. وانتهى العقد بنشر مجموعة رئيسة من المقالات بعنوان: "المخطوطات والعهد الجديد *The Scrolls and the New Testament*"، وهو كتاب أعيد إصداره في غلاف ورقي بعد ذلك بنحو خمسة وثلاثين عامًا (1992)[22]؛ إذ ما يزال هذا الكتاب يتخذ لبيان المحاور الرئيسة للنقاش حول العلاقة المتبادلة بين المخطوطات ودراسات العهد الجديد، مثل: الترقب الأخروي، والمسيحانية، والوجبات الجماعية، وقواعد الكنيسة في ضبط السلوك، والمصطلحات اللاهوتية، ودور يوحنا المعمدان. وتكمِّل النصوص الجديدة، لا سيما تلك المنشورة في السنوات العشر الأخيرة، هذا الكتاب، لكن الموضوعات الأساسية عن المخطوطات والمسيحية كانت اكتملت صياغتها قبل الآن.

وبحلول عام 1957، كانت أهمية المخطوطات التوراتية التي تقارب المائتين، جلية للجميع على الرغم من أن ما نشر منها لم يزد حينها على بضعة مخطوطات. وكما فطن ألبرايت، سابقًا، في رسالته من عام 1948 (أنظر أعلاه الصفحتين 8 و9)، كان لا بد للباحثين من إعادة النظر في الدراسات التي تتناول النقد

---

[22] حرره كريستر ستندال Krister Stendahl في عام 1957، وأعيد إصداره في عام 1992 بالعنوان نفسه.

النصي[1*]، استنادًا لكمٍّ الشواهد الجديدة على النصوص العبرية، والنُسخ التي سبقت توحيد شكل النص الماسوري. وكانت مخطوطات سفر صموئيل (لا سيما النسختان (أ) و(ب) من سفر صموئيل $4QSam^{a, b}$ المكتشفتان في الكهف الرابع، وهما نصان يختلفان عن النص الماسوري، ويتفقان مع الترجمة السبعينية) قد مكّنت فرانك مور كروس في بداية الخمسينات من صياغة الخطوط العريضة لنظرية جديدة عن الأصل الجغرافي للنصوص المحلية. كما قارن ميلر بروز Millar Burrows، على المستوى العملي، مخطوطة سفر إشعياء الكبيرة بالنص الماسوري خلال رحلة بحرية قام بها إلى موطنه من فلسطين، في صيف عام 1948، بغية أن تأخذ اللجنة العاملة على إعداد ترجمة محققة معتمدة للكتاب المقدس RSV[2*] النتائج بعين الاعتبار، فأقرت اللجنة، في نهاية المطاف، ثلاث عشرة قراءة مختلفة من مخطوطة إشعياء في نسخة الترجمة المعتمدة في عام 1952.

وكان نتاج العقد الأول من دراسة المخطوطات ما يقرب من ألف وخمسمائة وخمسين كتابًا ومقالة بحثية، وضعها ستمائة وستة عشر مؤلفًا في اثنتين وعشرين لغة[23]. أما العدد الأول من الدورية المخصصة لدراسة المخطوطات حصرًا، وهي "مجلة قمران النقدية" *RQ*، فكان في مرحلة الإعداد للنشر. وقد ولنشر نسخ علمية للمخطوطات بأكملها، أسست دار النشر التابعة لجامعة

[1*] يهتم النقد النصي Textual Criticism or Lower Criticism بالتعرف على الأخطاء في المخطوطات وتصويبها؛ إذ تحوي المخطوطات القديمة عادة أخطاء أو تغييرات قام بها النساخ الذين نسخوها. ويهدف محقق النص إلى التعرف على أقرب نص للنص الأصلي أو النسخة الأقدم، أو أي نسخة أخرى وجدت من الماضي. ويختلف النقد النصي أو السفلي عن النقد العالي Higher Criticism الذي يهدف إلى تحديد المؤلفين وتأريخ النص وتحديد مكان تأليفه (المعربة).

[2*] اختصار لعبارة Revised Standard Version (المعربة).

[23] بحسب ما جاء في قائمة المؤلفات الشاملة التي جمعها كريستوف بورتشارد Christoph Burchard، وهي بعنوان *Bibliographie zu den Handschriften vom Toten Meer*, 1957.

أُكسفورد سلسلة رسمية بعنوان: "مكتشفات في صحراء اليهودية" *DJD*، صدر المجلد الأول منها عام 1955، وكان عن جذاذات الكهف الأول. لكن الحجم الهائل للمادة المكتشفة وطبيعتها المعقدة حالا دون الحفاظ على وتيرة النتائج السريعة التي اتسم بها العقد الأول. ولقد ثبت أن كلمات لانكستر هاردنج في تقديمه للمجلد الأول من سلسلة "مكتشفات في صحراء اليهودية" *DJD* كانت نبوءة صحيحة: "إن عملاً كهذا بطيء بالضرورة، وربما تمر عدة سنوات قبل أن يستكمل العمل على هذه السلسلة".

العقد الثاني: 1957-1967

لننتقل الآن قدمًا مقدار عقد من الزمان إلى ربيع عام 1967، ولنلق نظرة على الشهور التي سبقت حرب الأيام الستة، في يونيو (حزيران) من عام 1967. فقد تفرق أعضاء الفريق الدولي لمباشرة أعمالهم في جامعات أميركا الشمالية وأوروبا في صيف عام 1960، حين لم يتبق شيء من المال الذي كان تبرع به روكفلر* لدعم جهودهم. وقد كان يتنازع هؤلاء، منذ ذلك الوقت، العمل على المخطوطات (والتي كانت تحتل المرتبة الثانية في كثير من الأحيان) والمتطلبات الأخرى للحياة الأكاديمية والتدريس. إلا أنهم قد أنجزوا الكثير قبل أن يتفرقوا؛ فالجذاذات صنفت ووضعت على لوحات زجاجية وصل عددها إلى ستمائة وعشرين لوحة منسقة ومرقمة (للأسف، ألصقوا قطع المخطوطات إلى بعضها بعضًا باستخدام الشريط اللاصق الشفاف!)، ولم يبق إلا خمس وعشرون لوحة فقط تحوي الجذاذات التي لم تحدد هويتها. كما أن معظم الجذاذات قُرئت بحرص كما يتجلى في البطاقات المكتوبة بخط اليد، والتي أُعدّت في الفترة ما

---

* هو جون د. روكفلر الابن John Davison Rockefeller Jr. الذي تبرع لإنشاء متحف الآثار الفلسطيني (المعربة).

بين عامي 1957-1960، حيث دوِّنت عليها كل كلمة وردت في الجذاذات. وحُفظت هذه البطاقات في درج في "قاعة المخطوطات"، وكانت متاحة لأعضاء الفريق القادمين إلى القدس. وقد صُورت هذه البطاقات فوتوغرافيًا ونشرت في عام 1988 ضمن أوساط خاصة؛ فكانت مصدرًا لا يقدَّر بثمن، ومكنت العديد من محققي المخطوطات من إعداد نصوصهم للنشر.

ورويدًا رويدًا حُقِّقت مخطوطات مختلفة ونشرت، وكان ذلك، في بعض الأحيان، على شكل إصدارات أولية في مقالات نشرت في الدوريات، فالنصوص التي قُرئت ونوقشت خلال هذه السنين، كانت، في الواقع، أكثر بكثير مما تشير إليه قائمة المنشورات الرسمية[24]. كما توسعت السلسلة الرسمية "مكتشفات في صحراء اليهودية"؛ إذ نشرت في المجلد الثاني الذي صدر في عام 1961 مكتشفات وادي مربعات. وفي عام 1962، نشرت مكتشفات الكهوف الصغيرة، 2-3 و5-10، في المجلد الثالث من "مكتشفات في صحراء اليهودية التابعة للأردن" *DJDJ*. أما في المجلد الرابع الذي صدر عام 1965، فنشرت مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر، وهي مخطوطة مثيرة للاهتمام تحوي مزامير توراتية وغير توراتية، الأمر الذي أثار أسئلة لم تحل حتى الآن عن حقيقة وجود قانون توراتي* محدد. وكان المجلد الخامس من "مكتشفات في صحراء اليهودية" (سُلِّم للنشر في عام 1966 ونشر في عام 1968) أول المجلدات عن مكتشفات الكهف الرابع، وهو حصة جون أليغرو من التأويلات والتفسيرات التوراتية "فشاريم". وقد كانت هذه السنوات سنوات من

---

[24] على سبيل المثال نشر موريس بايه مجموعة مهمة من الصلوات بعنوان *The Words of the Luminaries,* في مقالة طويلة مسهبة في عام 1962. كما أن جون سترغنل جعل أهم أجزاء عمله *Songs of the Sabbath Sacrifice / The Angelic Liturgy* متاحًا على شكل مقالة في إحدى الدوريات في عام 1960.

* الأسفار القانونية التي تشكل العهد القديم (المعربة).

التعزيز، واستخلاص رؤى أساسية مما كان أُنجز في العقد السابق. ومن أمثلة ذلك، وضع توصيف كامل لخطوط المخطوطات اعتمد على علم خطوط الكتابات القديمة، وهو ما يزال مستخدمًا للآن في تأريخ المخطوطات[25]، بالإضافة إلى دراسات أخرى عن العلاقة بين المخطوطات والعهد الجديد، لا سيما بولس ويوحنا[26].

ولم تُحدث الذكرى العشرون للاكتشاف ضجة كبيرة، بل أن حرب الأيام الستة نفسها لم تؤدِّ إلى تغيير بالغ في دراسة المخطوطات، على الأقل في الظاهر. وقد جرى قتال في ساحات متحف الآثار الفلسطيني. كما أُخذت المواد المكتشفة في قمران من "قاعة المخطوطات" ووضعت في صناديق تمهيدًا لنقلها إلى عمان (مع ذلك لم تغادر تلك المواد المتحف قط). ويبدو أن بعض القطع قد اختفت، ومنها جذاذة جميلة وقديمة جدًا للنسخة (ب) من سفر صموئيل، اكتشفت في الكهف الرابع 4QSam[b]، وكانت معروضة في المتحف آنذاك. ولما كانت الحكومة الأردنية أمَّمت المتحف قبل ذلك بأشهر قليلة (نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 1966)، فقد أصبح المتحف والمخطوطات الآن تحت سيطرة مدير الآثار الإسرائيلي الذي سمح للفريق الدولي باستمرار العمل بالطريقة نفسها التي كانت عليها قبل عام 1967*.

---

[25] العمل الكلاسيكي الذي أسس لهذا التوصيف، كان:

Frank Moore Cross, The Development of the Jewish Scripts, *The Bible and the Ancient Near East: Essays in Honor of William Foxwell Albright*.

[26] جُمع الكثير من هذه الدراسات، فيما بعد، في كتابين مهمين، الأول لجيروم ميرفي أُكونور Jerome Murphy O'Connor، وكان بعنوان *Paul and Qumran: Studies in New Testament Exegesis*، والثاني حرره جيمس هـ. تشارلزورث James H. Charlesworth، وكان بعنوان *John and Qumran*.

* يشكل موقف المؤلفة هنا مثالاً واضحًا لموقف الباحثين الغربيين من قضية استيلاء قوات الاحتلال الإسرائيلي على المتحف وعلى ما فيه من مخطوطات على نحو يخالف القانون الدولي؛

شهد هذا العقد ركودًا في دراسات قمران؛ ساهمت فيه عدة أمور مجتمعة، ومنها وفاة رولان دوفو في عام 1971، ثم تعيين بيير بنواه Pierre Benoit، وهو أحد الآباء الدومينيكان محررًا لسلسلة *DJD*، والذي عمل على المخطوطات على نحو سطحي فقط، بالإضافة إلى الواقع السياسي المتغير. وحثت الذكرى الخامسة والعشرون للاكتشاف الباحثين على كتابة عدد من الدراسات الاستقصائية المميزة، شملت واحدة من أوائل المقالات التي بحثت في تأثير المخطوطات على الدراسات اليهودية بالتحديد[27]. لكن لم تصدر مجلدات جديدة من سلسلة *DJD* حتى نهاية هذا العقد (نشر المجلد السادس من هذه السلسلة في عام 1977). ولم تنشر مجموعة التِفيلين والمِزوزوت*، وبعض الآيات من ترجوم سفر

فهم يسكتون على هذه المخالفة تمامًا، ولا يشيرون إلى أن الإذن بالنشر كان ما يزال من حق الحكومة الأردنية وحدها! ولاحظ أن الإشارة إلى اختفاء إحدى المخطوطات جاءت غامضة، فلا يفهم مَن أخذها، في حين يذكر الدكتور عاصم البرغوثي في شهادته التي سينشرها المشروع الأردني لمخطوطات البحر الميت، وقد كان أميناً للمتحف عند اقتحام قوات الاحتلال الإسرائيلي له، أنه شاهد جنودًا إسرائيليين يأخذون بعض موجودات خزائن المتحف (المعربة).

[27] انظر:

Geza Vermes, The Impact of the Dead Sea Scrolls on Jewish Studies During the Last Twenty Five Years, *JSS* 26 (1975), 1-14.

* نوعان من التمائم: التفيلين صندوقان من الجلد الأسود بداخلهما مخطوطات من الجلد، كتبت عليها آيات من العهد القديم. والتيفلين نوعان، نوع يوضع على الذراع، أو اليد، أو الأصابع، وهناك نوع يربط على الجبهة. وبحسب التوراة فإنه لا بد من وضع التفيلين كإشارة على مساعدة الإله لبني إسرائيل في خروجهم من مصر. أما المِزوزوت ومفردها مِزوزا فهي قطعة من الجلد الأسود توضع في صندوق مزخرف، يوضع على الأعمدة الجانبية للأبواب، وتكتب على تلك القطعة من الجلد آيات محددة من العهد القديم، وهي الآيات الرابعة حتى التاسعة من الأصحاح السادس من سفر التثنية، والآيات الثالثة عشرة إلى الحادية والعشرين من الأصحاح الحادي عشر من السفر نفسه (المعربة).

اللاويين* الكثير من ردود الأفعال، بل إنها عمقت، وبطريقة غير مباشرة، الإحساس بأن الإثارة والبهجة بالجديد قد انصرفتا عن الدراسات المتعلقة بقمران. وقد أثار نشر ميلك للجذاذات المكتوبة بالآرامية من سفر إخنوخ في عام 1976، وطرحه لنظريات ذات أهمية كبيرة في كتاب ضخم، نقاشًا جديرًا بالاهتمام[28]. لكن الذي استحوذ على الاهتمام كان، في الواقع، ادعاء عالم البرديات الإسباني خوسيه أوكالهان José O'Callaghan، بأن بعض الجذاذات المكتوبة باليونانية، والمكتشفة في الكهف السابع، قد تكون، في الحقيقة، نسخًا من نصوص العهد الجديد[29]. وقد استغلت وسائل الإعلام الشعبية البعد المسيحي للموضوع، لا سيما القول بأن الاكتشاف هو لقطع صغيرة من أسفار رسالة تيموثاوس الأولى، وأعمال الرسل، بل حتى رسالة بطرس الثانية. ويعني تأريخ هذه القطع إلى فترة مبكرة تسبق عام 68 للميلاد أن "سبعة أطنان من أوراق الأبحاث الألمانية المتعلقة بالعهد الجديد يمكن الآن إرسالها إلى المحرقة" (كما صاغ ذلك أحد الصحفيين بشيء من الحماس). ولم تثبت قط أي علاقة

---

* ترجمة آرامية لسفر اللاويين، وجدت أجزاء صغيرة منها في الكهف الرابع من كهوف قمران، وهي تمثل ترجمة للآيات الأولى إلى الخامسة عشرة، والآيات الثامنة عشرة إلى الحادية والعشرين من الأصحاح السادس عشر من سفر اللاويين. ويُرمز إليها بحسب الترقيم المستخدم لمخطوطات قمران بالرمز 4Q156 (المعربة).

[28] لم يكن هذا الكتاب أحد منشورات سلسلة *DJD* الرسمية، بل كتاب مستقل وضعه ج. ت. ميلك بالتعاون مع ماثيو بلاك Matthew Black، جاء بعنوان: *The Books of Enoch: Aramaic Fragments of Qumran Cave 4*.

[29] نشر خوسيه أوكالهان عمله بالإسبانية، لكنه سرعان ما ترجم إلى الإنجليزية:

José O'Callaghan, New Testament Papyri in Qumrân Cave 7? Supplement to *JBL* 91, (1972), 1-14.

بين أي من جذاذات الكهف السابع ومقاطع من العهد الجديد، على الرغم من محاولات إحياء المسألة بين حين وآخر[30].

وباستثناء عدد قليل من هذه الترهات البراقة، فإن الشعور الذي كان سائدًا في عام 1977 هو ما عبَّر عنه مايكل نب Michael Knibb من جامعة لندن في مقالة تشير إلى نهاية العقد الثالث:

> [مضى] الآن ما يقرب من ثلاثين عامًا منذ الاكتشاف الأول لمخطوطات البحر الميت ... وليس ثمة ما هو مثير ليُحكى؛ فلا اكتشاف عظيم، ولا كتاب جديد مبدع يزودنا بدليل لتفسير المخطوطات ... ونسبيًا، بدأت المخطوطات تغرق في طي النسيان علميًا، ويرجح حاليًا استفحال الأمر بسبب سيطرة اكتشاف الرقم الطينية من إيبلا على مخيلة العامة[31].

العقد الرابع: 1977-1987

كان العقد التالي 1977-1987 هو الآخر "زمن الأشياء الصغيرة" (الآية العاشرة من الأصحاح الرابع من سفر زكريا)؛ إذ امتد إلى هذا العقد الخمول والعزلة اللذان اتسم بهما العقد السابق. إلا أن رياح التغيير بدأت تهب، وبشكل غير ملحوظ أحيانًا، حتى هبت العاصفة بكامل قوتها في العقد التالي. وقد بدأنا

---

[30] انظر: Carsten Peter Thiede, *The Earliest Gospel Manuscript? The Qumran Papyrus 7Q5 and its Significance for New Testament Studies* كمثال على إحدى المحاولات الحديثة لإحياء هذه القضية.

[31] انظر:

Michael Knibb, Keeping up with Recent Studies: The Dead Sea Scrolls: Reflections on Some Recent Publications, *ET* 90 (1978-1979), 294.

نسمع في بداية الثمانينات نظريات مختلفة جذريًا عن أصل المخطوطات، وعن الجماعة أو الجماعات التي أنتجتها؛ فعلى سبيل المثال، أنكر نورمان غولب Norman Golb وجود أية علاقة جوهرية بين الآثار المكتشفة في خربة قمران (والتي عدَّها حصنًا حشمونيًا) والمخطوطات التي زعم أنها جلبت من مكتبات القدس، وأخفيت خلال الثورة اليهودية[32]. أما روبرت آيزنمان Robert Eisenman فاستبنى حركة ثورية مسيحانية ضمت يوحنا المعمدان والمسيح ويعقوب[*1] (كمعلم الحق)، في نضال شرس ساخط ضد نفوذ الإمبراطورية الرومانية وضد بولس[*2] (رجل الكذب)[33]. وقد حظيت آراء غولب بمناقشات جادة في الخمس عشرة سنة الماضية؛ ففي الوقت الذي ألقى فيه غولب الضوء على عدد من مواضع الخلل الحقيقي في الفهم التقليدي، إلا أن فرضيته فشلت في تفسير جميع المعطيات بشكل متكامل. أما آيزنمان؛ فنجح في جذب انتباه سلسلة من الصحفيين الذين حققوا لآرائه شهرة كبيرة في وسائل الإعلام الشعبية أكثر بكثير مما حظيت به في الأوساط العلمية[34].

---

[32] انظر:

Norman Golb, The Problem of Origin and Identification of the Dead Sea Scrolls, *PAPS* 124 (1980), 1-24.

[*1] يُعتقد أنه أحد تلامذة المسيح الاثني عشر، ويسمى أيضًا القديس يعقوب البار، وهو كاتب رسالة يعقوب، أحد أسفار العهد الجديد (المعربة).

[*2] أحد تلامذة المسيح كذلك (المعربة).

[33] انظر كتابي آيزنمان:

– *Maccabees, Zadokites, Christians and Qumran.*

– *James the Just in the Habakkuk Pesher.*

[34] أصبحت نظرية آيزنمان، على سبيل المثال، معروفة لدى جمهور العامة تمامًا، من خلال تقديمها في كتاب مايكل بايجنت Michael Baigent، وريتشارد لاي Richard Leigh،

وانبثقت من النصوص الجديدة حياة مثمرة وجديدة؛ لا سيما نشر "مخطوطة الهيكل" تحديدًا؛ فهي أضخم مخطوطات قمران (أطول بمتر من مخطوطة سفر إشعياء كاملة)، كما أنها تصف من خلال تفاصيل شاملة ضوابط متعلقة بالبناء المادي للهيكل وما حوله، وقوانين الأضحية، وطقوس الطهارة والنجاسة، وقرابين الأعياد، وقوانين المَلِك، والشهود والقَسَم، وضوابط للحرب وللزواج. وقد حصل يجال يادين على هذه المخطوطة خلال حرب الأيام الستة، ونشرت باللغة العبرية في عام 1977، وبالإنجليزية في عام 1983[35]، مما جعلها متاحة على نحو أوسع. ويبقى هذا العمل إلى اليوم أحد أكثر نصوص قمران غموضًا. وقد ساهمت "مخطوطة الهيكل" في إبراز مسألتين، صارتا، وعلى نحو مطرد، محور الاهتمام في الدراسات المتعلقة بقمران، وهما: أولاً، الأهمية الكبيرة للنصوص القانونية (الهالاخية)، والتي تضاف إلى النصوص اللاهوتية والآخروية، التي كانت بؤرة الاهتمام حتى ذلك الحين (لا سيما بالنسبة للباحثين المسيحيين)؛ وثانيًا، الإقرار بأن النصوص المكتشفة في الكهوف ليست كلها ذات منبع واحد بالضرورة. وعلى الرغم من أن يادين افترض أن "مخطوطة الهيكل" هي أحد النصوص التي كتبها الإسينيون، إلا أن باحثين آخرين ألقوا الضوء على اختلافات مهمة في الفكر وفي النظام القانوني في المخطوطة، تشير إلى أن مصدرها من بيئة دينية أخرى (على الرغم من أن المخطوطة وصلت في نهاية

The Dead Sea Scrolls Deception، ومن خلال كتاب نيل آشر سيلبرمان Neil Asher Silberman المعنون *The Hidden Scrolls*.

[35] أصبحت قصة استعادة "مخطوطة الهيكل" معروفة لدى الجمهور تدريجيًا، انظر مقالة يجال يادين: The Temple Scroll- The Longest and Most Recently Discovered Dead Sea Scroll, *BAR* (1984), 32-49. انظر كذلك مقالة هـ. شانكس:

Intrigue and the Scroll: Behind the Scenes of Israel's Acquisition of the Temple Scroll, *BAR* 13 (1987), 23-27.

وأيضًا ذكريات فرانك مور كروس في كتاب شانكس: *Conversations with a Bible Scholar* .135-142

المطاف إلى الكهف الحادي عشر من كهوف قمران). ثم بدأ يتبلور شكل جديد بالكامل من النقاش، وهو ما يعبر عنه اليوم، في كثير من الأحيان، من خلال التمييز بين النصوص "الطائفية" (التي تتميز باستخدامها لمصطلحات معينة، ووجهات النظر الفكرية، وإشارات إلى بنية الجماعة، وإلى معلم الحق، وتجنب لفظ الأحرف الأربعة لاسم الإله يهوه *Tetragrammaton*)، وبين النصوص "غير الطائفية" (وهي في غالبيتها صلوات وحكايات بلاط*، ونصوص رؤيوية، وإعادة رواية لقصص توراتية، كتب معظمها باللغة الآرامية) التي لا تتسم بأي من الخصائص التي تميز "النصوص الطائفية". وربما كانت هذه النصوص نتاجًا "للتيار السائد في اليهودية"، ومع ذلك فقد كانت ذات أهمية لجماعة قمران، ولهذا حفظت في مكتبتهم. وتعدُّ النصوص "غير الطائفية"، والتي كتبت على الأرجح في القرنين الرابع أو الثالث أو بداية القرن الثاني قبل الميلاد، نافذة مهمة على الفترتين الفارسية المتأخرة والهلنستية المبكرة، وهما فترتان لا نعرف منهما الكثير عن اليهودية[36].

وأخيرًا، وفي عام 1982، صدر مجلد رئيس جديد من *DJD*، وهو المجلد السابع من هذه السلسلة. وتستحق التعليقات الافتتاحية للمحقق موريس باييه القراءة؛ فهي صرخة عاطفية واحتجاجية تنقل للقارئ شعور مَن عمِل طويلاً وباجتهاد كبير، على مدى سنوات عديدة، على آلاف الجذاذات البالغة الصغر والشديدة الصعوبة، في ظروف شخصية وسياسية شاقة. وقد اشتمل هذا المجلد على ست

---

* قصص وحكايات ترتبط بشخصيات توراتية في قصور ملوك مصر وبابل وفارس، كما هو الحال في قصة يوسف، أو في الأصحاحات الأول إلى السادس من سفر دانيال، أو في سفري إستير وعزرا (المعربة).

[36] تُعدُّ مسألة تحديد ما إذا كان النص طائفيًا أم غير طائفي مسألة معقدة، انظر التناول المميز والمتعدد الجوانب في مقالة كارول نيوسوم Carol Newsom: "Sectually Explicit" Literature from Qumran, in *Hebrew Bible and its Interpreters*, 167-187.

أو سبع نسخ متشظية جدًا من "مخطوطة الحرب". ولا تبدو لهذه المخطوطة، وللوهلة الأولى، أهمية تذكر؛ نظرًا لأننا كنا نعرف نسخة الكهف الأول من "مخطوطة الحرب" منذ الخمسينات، وهي أتم وأوفى بكثير. ومع ذلك فلم تكن هذه مجرد نسخ، بل كانت صيغًا مختلفة من "مخطوطة الحرب". وقد أصبح من الممكن الآن أن نتبين شيئاً من العملية المعقدة التي انطوت عليها أنشطة التنقيح والمراجعة الفكرية، التي شكلت ماعرفناه ببساطة باسم "مخطوطة الحرب". وقد تجلى بعد ذلك شيء من العملية نفسها المتعددة الأطوار، والتي استخدمت في التأليف والتنقيح والمراجعة، لا سيما عندما نشرت في نهاية المطاف، نسخ الكهف الرابع من "قانون الجماعة" و"مخطوطة مزامير الشكر"؛ إذ نشرت نسخة "قانون الجماعة" في المجلد السادس والعشرين من سلسلة *DJD* في عام 1998، و"مخطوطة مزامير الشكر" في المجلد التاسع والعشرين من السلسلة نفسها في عام 1999. وبات جليًا أن هذه النصوص الطائفية الرئيسة كانت معقدة بمجملها، وكان لا بد للباحثين أن يطوروا أساليبًا أكثر نضجًا للنظر في تطورها الأدبي، وفي العلاقة المتبادلة بين العالَم الموصوف في النصوص والحقيقة التاريخية. وعلاوة على ذلك، مكّن نشر المجلد السابع من *DJD* الباحثين من إدراك حجم نوع أدبي آخر وأهميته، يتمثل في النصوص الطقوسية في مدونة نصوص قمران؛ فقد نشر بابيه مجموعات من الصلوات لكل يوم من أيام الأسبوع (المخطوطات من 504 إلى 506 المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q504-506، وصلوات لكل يوم من أيام الشهر (المخطوطة رقم 503 المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q503، وصلوات للأعياد الرئيسة (المخطوطات من 507 إلى 509 المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q507-509، وتراتيل "لإرهاب الأرواح ... والجن وإخافتهما" (المخطوطتان رقم 510 و511 المكتشفتان في الكهف الرابع) 4Q510-511، وطقوس للطهارة (المخطوطة رقم 512 المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q512. وثمة نص مثير للاهتمام، كثير الجذاذات، لنوع من الشعائر

الطقوسية البهيجة، يوسم باسم (ربما فيه بعض تضليل) "طقس الزواج" (المخطوطة رقم 502 المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q502.

وبذلت في العقد 1977-1987 جهود مدروسة لزيادة عدد الأشخاص الذين يعملون على نشر المخطوطات. وأصبح جون سترغنل مساعدًا لبنواه، وخلفه فيما بعد في رئاسة فريق المحققين الدولي. وكمبادرة من سترغنل، شاركت أول مجموعة من جيل جديد من الباحثين الإسرائيليين في مهمة النشر (من هؤلاء إيمانويل طوف Emanuel Tov، وإليشا قمرون Elisha Qimron، وديفورا ديمانت Devora Dimant). كما عهد كل من سترغنل وكروس بمخطوطات مختارة إلى طلاب الدراسات العليا لديهما بغية إعداد النشرة الأولى منها؛ فبات مزيد من النصوص الجديدة متاحًا في هذا العقد، ليس في السلسلة الرسمية *DJD*، ولكن على شكل أطروحات لنيل درجة الدكتوراه، وعلى هيئة منشورات أولية[37]. وكانت ألقيت في المؤتمر الدولي عن الآثار التوراتية في القدس، في عام 1984، ورقة عمل موجزة بعنوان: "رسالة هالاخية غير منشورة من قمران" An Unpublished Halakhic Letter from Qumran، قدمها كل من جون سترغنل وإليشا قمرون، مما كان له وقع خاص؛ إذ تولد شعور عظيم بالإثارة عندما أعلنا أنهما يعملان على الوثيقة 4QMMT المسماة بالعبرية "مِقْصات مَعاسيْه هَتوراه" أي "بعض تعاليم التوراة"، وهي نص ربما يزودنا بمعلومات جديدة عن تأسيس الطائفة. ولدينا هنا، بحسب قمرون، "رسالة من أحد قادة طائفة قمران (قد يكون معلم الحق نفسه) إلى زعيم خصومه"، تروي بالتفصيل اختلافات تفسير الشريعة "بينكم

---

[37] انظر، مثلاً، رسالتي الدكتوراه اللتين نشرتا ضمن سلسلة *Harvard Semitic Studies Series*:

- Carol Newsom, *Songs of the Sabbath Sacrifice: A Critical Edition* (1985).
- Eileen Schuller, *Non-Canonical Psalms from Qumran: A Pseudepigraphic Collection* (1986).

و"بيننا"، ونتيجة لذلك "سنعزل أنفسنا عن أغلبية النا[س]*". وكان شعور الترقب الذي أثارته هذه الوثيقة، والتي نشرت مؤخرًا، أكثر أهمية من محتوياتها بحد ذاتها؛ فتساءل المهتمون حينئذ: إذا كانت هذه الوثيقة لم تنشر بعد، فما الذي بقي دون نشر أيضًا؟

العقد الخامس: 1987-1997

حالما نصل إلى سنة 1987 والسنوات التي تليها؛ تتخذ مسألتا إتاحة المجال للوصول إلى المخطوطات وسرعة نشرها مركز الصدارة في اهتمامات الباحثين. وكان جيزا فيرمش من جامعة أكسفورد حذر قبل ذلك بسنوات من "إن لم تؤخذ على الفور إجراءات حاسمة؛ فإن المكتشفات الكتابية العبرية والآرامية الأعظم والأهم، قد تصبح فضيحة أكاديمية لا مثيل لها في القرن العشرين"[38]. لكن بالكاد كان لكلماته أي وقع في عام 1977. ومع ذلك، كان مرور عشر سنوات أخرى من الشح في النشاط العلني، وظهور جيل جديد من الباحثين المختصين في المخطوطات، وحتى الوضع السياسي العالمي (شهدت تلك السنوات ظهور "الغلاسنوست"، أي حرية الرأي والتعبير، وسقوط جدار برلين) يعني أن السنوات التالية للذكرى الأربعين للاكتشاف؛ أي "الفضيحة الأكاديمية التي لا مثيل لها"، قد أصبحت دراما حقيقية سُطِّرت على صفحات المجلة النقدية للآثار التوراتية *BAR*، ونيويورك تايمز *New York Times*، وناشونال إنكويرر *National Inquirer*. وكان لاستمرار التأخير في نشر المخطوطات أسباب

---

* يدل استخدام القوسين [ ] في هذا الموضع من النص، أو في سواه من النصوص الواردة في مخطوطات البحر الميت، على وجود قطع في المخطوطة أو الجذاذة، أو على وجود حروف لا يمكن قراءتها (المعربة).

[38] انظر: Geza Vermes, *The Dead Sea Scrolls: Qumran in Perspective*, p. 24.

عديدة، وهي أسباب مأساوية أكثر من كونها مخططات شريرة؛ فهي ليست "مؤامرة من الفاتيكان"، ولا غطرسة جامحة من المحققين الأصليين، بل هي أسباب عادية، مثل نقص المال، وضيق الوقت، والتقصير في الإدراك المبكر لضخامة المهمة وصعوبتها، ومآسٍ شخصية مثل الإدمان على الكحول والإصابة بالمرض. وفي ديسمبر (كانون أول) من عام 1990، أُزيح جون سترغنل من منصبه، وعين إيمانويل طوف من الجامعة العبرية في القدس رئيسًا لفريق تحقيق المخطوطات، إلى جانب إميل بويش Émil Puech من المدرسة التوراتية الفرنسية، ويوجين أولريش Eugene Ulrich من جامعة نوتردام (أخذ على عاتقه المسؤولية الرئيسة عن المادة التوراتية). وبلغت الأحداث ذروتها في خريف عام 1991، حين أعلنت دائرة الآثار الإسرائيلية في الكنيست، في السابع والعشرين من أكتوبر (تشرين أول) من عام 1991، عن رفع الحظر عن الوصول إلى المخطوطات وإلى صورها الفوتوغرافية.

وبعد هذه الدراما والانفعال المفرط اللذين اتسمت بهما الفترة الانتقالية من عام 1990-1991، بدأ العمل الحثيث على نشر النصوص، إلا أن أحداث عام 1991 لم تتح لمعظم الباحثين في أنحاء العالم فرصة الوصول إلى المخطوطات. وإنما جاء نشرها عام 1993 عندما ظهرت أول نسخة كاملة من المخطوطات على هيئة ميكروفيش من الشرائح السلبية[39]. وبذلك أصبح بإمكان كل من يملك تسعمائة دولار وجهاز عرض جيد للميكروفيش أن يطلع مباشرة على شرائح الصور جميعها، والبالغ عددها ستة آلاف ومائتين وتسعًا وستين شريحة. وسرعان ما تجلت بعض المخاطر المتوقعة لهذا الوصول اليسر إلى المخطوطات؛ إذ وجدت

---

[39] انظر: *The Complete Dead Sea Scrolls Microfiche and Companion Volume*، وقد أعده إيمانويل طوف، بالتعاون مع ستيفن فان Stephen Pfann. وفي عام 1996 أُتيحت نحو 1600 صورة من مجموعة جون أليغرو للاطلاع عليها، ونشرت في كتاب بعنوان: *The Allegro Collection* والذي حرره جورج ج. بروك George J. Brooke.

بعض النصوص الصغيرة المشوقة (على سبيل المثال ما يسمى بنص "المسيحاني المصلوب") طريقها إلى الصفحة الأولى من صحيفة نيويورك تايمز، دون مراجعة دقيقة أو إعادة نظر متزنة فيما ينشر. لكن ثبت، من ناحية أخرى، أن ثمة تبسيطًا شديدًا للأمور، من خلال الافتراض بأن جميع المعنيين بالمخطوطات كانوا يتوقون لبدء العمل على قراءة نصوص جديدة. وكنت حذرت كرئيسة مشاركة لقسم قمران في جمعية الأدب التوراتي مرارًا وتكرارًا، خلال تلك السنوات من المقالات التي توقعت أن تغمرنا، ذلك لأنني حسبت أن باحثين طموحين من الشباب وجيلاً آخر يكبرهم ممن حرموا من الوصول إلى المخطوطات لأكثر من أربعين عامًا، سينكبون الآن على نشرها بلهفة. لكن لم يكن هذا هو الحال؛ فالعمل الفعلي لنشر نص متشظ جدًا (وهو حال النصوص كلها التي كانت لم تنشر بعد) يعني براعة في علم الخط، وإلمامًا بالمخطوطات، وبحثاً طويلاً مضنيًا عن كل الجذاذات المتشابهات بدءًا من الصفر، وضرورة الانتباه الدقيق للتفاصيل، والإحباط لمجرد عدم وجود مادة كافية تتيح الخروج باستنتاجات كبيرة. فكل هذه الأمور مجتمعة لم تغر أعدادًا كبيرة من الناس بتكريس شهور أو سنوات من حياتهم لأجل بضعة سطور تالفة. وقد بقي العمل الفعلي المتعلق بتحقيق النصوص ونشرها في أيدي مجموعة صغيرة نسبيًا من المختصين؛ إذ أعاد إيمانويل طوف تقسيم النصوص المتبقية، وأسند نشرها إلى باحثين، وشارك ما يقرب من ثلاثة وخمسين باحثاً إضافيًا في تجهيز مخطوطة أو أكثر لنشرها في سلسلة *DJD*[40]".

ومن الخصائص المميزة لهذا العقد، انعقاد سلسلة من المؤتمرات العلمية الدولية، بفاصل زمني يتراوح بين سنة أو سنتين، وكان أول هذه المؤتمرات في نيويورك

---

[40] يمكن الاطلاع على القائمة الكاملة لأسماء محققي سلسلة *DJD* في المجلد النهائي (انظر ملاحظة المعرفة في الصفحة س) الذي يحمل الرقم تسعة وثلاثين، في الصفحات من 21-25.

تكريمًا ليجال يادين في عام 1985، تبعه في عام 1987 احتفال بالذكرى الأربعين للاكتشاف عقد في أُكسفورد، ثم في حيفا في عام 1988، وخرونينغن (هولندا) في عام 1989، ومدريد في عام 1991، ونوتردام في عام 1993، والقدس في عام 1994، وبروفو (الولايات المتحدة الأميركية) في عام 1996، وقد توجت هذه اللقاءات في عام 1997 بمؤتمر ضخم عقد في القدس احتفالاً بالذكرى الخمسين للاكتشاف. كما عقدت بدءًا من العام 1992 لقاءات دورية كل ثلاث سنوات، للمنظمة الدولية لدراسات قمران، يضاف إلى ذلك، المؤتمر السنوي لمركز أوريون الذي أنشئ حديثاً، وهو مركز مختص بدراسة مخطوطات البحر الميت والأدب المرتبط بها، في الجامعة العبرية، وقد عقد أول هذه المؤتمرات في عام 1996. وتعدُّ أوراق العمل التي عرضت في هذه المؤتمرات، والتي نشرت لاحقًا في مجلدات، من ضمن المؤلفات الرئيسة التي صدرت عن قمران في هذا العقد. وقد ساهمت هذه المؤتمرات في نشوء جماعة دولية من الباحثين تربطهم علاقات من العمل المشترك والصداقات الشخصية، أكثر مما تربطهم الورقة المطبوعة، وكثيرًا ما تصبح بعض النصوص والنظريات الجديدة معروفة بين المشاركين قبل عامين من صدور النسخة المطبوعة.

وبعد فترة انقطاع تلت نشر المجلد السابع من *DJD* في عام 1982، كان المجلدان اللذان صدرا بعد ذلك مختصين جدًا، وجذبا انتباه عدد قليل من الباحثين غير المختصين في نقد النصوص؛ فقد نشر المجلد الثامن من *DJD*، والذي جاء بعنوان "مخطوطة الأنبياء الثانويين المكتوبة باليونانية من وادي خبرا" *The Greek Minor Prophets Scroll from Nahal Hever*، في عام 1990، واحتوى المجلد التاسع الذي نشر في عام 1992 على مخطوطات توراتية مكتوبة بالعبرية القديمة وباليونانية. وبحلول النصف الثاني من العقد الخامس، بدأ فريق المحققين بقيادة طوف يصدر المجلدات بسرعة وهمَّة كبيرتين؛ ففي عام 1994، وبعد طول انتظار، نشرت في المجلد العاشر المخطوطة التي تحتوي على النص 4QMMT،

كما نشرت المخطوطات التوراتية على النحو الآتي: من سفر التكوين إلى سفر العدد في المجلد الثاني عشر، في عام 1994، ومن سفر التثنية إلى سفر الملوك في المجلد الرابع عشر، في عام 1995، وأسفار الأنبياء في المجلد الخامس عشر، في عام 1997، كما نشرت ثلاثة مجلدات من نصوص ملحقة بالنصوص التوراتية، وهي على التوالي: المجلد الثالث عشر في عام 1994، والمجلد التاسع عشر في عام 1995، والمجلد الثاني والعشرون في عام 1996. ونشرت نسخ "وثيقة دمشق" المكتشفة في الكهف الرابع في المجلد الثامن عشر في عام 1996، كما نشر المجلد الأول من نصوص الحكمة، وهو المجلد العشرون من سلسلة *DJD* في عام 1997. وفجأة واجهت الباحثين مشكلة جديدة، وهي إيجاد الوقت لقراءة كل النصوص التي باتت متاحة الآن!

وصارت تُسمع، مع نشر النصوص وإتاحة دراستها، مطالب مشابهة بنشر المواد الآثارية جميعها. وفي عام 1987، وبالتزامن مع الذكرى المئوية لتأسيسها، شكلت المدرسة التوراتية الفرنسية فريقًا من الباحثين، بغية تجهيز تقرير آثاري نهائي حول العمل الذي كان أنجز في خربة قمران تحت إشراف رولان دوفو في الفترة ما بين عامي 1951-1956؛ أي اللقى الأثرية جميعها (الفخار، والأواني الزجاجية، والمسكوكات، والأواني المعدنية والحجرية، والمصابيح)، والمواد التي تحوي نقوشًا كتابية (ما يقرب من سبعين نقشًا قصيرًا كتب بعضها على كسر فخارية، وجاء بعضها الآخر على شكل مخربشات)، بالإضافة إلى سجلات العمل الميداني اليومي. وقد صدر المجلد الأول في عام 1994، واشتمل على نحو خمسمائة وثمان وثلاثين صورة من الخمسينات، بالإضافة إلى ملاحظات دوفو الميدانية[41]، مجموعة ومصنفة. وقد ولّد هذا الالتفات المتجدد

---

[41] أصدر الكتاب كل من جان- بابتيست أمبير Jean Baptiste Humbert، والآن شامبو Alain Chambon، وحمل عنوان *Fouilles de Khirbet Qumrân et de Aïn Feshkha*. وفي عام 2003

للآثار فيضًا من نظريات متنوعة ومتناقضة، كما هو الحال في النظريات التي نجمت عن دراسة النصوص. ومن جديد، تكثر النظريات عندما تكون الأدلة الإجمالية غير متوافرة بعد. وقد قُدِّمت اقتراحات مختلفة لتحديد طبيعة القرية في قمران؛ فعد دونسيل Donceel وزوجته الموقع ضيعة مترفة[42]، وعده أمبير Humbert مجموعة مساكن حشمونية، تحولت فيما بعد إلى مركز للعبادة اتخذها الإسينيون أماكن لتقديم الأضاحي[43]، أما كراون وكانسديل Crown and Cansdale فيصفانه بأنه مستودع تجاري للبضائع[44]. وثمة العديد من الآثاريين (جودي ماغنس[45] Jodi Magness على وجه الخصوص) الذين يواصلون الدفاع عن ما خلُص إليه دوفو وصقله؛ وهو أن أفضل تفسير للخصائص المميزة للموقع (من مبانٍ ضخمة، ومرافق مائية شاملة، وجدران) هو عدُّها بقايا لقرية طائفية تشاركية.

ترجم ستيفن فان الجزء الذي يحتوي على ملاحظات دوفو الميدانية ونقحه، ونشره في كتاب بعنوان *The Excavations of Khirbet Qumran and Aïn Feshkha*.

[42] نشر روبير دونسيل Robert Donceel، وبولين دونسيل- فوت Pauline Donceel-Voûte، مقالة بعنوان:

The Archaeology of Khirbet Qumran, in Michael O. Wise et al. *Methods of Investigation of the Dead Sea Scrolls and the Khirbet Qumran Site, 1-38.*

[43] انظر مقالة جان- بابتيست أمبير بعنوان:

L'espace sacré a Qumrân: propositions pour l'archéologie, *RB* 101 (1994), 162-214

[44] انظر:

Alan D. Crown and Lena Cansdale, Qumran: Was it an Essene Settelment, *BAR* 20 (1994), 24-35 and 73-78.

[45] يتضمن كتاب *The Archaeology of Qumran and the Dead Sea Scrolls* لجودي ماغنس Jodi Magness أشمل دراسة آثارية ممكنة في هذا الوقت، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن كثيرًا من اللقى الأثرية من أوانٍ فخارية وزجاجية لم ينشر بعد.

تركز الاهتمام على استكمال نشر جميع المخطوطات بعد الإثارة التي نجمت عن الاحتفالات المتعددة طوال عام 1997 بمناسبة الذكرى الخمسين للاكتشاف. وكرئيس للمحققين، أظهر إيمانويل طوف مهارة تنظيمية رائعة، وخبرات واسعة في النواحي الفنية للإنتاج، والقدرة على تشجيع المحققين، وفي بعض الأحيان، الضغط عليهم. واستمر إصدار مجلدات *DJD* على وتيرة ثابتة؛ فصدرت النصوص الطقوسية في المجلدين الحادي عشر، في عام 1998، والتاسع والعشرين، في عام 1999. أما المادة المكتشفة في الكهف الحادي عشر، وهي مادة اشترتها الأكاديمية الهولندية، فقد نشرت في المجلد الثالث والعشرين، في عام 1998. كما نشرت نسخ الكهف الرابع من "قانون الجماعة" والنصوص المرتبطة به، في المجلد السادس والعشرين، في عام 1998، وتعاليم الحكمة الكبيرة، في المجلد الرابع والثلاثين، في عام 1999، والنصوص الهالاخية، في المجلد الخامس والثلاثين، في عام 1999، والنصوص المكتوبة بالرموز، في المجلد السادس والثلاثين، في عام 2000، وسفر المزامير إلى سفر أخبار الأيام، في المجلد السادس عشر، في عام 2000، والنصوص الآرامية، في المجلد الحادي والثلاثين، في عام 2001، والنصوص المتعلقة بالتقويم، في المجلد الحادي والعشرين، في عام 2001، والنصوص النبوئية الزائفة، في المجلد الثلاثين، في عام 2001. أما المجلد الثامن والثلاثون، وهو مجلد لا محيص عنه في مثل هذا العمل، فخصص للنصوص المتفرقة، ونشر في عام 2000. وبالإضافة إلى ذلك، نشر المجلد الثالث والثلاثون، في عام 2001، والذي ضم الجذاذات غير المحددة الهوية، وهي في مجملها قطع صغيرة جدًا تحوي بضعة أحرف أو أجزاء منها. ولكن منذ صدور المجلد إلى الآن، حُددت مبدئيًا هوية ما لا يقل عن اثنتي عشرة جذاذة، كجزء من نص توراتي أو نص سبق نشره (في كثير من الأحيان، تُحدد

هوية الجذاذات بمساعدة برامج التحليل بالحاسوب لمطابقة مجموعات تحتوي على حرفين أو ثلاثة على مدى بضعة أسطر).

وقد احتُفل رسميًا باستكمال النشر في سلسلة *DJD*، والتي بُدئ العمل فيها في عام 1955، في اجتماع جمعية الأدب التوراتي في دنفر كولورادو، في عام 2001. وكما هو الحال غالبًا في دراسة المخطوطات، فإن الوعد والواقع لم يتطابقا تمامًا؛ إذ لم يصدر مجلدان، حتى ذلك الحين، أحدهما للجذاذات الآرامية، والتي كان يفترض أن تنشر في المجلد السابع والثلاثين*، والآخر لمخطوطات سفري صموئيل الأول والثاني التي طال انتظارها، والتي نشرت لاحقًا، في المجلد السابع عشر، في عام 2005. ولدينا اليوم أحد عشر ألفًا وخمسمائة وأربع وتسعون صفحة من النصوص، وألف وثلاثمائة واثنتا عشرة لوحة من الجذاذات.

ومن المتأمل أن يتم كذلك نشر البقايا الأثرية. أما المجلد الثاني من السلسلة الآثارية، والذي نشر في عام 2003، فأتاح، ولأول مرة، المجال للمهتمين الاطلاع على كل النقوش المكتوبة على كسر الفخار، وعلى كل المخربشات، بالإضافة إلى سلسلة من الدراسات ذات الطبيعة التقنية؛ مثل الدراسات التي أجريت على الفخار، وتأريخ الكربون المشع 14، والمنسوجات، والدراسات على الحمّامات والبرك التي استخدمت لأغراض طقوسية، بالإضافة إلى المعادن[46].

---

* نُشر المجلد السابع والثلاثون من سلسلة *DJD*، في عام 2008، وقام بتحقيقه إميل بويش وحمل العنوان *Textes araméens, deuxième partie: 4Q550–575, 580–582*. أما الجزء الأول من النصوص الآرامية فنشر في عام 2001، في المجلد الحادي والثلاثين، لإميل بويش كذلك (المعربة).

[46] انظر المجلد الثاني (2003)، وهو بعنوان: *Studies of Anthropology, Physics and Chemistry* من كتاب جان- بابتيست أمبير والآن شامبو، بعنوان *Fouilles de Khirbet Qumrân et de Aïn Feshkha*.

وسأترك النقاش حول ما يمكن أن نتوقعه فيما تبقى من هذا العقد للجزء الأخير من هذا الكتاب (الصفحات 126-131)، عندما نتطلع إلى مستقبل البحث في المخطوطات.

الفصل الثاني

ماذا تعلمنا عن العهد القديم؟

تفحصنا في الفصل السابق إعلانين مبكرين عن اكتشاف مخطوطات البحر الميت، والقول بأنه اكتشاف يحمل في طياته القدرة على "إحداث ثورة في فهمنا" للديانتين اليهودية والمسيحية المبكرتين كلتيهما. والآن، وبعد مرور أكثر من خمسين عامًا، لا تزال لغة الثورة والفهم الجديد مستخدمة عندما ينصب النقاش على المخطوطات التوراتية تحديدًا؛ فعلى سبيل المثال، بدأ يوجين أولريش، وهو محقق للعديد من نسخ أسفار العهد القديم العبري المكتشفة في قمران محاضرته في مؤتمر القدس، في عام 1997 بالقول: "ليس من الإفراط القول إن المخطوطات التوراتية المائتين المكتشفة في قمران قد أحدثت ثورة في فهمنا للتاريخ القديم لنص العهد القديم"[47]. وعلى نحو مماثل، أعادت ديفورا ديمانت إلى الأذهان هذه المسألة، في احتفال جمعية الأدب التوراتي بمناسبة الذكرى الخمسين للاكتشاف، بالقول: "إن أحد أكثر التغييرات اللافتة للنظر، والتي نجمت عن اكتشاف قمران، كان الفهم الجديد تمامًا للعملية التي من خلالها تشكل نص

---

[47] انظر:

Eugene Ulrich, The Dead Sea Scrolls and the Biblical Text, in Lawrence H. Schiffman, Emanuel Tov and James C. Vanderkam (eds.), *The Dead Sea Scrolls Fifty Years After Their Discovery 1947-1997*, p. 51.

العهد القديم العبري"[48]. وتوصل إيمانويل طوف في تقييمه الشامل، بعدما نشرت المخطوطات التوراتية بالكامل، إلى النتيجة نفسها: "أحدثت النصوص المكتشفة حديثاً ثورة في دراسة نص العهد القديم العبري، وكذلك العهد القديم اليوناني، من نواح عديدة"[49].

ومن المثير للدهشة أن نرى تأثير المخطوطات التوراتية، بوجه خاص، موصوفاً على هذا النحو؛ فعندما نشرت في الخمسينات أوائل الملخصات العامة التي كانت تعدد محتويات المكتشفات الجديدة، أصيب الكثير من الناس بخيبة أمل؛ إذ أدركوا أن عددًا كبيرًا من المخطوطات لم يكن سوى نسخة بعد نسخة من أسفار العهد القديم، مثل إشعياء والتثنية، وهذه الأسفار كانت معروفة لدينا دائمًا في كتبنا المقدسة! وقد بدت مثل هذه المخطوطات أقل إثارة من نصوص لم تكن معروفة سابقًا، مثل "سفر العمالقة" وكتاب "الرجم بالغيب من خلال الرعد"، أو مجموعات جديدة من اللعنات على الأعداء. ومن جهة أخرى، كانت المخطوطات التوراتية، بالنسبة للمسيحيين واليهود الذين يهتمون بالمسائل الدينية تحديدًا، الجزء الأهم من الاكتشاف؛ فهي نصوص لم تفسدها أجيال من النساخ، مما يجعلها أكثر قربًا إلى "الكلمات الأصلية" للمؤلفين التوراتيين وللأنبياء. ومثلت هذه المخطوطات لبعض المؤمنين المتدينين الذين تؤكد لهم عقيدتهم بأن "كلمة الإله" نقلت كاملة وتامة عبر القرون، دون أخطاء، الأملَ بتوفر برهان علمي أو موضوعي على دقة النقل. وتوقع آخرون أن تأتي

---

[48] انظر:

Devorah Diamant, The Scrolls and the Study of Early Judaism, in Robert A. Kugler and Eileen M. Schuller *The Dead Sea Scrolls at Fifty: Proceedings of the 1997 Society of Biblical Literature Qumran Section Meetings*, p. 47.

[49] انظر:

Emanuel Tov, The Biblical Texts from the Judean Desert- An Overview and Analysis of Published Texts, in Edward D. Herbert and Emanuel Tov *The Bible as a Book: The Hebrew Bible and the Judaean Desert Discoveries*, p. 139.

المخطوطات بحلول لمسائل طال أمدها (لا سيما المسائل التي تمثل جوهر الانقسام بين المحافظين والليبراليين، مثل: هل ثمة ثلاثة أسفار لإشعياء أم سفر واحد؟ هل كتب سفر دانيال خلال فترة السبي في القرن السادس قبل الميلاد، كنبوءة أصلية، أم كتب بعد ذلك بكثير؛ أي خلال الثورة المكابية؟ لِمَ هذا التعاقب اللغوي اللافت للنظر بين العبرية والآرامية في سفر دانيال؟). إلا أن آخرين كانوا أكثر اهتمامًا بالآثار العملية الناجمة عن اكتشاف المخطوطات: هل سنضطر إلى إعادة ترجماتنا الإنجليزية للعهد القديم، معتمدين في ذلك على مخطوطات البحر الميت، عوضًا عن المخطوطات التي استخدمت إلى الآن كأساس للترجمة؟ وبمرور الوقت، بات واضحًا، وعلى نحو مضطرد، أنه بالرغم من أن المخطوطات قد تسلط بعض الضوء على مثل هذه المسائل، إلا أن هذه الأسئلة في الحقيقة ليست هي الأسئلة الرئيسة؛ فقد بتنا نطرح أسئلة جديدة ومختلفة الآن؛ إذ أصبح في حوزتنا معلومات أكثر عن النص التوراتي في الفترة التي سبقت عام 70 للميلاد، وهي معطيات لم نكن نعرفها ببساطة قبل ذلك. وما زلنا، إلى حد ما، في طور استيعاب الأسئلة الصحيحة التي ينبغي أن تُسأل.

وتمثل المخطوطات التوراتية نحو ربع المخطوطات المكتشفة في قمران. فثمة ما يقرب من مائتي مخطوطة توراتية من قمران نفسها، وما يقرب من عشرين مخطوطة أخرى، على الأقل، إذا ما أخذنا في الحسبان تلك المخطوطات المكتشفة في كهوف ومواضع أخرى من صحراء اليهودية (وادي مربعات، ووادي خبرا، ومصعدة). وهذا كمٌّ كبير من المادة، لكن ينبغي أن نكون واقعيين فيما يتعلق بطبيعة ما وصلنا منها؛ إذ وجدنا في المجموعة الأولى التي استخرجت من الكهف الأول مخطوطة إشعياء، وكانت محفوظة بشكل جيد، وتامة تقريبًا، ويبلغ طولها أكثر من سبعة أمتار، وتحتوي على معظم الأصحاحات الستة والستين من سفر إشعياء جميعها. وهذه المخطوطة (أو نسخة طبق الأصل عنها) هي ما يراه الناس معروضًا في مزار الكتاب، في متحف إسرائيل، وهي لا

تزال تمثل صورة نموذجية في مخيلة العامة للشكل الذي ينبغي أن تكون عليه المخطوطة التوراتية. إلا أن معظم المخطوطات التوراتية في الواقع، لا سيما المخطوطات البالغ عددها نحو مائة وسبع وعشرين مخطوطة من الكهف الرابع، قد لحق بها ضرر شديد؛ فما صمد منها لا يزيد عن قطع صغيرة، تحوي بضعة سطور غير مكتملة، والبقية منها كانت تالفة. وبالإضافة إلى النسخة (أ) من مخطوطة إشعياء، المكتشفة في الكهف الأول $1QIsa^a$، توجد مخطوطة أخرى وحسب، وصلتنا على شكل سلسلة طويلة ومترابطة (كاملة تقريبًا) من الأعمدة، وهي مخطوطة المزامير من الكهف الحادي عشر (إذا كانت هذه بالفعل مزامير توراتية، أنظر النقاش أدناه في الصفحات 58 - 60)، وحتى هذه المخطوطة ليست كاملة تمامًا؛ إذ تحوي الثلث الأخير من المزامير فقط، بدءًا من المزمور مائة وواحد. ولم يصلنا من كثير من المخطوطات سوى جذاذات صغيرة جدًا، تحوي بضعة سطور، عليها بضع كلمات (أو حتى بضعة أحرف) في كل سطر. ولمعرفتنا بالنص التوراتي، يمكن في أحيان كثيرة تحديد هوية القطع الصغيرة جدًا (بمساعدة الحاسوب أحيانًا)، وبعدها يستبنى العمود الأصلي، بدرجات متفاوتة من الدقة، لكن تبقى المعلومات التي يمكن أن نستخلصها من مثل هذه القطع الصغيرة جدًا محدودة.

وقد استغرق نشر المادة التوراتية وقتًا طويلاً، ويعود ذلك جزئيًا إلى صعوبة التعامل مع مثل هذه البقايا التي تتألف من جذاذات كثيرة. وعندما تشكل الفريق الدولي في الخمسينات، قسّمت الجذاذات التي أمكن تحديد هويتها التوراتية، استنادًا إلى القراءة الأولية، بين فرانك مور كروس (من كلية مكورميك اللاهوتية، وفيما بعد جامعة هارفرد) والمونسنيور باتريك سكيان (من الجامعة الكاثوليكية، واشنطن). كما أسندت دراسة بعض النصوص التوراتية المكتوبة باليونانية، والمستخرجة من كهوف أخرى قريبة، للباحث دومنيك بارتلِمي Dominique Barthélemy، وهو أحد الرهبان الدومينيكان

(ونشرها في النهاية إيمانويل طوف في المجلد الثامن من *DJD*)[50]. وعندما توفي سكيان، نقلت المادة التي كان يعمل عليها إلى يوجين أولريش (من جامعة نوتردام)، وقد بات أولريش منذ سنوات الشخصية الرئيسة التي ساهمت في إتمام العمل على مدونة النصوص التوراتية من قمران. كما نشر الكثير من القطع الكبيرة والأكثر إثارة وأهمية من خلال إطروحات جامعية ومقالات في الستينات والسبعينات، لتغدو منذ ذلك الحين جزءًا من النقاش العلمي في العقود التالية. وقد صدرت معظم مجلدات *DJD* التي تحتوي على المادة التوراتية بين عامي 1994 و1997، باستثناء المجلد السابع عشر الذي صدر في ربيع عام 2005، وهو المجلد الأهم في هذه السلسلة؛ إذ يحوي سفري صموئيل الأول والثاني.

مدونة المخطوطات التوراتية

عندما نضع قائمة بالمخطوطات التوراتية البالغة نحو مائتي مخطوطة، نجد أن القائمة نفسها تكشف عن الكثير[51]؛ إذ ثمة أكثر من ثمانين نسخة من الأسفار

---

[50] ابتيعت هذه الجذاذات من البدو في الفترة ما بين عامي 1952-1954، وقالوا إنها وجدت في وادي سيال (ولذلك سميت بمجموعة وادي سيال). وقد أكدت الحفريات الإضافية أن بعضها على الأقل، ومنها المخطوطة المهمة المسماة "مخطوطة الأنبياء الثانويين" المكتوبة باليونانية، قد جاءت، في الحقيقة، من كهوف في وادي خبرا (وهو الاسم لنحال حيفرا المستخدم الآن لوسم هذه المخطوطة).

[51] من العسير تحديد عدد ثابت للمخطوطات التوراتية؛ فالعدد يختلف تبعًا لما نعدُّه "توراتيًا"؛ أي جزءًا من الأسفار القانونية للعهد القديم المقبولة والمعترف بها (انظر النقاش أدناه في الصفحات 48-50)، فعلى سبيل المثال، هل تُحسب نسخ سفري بن سيراخ وطوبيا توراتية أم لا؟ وفي بعض الأحيان، وعندما لا يكون لدينا سوى عدد قليل من الجذاذات، لا يتضح فيما إذا كانت المخطوطة تحوي مقطعًا مجتزءًا من سفر أو فقرة مقتبسة منه، أو فيما إذا كانت تحوي السفر التوراتي كاملاً (ومن الأمثلة على ذلك المزمور التاسع عشر بعد المائة؛ فقد وصلت إلينا جذاذات

الخمسة الأولى (التوراة)، وأكثر من خمسين نسخة من أسفار الأنبياء (ويشمل ذلك نسخ سفر دانيال). ولا ينبغي أن يثير تركيز جماعة قمران على أسفار التوراة والأنبياء دهشتنا؛ إذ أن هذه الجماعة تعبر بوضوح عن غايتها وهدفها على النحو الآتي: "ابحث عن الإله من أعماق قلبك وروحك، وقم بكل ما هو حسن أمامه، كما أمر من خلال موسى، وكل عباده من الأنبياء" (السطران الثاني إلى الثالث من العمود الأول من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول 1QS 1 2-3). وضمن أسفار الشريعة (التوراة) والأنبياء ثمة هيمنة لثلاثة أسفار، وهي: التثنية بثلاثين نسخة، وإشعياء بواحد وعشرين نسخة، والمزامير بأكثر من ثلاثين نسخة[52]. أما سفر التثنية فيشار إليه، ويقتبس منه كثيرًا في النصوص الطائفية الأساسية، لا سيما "قانون الجماعة"، ومما لا شك فيه أن ميثاقه اللاهوتي المتعلق بالثواب والعقاب، كان جزءًا أساسيًا في الرؤيا الكونية للطائفة. وقد كان إشعياء نبيًا مفضلاً لديهم؛ فكلماته "أعدُّوا في البرية طريق الإله، وأقيموا باستقامة سبيلاً في الصحراء نحو إلهنا" تقتبس لمنحهم التبرير التوراتي للانسحاب (جغرافيًا ومجازيًا) إلى الصحراء في سبيل حياة يقضونها في التأمل والدراسة: "هذه (الطريق) هي دراسة الشريعة التي أوصى بها (الإله) على يد موسى؛ إذ ينبغي أن يلتزموا بكل ما تكشَّف عبر الأزمنة، وبحسب ما كشفه الأنبياءُ من خلال روحه المقدسة" (السطران الخامس عشر إلى السادس عشر من العمود الثامن من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول 1QS 8 15-16). وبالإضافة إلى ذلك، ثمة ست نسخ من شروح (فشر) سفر إشعياء؛ أي

من هذا المزمور والموسوم بالرموز 4QPs^g, h (النسختان (ز) و (ح) من سفر المزامير، المكتشفتان في الكهف الرابع)، فهل تعود هاتان النسختان إلى هذا المزمور وحسب، أم هما جزء من سفر المزامير كاملاً؟).

[52] في حالة المزامير، على وجه الخصوص، يصعب التمييز بين ما هو جزء من "المزامير التوراتية"، وما هو جزء من ضرب أدبي آخر ينتمي إلى مجموعة مختلفة (انظر النقاش أدناه في الصفحتين 59-60 أدناه)، أو ما هو نسخة من جزء مقتطع من هذه المجموعة.

أكثر من الشروح على أسفار الأنبياء الآخرين. كما أن سفر المزامير قُرئ ودرس كنبوءة أيضًا، وكتبت عليه شروحات (فشاريم)، كما هو الحال في الأسفار النبوئية الأخرى. ثم إن من الصعب جدًا معرفة مدى استخدام المزامير في الصلوات العامة والجماعية، أو معرفة ما إذا كان لهذا الأمر تأثير على عدد النسخ التي وصلتنا منها (أنظر النقاش أدناه في الصفحات 109-111)، حتى أن هارتموت شتيغمان Hartmut Stegemann ألمح إلى أن زيادة عدد نسخ أسفار التثنية وإشعياء والمزامير عن سواها، قد يشير إلى أن هذه الأسفار كانت منهاج الدراسة لأولئك المنضمين للجماعة في السنوات الثلاث الأولى من تدريبهم. وهذه الأسفار الثلاثة هي أيضًا الأسفار التي يشار إليها أو يقتبس منها على نحو كبير في العهد الجديد. وإذا ما افترضنا أنه كان ثمة "شريعة ضمن شريعة"، ذات صبغة وظيفية في يهودية القرن الأول، فإن من المؤكد، أن هذه الأسفار الثلاثة شكلت جوهرها.

وقد وجدت في الكهوف، في كثير من الأحيان، ثلاث، أو أربع نسخ، أو أكثر، من أسفار العهد القديم العبري الأخرى جميعها، باستثناء سفر إستير[53]. وقد أحدث "حذف" سفر إستير الكثير من التكهنات: فهل كان مرد ذلك أن سفر إستير متأخر يعود إلى الفترة الفارسية، أم أن التقويم القمراني لا يأتي على ذكر عيد البوريم؟ أم أن سفر إستير لا يتضمن ذكرًا لاسم الإله؟ وقد أشارت بعض الآراء إلى أن هذه الجماعة من الذكور المتبتلين والكارهين للنساء لم يرقْ لها، بكل بساطة، السفر التوراتي الوحيد الذي كانت الشخصية الرئيسة فيه امرأة. وقد يكون مرد غياب سفر إستير إلى أسباب عادية جدًا، كأن يكون الأمر صدفة لا أكثر؛ وهذا ممكن إحصائيًا، فبالمقارنة، لم يتبقَّ من سفري

[53] يمكن أن يقال إنه ليس ثمة نسخة من سفر نحميا أيضًا، وعلى أية حال، يبدو أن سفري نحميا/ عزرا عُدَّا سفرًا واحدًا في ذلك الوقت، وهناك ثلاث جذاذات من سفر عزرا (المخطوطة رقم 117، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q117.

أخبار الأيام الأول والثاني، وهما أكبر من سفر إستير بعدة مرات، سوى جذاذة واحدة.

وأخيرًا، لا بد أن نتنبه إلى وجود نسخ مترجمة، وإن كانت قليلة، للأسفار التوراتية؛ إذ ثمة خمس نسخ مكتوبة باليونانية لأربعة أسفار من أسفار التوراة (الخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية)، إضافة إلى "مخطوطة الأنبياء الثانويين"، المذكورة أعلاه، والمكتشفة في وادي خبرا. وقد وصلت إلينا من الكهفين الرابع والحادي عشر مخطوطتان، هما ترجمة آرامية لسفر أيوب، وثمة أيضًا جزء صغير من سفر اللاويين مكتوب بالآرامية (الآيات الأولى إلى الخامسة عشرة، والآيات الثامنة عشرة إلى الحادية والعشرين من الأصحاح السادس عشر)، لكن من الصعوبة أن نعرف فيما إذا كانت هذه هي الترجمة الآرامية للسفر كله، أم أنها ليست سوى نسخة آرامية للجزء الذي يتناول عيد الغفران، مصدرها نص طقوسي. ولما كانت الجماعة كتبت أعمالها الطائفية بالعبرية، فعلى الأرجح أنه كان يُتوقع من الجميع أن يكون لديهم إلمام بالعبرية، لذا، فليس من الواضح ما إذا كان لهذه الترجمات هدف عملي في العبادة، أم وضعت لأجل الدراسة.

وأحد أكثر الإدعاءات إثارة ما يشير إلى اكتشاف بعض من أسفار العهد الجديد ضمن الجذاذات اليونانية المستخرجة من الكهف السابع (يعاد إحياء هذا الادعاء بشكل منتظم في الإعلام، لا سيما في عيد الميلاد وموسم عيد الفصح). وستكون هذه أنباءً مهمة بالفعل إذا ما ظهرت على نحو مؤكد في قمران نسخ من الأناجيل، بل حتى من الرسائل، كالرسالة الأولى إلى تيموثاوس، أو رسالة بطرس الثانية (كما أشيع)، مما سيبرهن أن هذه الأسفار قد كتبت قبل عام 68 للميلاد، وهو وقت يسبق كثيرًا تأريخ الباحثين في العهد الجديد لها. وإحدى هذه الجذاذات، لا سيما المخطوطة الخامسة من الكهف السابع 7Q5، حازت اهتمامًا إعلاميًا كبيرًا جدًا في عام 1972، عندما أشار خوسيه أوكالهان لأول مرة إلى أنها جذاذة للآيتين الثانية والخمسين والثالثة والخمسين من الأصحاح

السادس من إنجيل مرقص. ولا يزال كارستين تيده وآخرون يروجون لهذه المطابقة[54]؛ فعلى تلك الجذاذة الصغيرة من ورق البردي، والتي تحوي خمسة أسطر غير مكتملة ونحو عشرين حرفًا أو أجزاء منها، ليس ثمة كلمة واحدة كاملة محفوظة (باستثناء كلمة *kai*، والتي تعني "و"). ولكي يكون ثمة تطابق بين النص المحفوظ (من قمران) مع نص إنجيل مرقص المقترح، فلا بد من افتراض وجود شكل مختلف لهذا النص الأخير، لم نجده في أية نسخة معروفة للأصحاح السادس من إنجيل مرقص، بالإضافة إلى افتراض قراءة مشكلة جدًا لبعض الحروف الأخرى. ولم تقنع هذه المطابقة معظم الباحثين في مخطوطات قمران أو الباحثين في العهد الجديد، ويمكن أن تساق حجة أقوى مما ذكر بكثير، وهي أن عددًا من هذه الجذاذات من الكهف السابع، ما هي إلا ترجمة يونانية لسفر "إخنوخ".

ماذا عن الاختلافات؟

تقدم لنا المخطوطات المكتشفة في قمران نسخًا من الأسفار التوراتية أقدم بنحو ألف عام من أي نسخ كانت معروفة سابقًا. وقبل عام 1947، وعندما كان الباحثون يبحثون عن أقدم نسخة من العهد القديم، كانوا يرجعون إلى المخطوطة المجزأة لبعض من أسفار الأنبياء من القاهرة، والتي تؤرخ إلى عام 895 للميلاد، أو مخطوطة حلب التالفة، والتي تعود إلى عام 925 للميلاد. وعندما كانت ثمة حاجة لاستخدام مخطوطة كاملة تحوي الأسفار التوراتية جميعها، كان لا بد من الرجوع إلى مخطوطة لينفراد، وهي مخطوطة كبيرة كتبت باليد بخط جميل (محفوظة الآن في لينفراد/ سانت بطرسبيرغ). وتشير البيانات

---

[54] انظر الصفحتين 26- 27، وكذلك قائمة المؤلفات المذكورة في الحاشيتين 29 و30، في الفصل الأول.

المدونة في نهاية المخطوطة إلى أن الكاتب انتهى من هذا العمل في عام 1009/1008 للميلاد. وتستخدم هذه المخطوطة، في العادة، أساسًا للنسخ المطبوعة من العهد القديم العبري (على سبيل المثال العهد القديم العبري الموسوم بالاسم اللاتيني *Biblia Hebraica*)، والنص العبري الذي يشكل أساس ترجمة العهد القديم إلى الإنجليزية وإلى لغات أخرى. فغدا بحوزتنا الآن مخطوطات أسبق من هذه النصوص بأكثر من ألف عام؛ فالباحث الذي يدرس سفر إشعياء أصبح بإمكانه الآن الرجوع إلى النسخة (أ) من سفر إشعياء، المكتشفة في الكهف الأول 1QIsa[a]، والتي تعود إلى حوالي 125 قبل الميلاد. وثمة مخطوطات لبعض الأسفار التوراتية أقدم من ذلك بكثير (فمثلاً: تؤرخ النسخة (ب) من سفر صموئيل، المكتشفة في الكهف الرابع 4QSam[b] إلى حوالي 225 قبل الميلاد). ولكن من المؤكد أن ليست لدينا كلمات إشعياء "الأصلية"، وإلى الآن لا نعرف إلا القليل عن العملية التي جُمعت بها كلماته ونُقلت عبر القرون: "صُر الشهادة، اختم الشريعة بتلاميذي" (الآية السادسة عشرة من الأصحاح الثامن من سفر إشعياء). لكن الفترة الزمنية الفاصلة بين العظة الشفوية للنبي، وأقدم نسخة لدينا من كلماته، هي الآن أقل من ستمائة سنة، وليست نحو ألف وسبعمائة سنة. وعند الحديث عن سفر كسفر دانيال، نجد أن الفجوة الزمنية بين التأليف الأصلي والنسخ المكتوبة التي بحوزتنا لا تعدو جيلاً واحدًا فقط.

ولما أصبح في متناول أيدينا الآن نسخ من نص العهد القديم المتداولة في القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي، يتبادر إلى الذهن سؤال جلي: هل هذا هو النص ذاته الموجود في مخطوطة لينتغراد؟ والإجابة على هذا السؤال هي نعم ولا في آن واحد؛ فعندما نقارن نص مخطوطة لينتغراد بنص النسخة (أ) من سفر إشعياء، المكتشفة في الكهف الأول 1QIsa[a]، نجد أنهما نصان متشابهان بلا ريب؛ إذ ليست ثمة إعادة كتابة على نحو شامل، ولا إضافات، أو حذف، أو إعادة صياغة واسعة النطاق. وفي نسخة قمران، كان سفر إشعياء سفرًا واحدًا،

بأصحاحاته الستة والستين كلها. ومن الجلي أن الكتَّاب الذين نسخوا هذا السفر باليد بجهد كبير، عبر القرون، قاموا بذلك بدقة وعناية شديدتين. وبإمكان اليهود والمسيحيين المتدينين الذين كانوا، على الدوام، متيقنين من أن النص الذي يدرسونه لم يُحرَّف ويتبدل أثناء انتقال "كلمة الإله" عبر الأزمنة، أن يشيروا الآن إلى الدليل المتمثل بمخطوطات حقيقية من كهوف قمران.

لكن، من الناحية العملية، نجد أن أية مقارنة، حتى وإن كانت لعدد قليل من أسطر نص ما، ستكشف عن اختلافات بين مخطوطة لميننغراد ومخطوطة قمران؛ كوجود كلمة مختلفة، أو تهجئة مختلفة، أو اختلاف في ترتيب الكلمات أو الآيات، أو إضافات، أو حذف لكلمة أو شبه جملة. فعند مقارنة النسخة (أ) من سفر إشعياء، المكتشفة في الكهف الأول $1QIsa^{a}$، حرفاً بحرف مع مخطوطة لينغراد، أحصى الباحثون مئات الاختلافات، بل الآلاف، إذا ما أدرجنا كل اختلاف في التهجئة[55]. وإذا ما تفحصنا النسخة (ب) من سفر إشعياء، المكتشفة أيضًا في الكهف الأول $1QIsa^{b}$، وهي نسخة ثانية متشظية جدًا، سنجد أنها تختلف أيضًا، بصورة ملحوظة عن النسخة (أ) من سفر إشعياء، وسنلاحظ أنها أقرب، في جميع أوجهها، إلى النص العبري التقليدي الموجود في مخطوطة لينغراد.

ويعتني المشتغلون بتحقيق النصوص عناية خاصة بمواضع الاختلاف بين النسخ المختلفة، ويحاولون تفسير الفروق بينها؛ فهم يسعون إلى فهم "ماذا يحدث هنا في النص؟ وفي بعض الأحيان يمكن أن يعين نص اكتشف في مخطوطة من قمران في إيضاح معنى كلمة أو شبه جملة، كانت تُعدُّ مشكلة منذ فترة طويلة، بل

---

[55] تجيز قواعد الإملاء في العبرية تهجئات مختلفة للكلمة نفسها، اعتمادًا على ما إذا أدخلت حروف معينة (الألف والواو والياء) للإشارة إلى حروف العلة (الكتابة الإملائية الكاملة)، أو فيما إذا كتبت الكلمة بدون حروف العلة هذه. ومثل هذا الاختلاف في التهجئة مألوف في العبرية التوراتية والعبرية الحديثة كلتيهما، حتى ضمن الفقرة الواحدة نفسها.

حتى عصية على فهم كل من الأحبار وآباء الكنيسة. ومن الأمثلة الكلاسيكية القصيرة والتي تقتبس في كثير من الأحيان للتدليل على ذلك، مقطع في الآية الثامنة من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر إشعياء؛ أي في الموضع الذي يتحدث فيه النبي عن صراخ ووقوف على المرصد؛ ففي منتصف هذا المقطع الاعتيادي، نوعًا ما، ترد في النص الماسوري شبه جملة غريبة: "وصرخ، أسد"؛ إذ يبدو أن ثمة خطأ ما في ورود كلمة "أسد" في هذا السياق. وقد حاول المترجمون اليونانيون وبعض الأحبار أن يجعلوا من كلمة (آرييه) "أسد" اسم علم، كما أضاف آخرون لفظة إلى النص ليُقرأ على النحو التالي: "وصرخ كأسد". وأشار بعضهم إلى أن ثمة خطأ في النص العبري، وأن حروفًا قد قلبت خلال عملية النسخ، إذ يمكن بإعادة ترتيب طفيفة للحروف، أن تُقرأ الأحرف نفسها على النحو (هاروئيه) "الرائي، المراقب" (تذكروا أن اللغة العبرية لم تكن تكتب حروف العلة في هذا الوقت)، ويتناسب هذا الاقتراح والسياق العام للنص، على نحو حسن. وعندما تفحَّص الباحثون النسخة (أ) من سفر إشعياء، المكتشفة في الكهف الأول 1QIsa[a]، رأوا ولأول مرة مخطوطة عبرية حقيقية يكتب فيها الكاتب كلمة (هاروئيه). وسرعان ما استخدمت هذه المعلومة الجديدة استخدامًا فعليًا؛ ففي عام 1948، قرأ بروز بالكامل مخطوطة النسخة (أ) من سفر إشعياء 1QIsa[a] قراءة دقيقة، كما وضع نقحرة (نقلاً حرفيًا صوتيًا) لكلماتها، خلال رحلة بالسفينة قام بها من فلسطين إلى نيويورك، لتصبح نسخته متاحة للجنة المحققين التي كانت تعمل على مراجعة الترجمة المنقحة المعتمدة للكتاب المقدس RSV إلى اللغة الإنجليزية. وهنا (كما هو الحال في ثلاثة عشر موضعًا آخر في سفر إشعياء)، اختارت لجنة المحققين الأخذ بما جاء في نص قمران، ولهذا نجد أن نص الآية الثامنة من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر إشعياء، في الترجمة المنقحة المعتمدة للكتاب المقدس، يُقرأ على النحو الآتي: "وبعدها صرخ الرائي: أنا واقف على المرصد، يا سيدي"، خلافًا لما كان

يظهر، حتى وقت قريب، في نسخة الملك جيمس "وصرخ، أسد، أنا واقف على المرصد، يا سيدي".

وفي السنوات التي سبقت عام 1990، عندما كان يعاد تنقيح نسخة الترجمة المنقحة المعتمدة للكتاب المقدس، أمكن للجنة التي تتولى هذه المهمة الوصول إلى المخطوطات كلها، حتى تلك التي لم تكن نشرت بصورة رسمية، وذلك لأن يوجين أولريش كان أحد أعضائها. وقد تبنى هؤلاء قراءات أخرى من المخطوطات؛ إذ كانت إحدى النتائج الملموسة لاكتشاف مخطوطات البحر الميت لدى العديد من الناس أنهم وجدوا في نسخهم الجديدة للترجمة المنقحة المعتمدة للكتاب المقدس فقرة قصيرة تأتي بعد الآية السابعة والعشرين، في نهاية الأصحاح العاشر من سفر صموئيل الأول، تحوي آيات لم تكن موجودة في العهد القديم الذي كانوا يستخدمونه سابقًا. فقد كان السرد القصصي في هذا الموضع من سفر صموئيل الأول أثار تساؤلات كثيرة، كما أن الشرّاح، القدماء منهم والمعاصرين، اشتبهوا بوجود شيء ما مفقود؛ إذ يذكر الأصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الأول ملكًا من العمونيين اسمه "نحاش"، أراد عقد معاهدة بشرط السماح له باقتلاع عين كل شخص في المدينة، لكن ليس ثمة سياق أو تفسير لهذا الطلب الغريب. إلا أن النسخة (أ) من سفر صموئيل، المكتشفة في الكهف الرابع $4QSam^a$، تحوي بضعة أسطر إضافية من نص يضع هذا الخبر في سياق أفعال "نحاش" الوحشية ضد الجاديين والرأوبينين*. وقد اجتهد محققو النسخة الجديدة للترجمة المنقحة المعتمدة للكتاب المقدس، فرأوا أن هذه الآيات كانت في الأصل جزءًا من السرد القصصي التوراتي، وأنها ضاعت خلال عملية النسخ (بإمكاننا فعلاً أن نستبني الكيفية التي تتخطى بها عين الكاتب إحدى الكلمات إلى كلمة أخرى مماثلة بسهولة، متجاهلة هذا

---

* سبطان من أسباط بني إسرائيل (المعربة).

المقطع على وجه التحديد)، ولهذا، فقد أعاد محققو النسخة الجديدة للترجمة المنقحة المعتمدة للكتاب المقدس هذه الآيات إلى ما كانت عليه قبل الحذف، بالاعتماد على مخطوطة النسخة (أ) من سفر صموئيل المكتشفة في الكهف الرابع $4QSam^a$.

وينبغي لمحقق النص أو المترجم في هاتين الحالتين، وفي آلاف الحالات المشابهة، أن يلجأ إلى الاجتهاد؛ فهي ليست قرارات تلقائية واضحة. وليس بإمكاننا أن نفترض ببساطة أن النص الأصلي موجود في النسخة الأقدم؛ إذ ربما أن الكاتب القمراني هو من أدخل خطأ نسخيًا ما، وأن تكون مخطوطة لينغراد (المتأخرة جدًا) هي التي حافظت على النص الأصلي، لا سيما في المثال الثاني أعلاه؛ فربما يجادل أحدهم، وقد حدث ذلك فعلاً، أن المسألة جرت بطريقة أخرى؛ أي أن كاتبًا رأى المشكلة ذاتها التي رأيناها، فأضاف هذه الآيات، في مرحلة ما وعلى نحو متأخر، خلال عملية النقل، مدخلاً هذه العبارات التوضيحية. فإذا كان هذا هو واقع الحال، فهل ينبغي أن تُدرج هذه العبارات، وما هي إلا إضافة ثانوية، في الترجمة الحديثة؟

لكن هنالك المزيد؛ إذ سرعان ما اتضح للباحثين، عندما فحصوا في الستينات المخطوطات بدقة، مخطوطة بعد مخطوطة، ووضعوا قوائم تفصيلية بكل مواضع الاختلاف في كل مخطوطة عن النص الموجود في العهد القديم العبري المسمى *Biblia Hebraica*، اتضح لهم أن المسألة تتعدى حدود أخطاء عشوائية لكتّاب منفردين؛ فالمخطوطات المختلفة تتفق في نصوصها إلى حد بعيد، مع وجود فروقات أدرك الباحثون منذ زمن بعيد أنها موجودة في ثلاث نسخ مختلفة من النص التوراتي المعروف سابقًا. فالنص الموجود في مخطوطة لينغراد كان هو النص العبري التقليدي، والذي استخدمه الأحبار والكتّاب منذ القرن الثاني الميلادي، وهو ما يسمى بالنص الماسوري MT. وعندما تُرجم العهد القديم إلى اليونانية في وقت ما حوالي 200 قبل الميلاد (ما يسمى بالترجمة السبعينية)،

ترجمه مترجمو بعض الأسفار، وعلى نحو جلي، من نص مختلف بعض الشيء. ولمّا كان لدينا النص اليوناني فقط، فمن الصعب في كثير من الأحيان أن نحكم فيما إذا كان الاختلاف بين نسخة لييننغراد والترجمة السبعينية نشأ عن أن الترجمة السبعينية استندت إلى أصل مختلف عن نسخة لينينغراد، أم أن مرد الاختلاف إلى الترجمة. ومرة أخرى، فإن معظم الاختلافات بين النصين كانت ثانوية وصغيرة، لكن من حين لآخر، يمكن أن نصادف اختلافًا مهمًا (فمثلاً، سفر إرمياء في الترجمة السبعينية أقصر بحوالي السُبع من سفر إرمياء الموجود في النص الماسوري؛ إذ ثمة مئات من الآيات غير المدرجة). وتُعدُّ التوراة السامرية (الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم كما هي متداولة بين السامريين) شاهدًا على شكل آخر من النص، والذي هو في كثير من الأحيان، نص أطول وأكثر توسعًا بعض الشيء من النص الماسوري.

وعندما فُحصت نسخ المخطوطات التوراتية من قمران بالكامل، سرعان ما اتضح أن بعضها يتفق جوهريًا مع النص الذي أصبح في نهاية الأمر يعرف بالنص الماسوري، في حين كانت هنالك مخطوطات أخرى أقرب إلى النص الذي شكّل أساس الترجمة السبعينية، ثم أن مخطوطات أخرى تحمل السمات المميزة للتوراة السامرية، وثمة عدد معين من المخطوطات لا يظهر توافقًا مع أي من النصوص الثلاثة المذكورة سابقًا. ومن الجلي أن النص التوراتي لم يكن قد اتخذ شكله النهائي في القرن الأول قبل الميلاد وحتى النصف الأول من القرن الأول للميلاد؛ إذ وجدت نسخ مختلفة منه، نسخت جميعها واستعملت في قمران، وفي أرجاء فلسطين كافة. وقد اقتُرحت نظريات مختلفة لتفسير هذا الأمر؛ إذ أشار فرانك مور كروس، من خلال اتباعه أفكارًا كان أستاذه ألبرايت قد رسم خطوطها الأولية في السنوات الأولى، عندما بدأ بدراسة المخطوطات التوراتية، إلى أن هذه الاختلافات تمثل "نصوصًا محلية" تطورت جغرافيًا؛ ففي بابل (النص الماسوري الأولي)، وفي مصر (الترجمة السبعونية)، وفي فلسطين (النص السامري). ويرى

باحثون آخرون أن الاختلافات تعبر عن صيغ أدبية مختلفة، أو فروقات اجتماعية-دينية، أو ترجع إلى أسباب متعددة[56].

ومن الواضح أن الجماعة التي عاشت في قمران كانت قادرة على التعايش مع مثل هذا التنوع والتعدد النصي. وكان ذلك قبل وقت قصير من اعتماد نص عبري واحد وثابت. ونحن لا نعلم شيئاً يذكر عن هذه العملية، لكننا نعرف النتيجة النهائية لها؛ وهي أن المخطوطات المكتشفة في موقعي مربعات ومصعدة (تعود هذه المخطوطات إلى القرن الأول للميلاد) متشابهة، وأن النص الماسوري أصبح النص التقليدي للمجتمع اليهودي إلى يومنا هذا. أما الترجمة السبعونية؛ فكانت "العهد القديم" للمسيحيين حتى عصر النهضة على الأقل، عندما أصبحت الكنائس المسيحية معنية كثيرًا بقراءة العهد القديم في أصله العبري، وعندها اتبعوا هم أيضًا النص الماسوري. وعلى الأغلب، فإن التوراة السامرية عرفتها واستخدمتها جماعة صغيرة (السامريون) على مر الأزمنة.

وتختلف تبعات هذا الأمر كله في أهميتها على بعض أسفار العهد القديم العبري دون سواها؛ فعلى سبيل المثال، يتشابه نص سفر التكوين في نسخه وأشكاله المختلفة (ترجماته) جميعها. أما سفر إرمياء، كما كنا أشرنا سابقًا، فإن النص الماسوري يختلف كثيرًا عن نص الترجمة السبعينية. وفي قمران وجدنا نسخًا من النصين كليهما؛ أي الصيغة الطويلة، كتلك الموجودة في النص الماسوري (النسختان (أ) و(ج) من سفر إرمياء، المكتشفتان في الكهف الرابع)

---

[56] طور يوجين أولريش فكرة الصيغ الأدبية المختلفة، وركز شمرياهو تالمون Shemeryahu Talmon على الاختلافات الاجتماعية - الدينية، أما إيمانويل طوف فقد تحاشى تفسير التصنيفات النصية الثلاثة لصالح تأكيد عدد من الصيغ النصية. ويأتي الكثير من الكتابات العلمية حول هذه النظريات بطريقة مختصة جدًا، لكن للاطلاع على تفسير مختصر وواضح، انظر:

The Scrolls and the Text of the Hebrew Bible/ Old Testament, in James C. Vanderkam and Peter Flint, *The Meaning of the Dead Sea Scrolls*, 140-145.

4QJer[a,c]، والصيغة القصيرة، وهي أقصر بحوالي ثلاثة عشر بالمائة (النسختان (ب) و(د) من سفر إرمياء، المكتشفتان في الكهف الرابع) 4QJer[b,d]. وقد بتنا الآن على يقين أن الصيغة القصيرة لسفر إرمياء كانت موجودة أصلاً في العبرية، وليست مجرد اختصار قام به المترجمون اليونانيون. وقد كان لهذا كله تبعات مهمة متعلقة بفهمنا لعملية جمع وتحرير سفر إرمياء، ويتعين على الشرَّاح على سفر إرمياء الآن أن يأخذوا بعين الاعتبار الصيغتين، الطويلة والقصيرة كلتيهما. وهذا الأمر لا ينطبق فقط على سفر إرمياء، بل على نطاق أوسع؛ إذ كان لاكتشاف هذه المخطوطات العبرية أثر غير متوقع، نجم عنه صحوة حقيقية في الدراسة الجادة للترجمة السبعينية.

ويمكن أن نلتفت إلى سفر المزامير كمثال آخر على سفر توراتي أدى اكتشاف النصوص القمرانية إلى إعادة النظر فيه على نحو جيد. وكما أشرنا سابقًا، فثمة نسخ عديدة من المزامير، لكن الدليل من المخطوطات معقد جدًا ويصعب تفسيره (على سبيل المثال، عندما يكون لدينا جذاذات صغيرة فقط، كما هو الحال في العديد من مخطوطات المزامير، فمن العسير أن نعرف ترتيب المزامير، ما لم تكن نهاية مزمور ما وبداية مزمور آخر قد حفظت). والسؤال هو: هل اتخذ محتوى سفر المزامير وترتيب المزامير فيه شكلهما النهائي في وقت مبكر نسبيًا (ربما كان ذلك بحلول القرن الثالث قبل الميلاد)، أم بقي المحتوى والترتيب في تقلب حتى القرن الأول الميلادي؛ أي أن جماعة قمران استخدمت نسخًا مختلفة من سفر المزامير؟ وثمة اتفاق عام على أن القسم الأول من سفر المزامير؛ أي من المزمور الأول إلى المزمور التاسع والثمانين، كان اتخذ شكله النهائي أولاً؛ إذ يبدو أن النسخ جميعها المكتشفة في قمران تتوافق مع النص الماسوري في هذا الجزء. أما المعضلة فترتبط بالجزء الثاني؛ إذ يبدو أن بعض المخطوطات في قمران كان لها بالفعل الترتيب والمحتوى ذاته الموجود في النص الماسوري بالكامل. لكن لدينا أيضًا المخطوطة الكبيرة والمكتوبة بشكل

جميل (على جلد الوعل)، وهي النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر 11QPsa، والتي تحوي واحدًا وأربعين مزمورًا، بدءًا بالمزمور مائة وواحد. ويبدو أن الترتيب في هذه المخطوطة يختلف عن ذلك الموجود في النص الماسوري (على سبيل المثال، في المزامير مائة وواحد، ومائة واثنين، ومائة وثلاثة، ومائة وخمسة، ومائة وتسعة، ومائة وواحد وعشرين، ومائة وستة وأربعين، ومائة وثمانية وأربعين، وما إلى ذلك)، كما أن بعض المقاطع تمازجت مع غيرها؛ فقصيدة الحكمة تظهر أيضًا في الأصحاح الحادي والخمسين من سفر بن سيراخ، وكلمات داوود مأخوذة من الأصحاح الثالث والعشرين (الآيات الأولى إلى السابعة) من سفر صموئيل الثاني، وثمة مزموران كانا معروفين في السابق، وذلك من خلال ترجمة سريانية لسفر المزامير (المزموران مائة وأربعة وخمسون، ومائة وخمس وخمسون)، أما المزمور مائة وواحد وخمسون فهو موجود في سفر المزامير في الترجمة السبعينية، وثمة ثلاثة مزامير لا شواهد عليها من قبل (وهي: ابتهال لأجل الخلاص، ومناجاة لجبل صهيون، وترنيمة للخالق). وفي نهاية المخطوطة نجد مقطعًا نثريًا يعدد أناشيد داوود كلها، والتي "تكلم بها من خلال النبوءة التي أعطاها له العلي" (الأسطر الثاني إلى الحادي عشر من العمود السابع والعشرين من النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر) 11QPsa 27 2-11؛ والسؤال هو: هل كانت النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر سفرًا "حقيقيًا" للمزامير؛ أي مجموعة بديلة عما هو موجود في النص الماسوري؟[57]، أم كان هذا

---

[57] يبدو أن ثمة مخطوطتين أخريين تحويان الترتيب والمحتويات نفسها الموجودة في النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر 11QPsa، وهاتان المخطوطتان هما النسخة (ب) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر 11QPsb، والنسخة (هـ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الرابع 4QPse. وهذا يعني أن 11QPsa ليست نسخة مستقلة و"منفردة".

نوعًا من التجميع الثانوي لمواد كتابية متنوعة، جمعت لأغراض طقوسية، أم أنموذجًا مبكرًا "لكتاب صلاة"؟ فإذا كان الخيار الأول صحيحًا، فعندئذ يمكن القول إن بنية المزامير لم تكن اتخذت شكلها النهائي حتى وقت متأخر من القرن الأول الميلادي، وإذا ما أخذنا بالخيار الثاني، فتكون النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر 11QPs[a]، نوعًا مختلفًا تمامًا من الوثائق، ويمكن بذلك أن تحذف من النقاشات المتعلقة بالمخطوطات التوراتية. وثمة جدل مثير ومستمر بين الباحثين مرتبط بهذه المسألة بالذات، وليس من الواضح حاليًا ما إذا كان لدينا دليل كاف يجعلنا قادرين على اتخاذ قرار حاسم بهذا الشأن.

ما هو "العهد القديم" في قمران؟

على امتداد هذا الفصل كنا نتحدث بيسر عن "العهد القديم" وعن "المخطوطات التوراتية". لكن في هاتين الصيغتين إشكاليات كثيرة جدًا، أكثر بكثير مما يبدو عليه الأمر من النظرة الأولى. وحديثاً، بدأ يوجين أولريش مقالة له بعبارة استفزازية مقصودة؛ إذ يقول: "العبارة الأولى التي ينبغي صوغها عن العهد القديم في قمران هي أن علينا ألا نفكر "بعهد قديم" خلال القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول للميلاد، لا في قمران ولا في سواها"[58].

---

[58] انظر:

Eugene Ulrich, The Bible in the Making: the Scriptures Found at Qumran, in Peter Flint (ed.), *The Bible at Qumran: Text, Shape and Interpretation*, p. 51.

في ضوء حيرة أولريش، أسميت هذا الفصل "ماذا تعلمنا عن العهد القديم؟"، عوضًا عن "ماذا تعلمنا عن الكتاب المقدس؟"، ولكن عندما أردت التخلص من اللغة التي يستخدم فيها المصطلحان "الكتاب المقدس أو توراتي"، وجدت الأمر معقدًا جدًا من الناحية العملية، لينتهي بي المطاف إلى استخدام المصطلحات الشائعة في الفصل نفسه.

ولا يزعم أولريش أنه لم يكن لدى اليهود أسفار موثوقة ومقدسة؛ فمن الواضح أن أسفار موسى الخمسة وكلمات الأنبياء كانت لها مكانة خاصة في ذلك الوقت، ويبدو أن فئة ثالثة أخرى، تفتقر إلى وصف دقيق، كانت موجودة، لكن لم تكن هويتها قد تحددت بشكل دقيق. وهذا ببساطة أمر افترض وجوده من خلال نصوص مثل 4QMMT C 9-10* (السطران التاسع إلى العاشر من الجذاذة (ج) من "مِقْصات مَعاسيْه هَتوراه"، وترجمتها العربية "بعض تعاليم التوراة"، المكتشفة في الكهف الرابع)؛ إذ يرد فيها "[كتبـ]ـنا إليك لعله يكون لديك فهم لكتاب موسى، [ولكلمات الأنبـ]ـياء، ولداوو[د]"؛ ويرد في الآية السابعة والعشرين من الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل لوقا: "وثم ابتدأ بموسى وبالأنبياء، وفسر لهم الأمور التي [تتحدث] عنه في العهد القديم". أما إذا أردنا أن نطبع نسخة من "العهد القديم" الذي استخدمه أهل قمران، فسرعان ما سنجد أنفسنا في مواجهة عدد كبير من أسئلة لا أجوبة لها[59]؛ فأي نسخة من سفر إرمياء ينبغي أن يشتمل عليها العهد القديم هذا، الطويلة أم القصيرة؟ وهل ينبغي أن يتضمن النسخة (أ) من مخطوطة سفر المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر 11QPs[a]؟ وماذا عن سفري بن سيراخ وطوبيا (وهما سفران لم يشملهما العهد القديم الخاص بالأحبار، لكنهما كانا جزءًا من الترجمة السبعينية؟) وهل سيشمل أسفارًا كسفري "إخنوخ" و"اليوبيلات"؟ إذ يبدو أن هذين السفرين كانا مهمين جدًا، حتى وإن بنينا هذا الحكم على عدد النسخ التي حفظت منهما وحسب (أكثر من عشرين نسخة من سفر إخنوخ، وخمس

---

* 4QMMT C = 4Q396 (المعربة).

[59] حاول كل من مارتن أبيغ، وبيتر فلنت، ويوجين أولريش، القيام بذلك فنشروا *The Dead Sea Scrolls Bible*، وقد نزعوا إلى اختيار مبدأ الشمولية؛ فتضمن هذا العمل أسفارًا، مثل بن سيراخ وطوبيا و"اليوبيلات" و"إخنوخ"، بالإضافة إلى النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر 11QPs[a].

عشرة أو ست عشرة نسخة من سفر اليوبيلات، وهذا أكثر بكثير من نسخ أسفار كالقضاة وأخبار الأيام والجامعة). وإذا ما كان الاستخدام مقياسًا، فإنه يرد في الأسطر الثاني إلى الرابع من العمود السادس عشر من "وثيقة دمشق القاهرية" CD 16 2-4 اقتباس من سفر اليوبيلات باعتباره مصدرًا موثوقًا لتحديد الأزمنة، وهذا يشبه، إلى حد بعيد، اقتباس الآية الأولى من الأصحاح التاسع من سفر إخنوخ في الآية الرابعة عشرة من رسالة يهوذا في العهد الجديد، وذلك كنبوءة يتعين على الجميع إدراكها وقبولها. فأي منزلة كانت لهذه الأسفار إذن؟ وكيف يكون ترتيبها عند طباعة "عهد قديم خاص بقمران"، وهل نضع سفر دانيال ضمن أسفار الأنبياء (كما هو الحال في الترجمة السبعينية)، أم ضمن أسفار الكتابات (كما هو الحال في النص الماسوري)؟

وربما ينطوي طرح السؤال على هذا النحو على مفارقة تاريخية، دون أن تكون ثمة فائدة تذكر من طرحه. فلا يمكننا أن نسقط فهمنا الحالي للأسفار القانونية للعهد القديم، باعتبارها قائمة تحوي أسفارًا محددة ضمن ترتيب معين على القرن الأول عندما لم يكن هذا المفهوم لشكل العهد القديم موجودًا أصلاً. وقد فتحت لنا المخطوطات نافذة على فترة متقلبة من تاريخ العهد القديم، عندما لم تكن حدود ما يجب شموله أو إقصاؤه من الأسفار التوراتية قد رسمت بوضوح، وهو الوقت الذي عدت فيه هذه الجماعة بعض الأسفار أسفارًا معتمدة، في حين أنها لم تكن مقبولة لدى اليهود الآخرين، ولا في التراث الحَبْري المتأخر كذلك. لكن تقديرنا المتزايد للتنوع والاختلاف في نص العهد القديم اللذين كانا موجودين بالفعل في الفترة التي سبقت عام 70 للميلاد، هو، على وجه التحديد، ما قاد الباحثين إلى إعادة النظر في الأسباب والكيفية التي جرى فيها توحيد نص العهد القديم في العقود التي تلت دمار الهيكل مباشرة. والأسئلة التي تطرح الآن، مثل: "ماذا نجد في العهد القديم؟" و"من يقرر ذلك؟" و"ما أهميته؟" أصبحت أكثر وضوحًا أكثر من أي وقت مضى، منذ عصر الإصلاح الديني،

بعيدًا عن الافتراض الساذج الذي غذى الكثير من الجدل السابق، حول إمكانية استعادتنا بكل يسر لـ"كتاب المسيح المقدس". وربما لم تخمّن سوى قلة من الباحثين في المخطوطات من الجيل الأول أن هذه المخطوطات ستحدث ثورة في تفكيرنا، وستقودنا بعد خمسين عامًا إلى التأمل من جديد في عدد كبير من المسائل الأساسية حول تطور ما نسميه "الكتاب المقدس".

الفصل الثالث

ماذا تعلمنا عن الصلاة والعبادة؟

أود أن آخذ على عاتقي معالجة موضوع الصلاة والعبادة من وجهة نظر ترتبط بسيرتي الذاتية؛ فعلى مدى أكثر من عشرين عامًا، كان تحقيق بعض الصلوات والمزامير في مخطوطات البحر الميت مجال عملي، وربما تصلح تجربتي لتبين أن الباحثين باتوا يقدّرون هذا النوع من النصوص وغناه تقديرًا شديدًا.

وعندما أوشكت على المباشرة بدراسات الدكتوراه في عام 1977، كنت أعلم أنني أريد الاشتغال بيهودية ما بعد السبي، أي في نطاق يهودية فترة الهيكل الثاني، والتي كانت توشك أن تصبح حقلاً دراسيًا مستقلاً بذاته. وقد كنت عملت بضع سنين على مستوى الرعاية الكنسية (في مجال موسيقى الكنيسة على وجه الخصوص)، في تنفيذ الإصلاحات الطقوسية لمجمع الفاتيكان الثاني* في الكنيسة الكاثوليكية، وكنت معنية بالعلاقات اليهودية - المسيحية، وأردت بطريقة ما أن أجمع هذا كله في دراساتي العليا. وبكل سذاجة طالب

---

* هو مجمع كنسي كاثوليكي يعد بحسب الكنيسة الكاثوليكية المجمع المسكوني (الذي يشمل الكنائس المسيحية بالكامل) الحادي والعشرين. انعقد بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين بين عامي 1962 و1965، وصدر عنه جملة من المقررات والمراسيم والدساتير، مكملاً ما عجز المجمع الفاتيكاني الأول عن إنجازه بسبب سقوط روما بيد الثوار عام 1870، مما أدى لوقف أعماله آنذاك. وقد تمخض عن المجمع إصلاحات مختلفة في جسم الكنيسة، كان أبرزها التخلي عن استعمال اللاتينية في الصلاة وإبدالها باللغات المحلية، وغيرها (المعربة).

دكتوراه مبتدئ، وضعت الخطوط العريضة لمخططاتي بغية كتابة أطروحة من شأنها أن تكشف عن الأصول اليهودية للطقوس المسيحية، من خلال مقارنة الصلوات المسيحية المبكرة بالصلوات اليهودية، بغية إظهار التأثيرات المتبادلة والتطورات التي جرت عليها. وعندما قدمت إلى جامعة هارفرد لفت مشرفي جون سترغنل نظري، وبكل لطف، إلى أن مثل هذه التوليفة العظيمة قد تكون، نوعًا ما، سابقة لأوانها، أو في أحسن الأحوال، مجرد عمل تخميني إلى قدر كبير؛ فما الذي كنت سأقارنه؟ إذ أن أقدم نسخ كتاب الصلاة اليهودية (سيدور) يعود إلى القرنين الثامن أو التاسع الميلاديين (على سبيل المثال، سيدور الجاؤن* "صاحب السعادة" رب عمران)، في حين تعوزنا معرفة ما قاله اليهود قبل ذلك بقرون عديدة في أثناء تأديتهم للصلاة، إذا ما أردنا أن تكون لدينا أسس راسخة للمقارنة. لكن سترغنل استطاع أن يقدم لي وسيلة للمضي قدمًا؛ إذ كان ثمة نصوص أستطيع الاستعانة بها للبحث في بعض هذه المسائل بالذات. ولكونه أحد أعضاء الفريق الدولي المكلف بنشر مخطوطات البحر الميت، كان في حصته عدد من المخطوطات غير المنشورة، والتي تحوي صلوات ومزامير يهودية معاصرة لبداية المسيحية. وأشار سترغنل إلى أنني قد أقدِّم مساهمة أفضل بكثير للبحث العلمي إذا ما ركزت جهدي في السنوات المقبلة على بضعة جذاذات محددة، محاولة قراءة حروفها المكتوبة على قطع داكنة وممزقة، وترجمتها للمرة الأولى، والتأمل في أي نوع من النصوص قد تكون هي. وهكذا

* رئيس المعهد الديني، ويؤكد مرسوم تعيينه حقوقه؛ فهو يتمتع بالسلطة الدينية العليا، وحق تفسير التوراة في الخطبة الدينية، والإشراف على السلوك الديني والأخلاقي لليهود، وشؤون الزواج والطلاق، وتعيين أو إقالة الخطباء والجزارين الشرعيين، وحق فرض الحرمان (حيرم)، ومراقبة أعمال المحاكم الشرعية، وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين، وكانت قراراته نافذة لا رجعة فيها (المعربة).

بدأت بدراسة آسرة، امتدت لنحو عشرين عامًا وأكثر من العمل على هذه النصوص وتأملها.

المخطوطتان 380 و381 المكتشفتان في الكهف الرابع: مزامير غير قانونية

بدأت عملي بتحضير النشرة الأولى للمخطوطتين غير المنشورتين، وهما 4Q380 و4Q381[60]، المكتشفتان في الكهف الرابع. وكان هناك نحو سبع وتسعين جذاذة من المخطوطتين معًا، تتألف أكبرها من ستة عشر سطرًا غير مكتمل، وتحتوي أصغرها على حرفين أو ثلاثة فقط. وكان من الواضح أنها مجموعة من المزامير، غير تلك المائة والخمسين التي نعرفها من العهد القديم العبري، بل كانت مؤلفات شعرية لم نر مثلها من قبل. وتحوي المخطوطتان مؤلفات شبيهة بالمزامير، وليس ثمة نص واحد مشترك بين المخطوطتين؛ ولهذا فمن العسير أن نتيقن فيما إذا كانت لدينا نسختان من المجموعة نفسها من المزامير أم مجموعتان مختلفتان. وقد كُتبت هذه القصائد، كما هو الحال في المزامير التوراتية، على شكل أسطر موجزة وموزونة ومتوازية. وهي تعبر عن تمجيد الإله، والاعتراف بالذنب، والتوسل إليه طلبًا للمساعدة، وتتناول مواضيع أساسية، مثل الخليقة (الجذاذة الأولى من المخطوطة رقم 381، المكتشفة في الكهف الرابع) 1 4Q381، والثناء على جبل صهيون (الجذاذة الأولى من المخطوطة رقم 380، المكتشفة في الكهف الرابع) 1 4Q380. ويبدأ الكثير من هذه المزامير، كما هو الحال في المزامير التوراتية، بعنوان ما، مثل: "صلاة لمَنَسَّى، ملك اليهودية، عندما أودعه ملك آشور السجن" (السطر الثامن من

---

[60] انظر كتاب آيلين م. شولر *Non-Canonical Psalms from Qumran: A Pseudepigraphic Collection*. وقد أصبحت هذه المخطوطات فيما بعد جزءًا من المجلد الحادي عشر من "مكتشفات في صحراء اليهودية" *DJD*، وذلك في الصفحات 75-172.

الجذاذة الثالثة والثلاثين من المخطوطة رقم 381، المكتشفة في الكهف الرابع) 8 33 4Q381؛ و"مزمور رَجل الإله" (السطر الرابع من الجذاذة الرابعة والعشرين من المخطوطة رقم 381، المكتشفة في الكهف الرابع) 4 24 4Q381. ونجد في واحدة من الجذاذات الجانب الأيمن للعمود مفقودًا، حيث كان سيظهر، فيما يبدو، اسم المتكلم: "[صلاة لِـ...] ملك اليهودية: اسمع يا إلهي ..." (السطر الرابع من الجذاذة الحادية والثلاثين من المخطوطة رقم 381، المكتشفة في الكهف الرابع) 4 31 4Q381. ولما كان المزمور يندب الحال "أيام وجودي مدَّخرة، ماذا عساه يفعل الرجل الضعيف"، فربما كان هذا المزمور لحزقيا، الذي كان تضرع (للإله) بمزمور خلال مرضه (الأصحاح الثامن والثلاثون من سفر إشعياء). وثمة جذاذة أخرى تبدأ بالكلمات "مزمور لِـ [...]"، لينقطع الكلام هناك (الجذاذة الرابعة من المخطوطة رقم 380، المكتشفة في الكهف في الرابع) 4 4Q380. وثمة أيضًا "مزمور عوبديا" (السطر الثامن من العمود الثاني من الجذاذة الأولى من المخطوطة رقم 380، المكتشفة في الكهف الرابع) 8 4Q380 1 ii، وقد يتساءل المرء لماذا تنسب كتابة أحد المزامير لنبي مثل عوبديا، وهو أحد الأنبياء الثانويين، وكل ما تبقى من تأليفه عبارة وحيدة "الحق فيه (أو فيها) وفي عطفه الودود".

وقد نسخت المخطوطتان كلتاهما في عام 75 قبل الميلاد تقريبًا. لكنْ متى أُلِّفتا ومن ألفهما؟ فبينما كنت أحضِّر النشرة الأولى في الثمانينات، كان ثمة ميل للافتراض أن النصوص المكتشفة في الكهوف كلها، كتبتها تلك الجماعة المتميزة التي عاشت في قمران، سواء عددناهم الإسينيين أم لم نفعل. لكن هذه المزامير لا تحوي المفردات والفكر اللاهوتي، أو الرؤيا الكونية التي يتضمنها "قانون الجماعة"، أو "مخطوطة الحرب"، أو "مزامير الشكر"، وهي المخطوطات المعروفة لدينا من الكهف الأول. وليس ثمة استخدام للغة "أبناء النور" أو "أبناء الظلام"، ولا المقابلة الثنائية بين النور والظلام، أو الخير والشر. وتبدو هذه

المؤلفات أقرب في أسلوبها الشعري إلى المزامير التوراتية منها إلى "مزامير الشكر". وكما رأينا للتو، لم تنسب هذه المزامير إلى شخصية معاصرة للمخطوطات، مثل معلم الحق، لكنها نسبت، على طريقة الكتب المنحولة، إلى شخصيات توراتية من القدم. كما أنها استخدمت الأحرف الأربعة (يهوه) اسمًا للإله، وهو اسم اجتنب استخدامه، بحرص شديد، في المؤلفات الطائفية، ليحل محله الاسم "إيل" (الإله)، بل إنهم (مؤلفو المخطوطات الطائفية) عند اقتباسهم من آية توراتية يرد فيها الاسم المقدس، نجدهم قد أعادوا صياغتها تجنبًا لذكره، أو استخدموا اسمًا بديلاً له. ولذا تقدمتُ بطرح مفاده أن هذه القصائد نُظمت قبل نسخها في قمران بنحو قرنين أو ثلاثة قرون؛ أي في القرنين الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وربما أوائل القرن الثاني قبل الميلاد. وقد وصلتنا لأنها استُخدمت في العبادات، أو على الأقل، لأن نسخة منها كانت ضمن مجموعة المخطوطات في قمران. وقد يكون في هذا إشارة إلى أن الكثير من المزامير نُظمت في الفترتين الفارسية والهلنستية، لكن جزءًا منها فقط حفظ في العهد القديم العبري، ويمكن الآن استعادة المزيد منها من خلال مكتبة قمران.

مدونة المزامير والصلوات من قمران

عثر سابقًا على مزامير وصلوات ضمن مخطوطات الكهف الأول[61]، كان من أهمها المخطوطة التي اشتراها إليعازر سوكنيك من تاجر الآثار كندو، ونشرها في العامين 1954/ 1955 بعنوان: "مخطوطة مزامير الشكر.

[61] لم تعرَّف المصطلحات بشكل جيد؛ ففي بعض الأحيان يسمي أحد المؤلفين نصًا ما "مزمورًا"، ويسميه آخر "ترنيمة"، وقد يضعها مؤلف ثالث ضمن صنف "صلاة" الأكثر شمولية. وفي كثير من الأحيان، لا يكون ثمة ما يكفي من التحليل النقدي الدقيق للشكل الأدبي للنصوص؛ فتعطى المسميات للنصوص على أساس أكثر ما يكون مبعثه جملة مثل: "في الواقع، هذا هو الاسم الذي نستخدمه عادة في كنيستي أو كنيسي". وسأستخدم مصطلح "مزمور" على نطاق

وهذه المخطوطة مجموعة من حوالي ثلاثين قصيدة دينية (كان من الصعب تحديد العدد بالضبط، لأن المخطوطة كانت مصابة بتلف كبير، ولأن سوكنيك، في مسعاه لإتاحة هذه المادة من النصوص على وجه السرعة، لم يحاول استبناء الكيفية التي تتطبق فيها الصفحات الأربع والجذاذات الصغيرة وعددها ست وستون على بعضها بعضًا). ومن الواضح، أن هذه القصائد صيغت على منوال "مزامير الشكر" التوراتية، وتبدأ بمطلع ثابت "أشكرك" أو "مبارك أنت"، ثم تواصل لتستعرض ما الذي فعله الإله لكاتب المزمور: خلّصه من أعدائه، وأعطاه عِلمًا، وأدخله في الجماعة "يَحاد" (وهي الكلمة ذاتها المستخدمة في الاسم العبري "لقانون الجماعة" "سيْرَخ هيَحَاد"). ويبدو أن المتكلم في إحدى مجموعات المزامير هو قائد ما، منحه الإله وحيًا خاصًا ليرشد به الآخرين: "أظهرت قوتك من خلالي؛ كشفت نفسك لي بقدرتك كنور تام ... كل أولئك المجتمعون على ميثاقك يتساءلون عني" (السطر الرابع والعشرون من العمود الثاني عشر، من النسخة (أ) من "مخطوطة مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الأول) 1QH^{a} 12 24[62]. ويعتقد العديد من الباحثين أن هذه المزامير

واسع للدلالة على النصوص الشعرية التي صيغت بشكل عام على منوال المؤلفات في سفر المزامير التوراتي. وسأستخدم مصطلح "صلاة" للمؤلفات النثرية التي تحمل، في كثير من الأحيان (لكن ليس دائمًا) معنى التضرع. أما مصطلح "ترنيمة" فسأدخره لمؤلفات التسبيح التي تشير إلى الإله باستخدام ضمير الغائب (على سبيل المثال، "مجّدوا الرب يا كل الأمم").

[62] ثمة مشكلة خاصة مرتبطة بالمخطوطة الكبيرة المكتشفة في الكهف الأول (النسخة (أ) من مزامير الشكر) 1QH^{a} فيما يتعلق بأرقام الأعمدة والأسطر. وقد استطاع كل من هارتموت شتيغمان وإميل بويش، وكانا يعملان بشكل مستقل عن بعضهما بعضًا، استبناء الترتيب الأصلي للأعمدة (ما مجموعه ثمانية وعشرون عمودًا)، ويمكن تحديد موضع العديد من الجذاذات الصغيرة على نحو موثوق جدًا (اعتمادًا على تطابق أشكال التلف في الأعمدة المتجاورة). واتّبعت الترجمات الحديثة هذا الترتيب المستبنى (كما هو الحال في ترجمة فيرمش الموسومة بالعنوان: *The Complete Dead Sea Scrolls in English*)، أما الترجمات والطبعات القديمة لفيرمش فتتبع ترتيب الأعمدة التي وضعها سوكنيك في كتابه *The Treasure of the*

كتبها مؤسس الجماعة؛ أي معلم الحق. أما المقطوعات الأخرى؛ فتتناول مواضيع أكثر عمومية، وتعبر عن أمرين، هما: شعور عميق بخطيئة الإنسان، وتمجيد لنعمة الإله: "لقد رأيتُ عجائب قدرتك [نحو أبناء] النعمة، وأعلمُ أن الحق لك، وأن في رحماتك [أمل لي]، لكن بدون نعمتك سيكون هناك [دمار] لا نهاية له" (السطر التاسع عشر من العمود التاسع عشر، من النسخة (أ) من "مخطوطة مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الأول) 19 19 1QH[a]. ويفصح وجود هذا النوع من المؤلفات، بأسلوب عميق، عن سمات الجماعة التي أنتجت المخطوطات؛ فهؤلاء كانوا يهودًا لم يعتنوا بالتفسير السليم للشريعة، وبالتكهن المبالغ فيه عن "نهاية وشيكة للأيام"، وعن المعركة النهائية، وحسب، بل شكّل ورعٌ تعبدي ثري حياتهم اليومية، فيما لجأوا إلى الإله تمجيدًا وشكرًا.

وكانت هناك أيضًا النسخة (ب) من "مزامير الشكر" 1QH[b]، وهي نسخة متشظية جدًا، وجدها الآثاريون بين الجذاذات التي تركت في الكهف الأول*. وهي، بالفعل، الوثيقة الطائفية الوحيدة التي خبئت نسختان منها في الكهف الأول، وهذه الحقيقة، في حد ذاتها، تعزز أهمية هذه المجموعة[63]. وتحوي

Hidden Scrolls. وما يزال هناك قدر من الالتباس والاختلاف في أرقام الأسطر، وفي كثير من الأحيان، تختلف الاقتباسات في بضعة أسطر.

* كان الراعيان محمد الذيب ومحمد حماد اكتشفا الكهف الأول، وأخذا ما فيه من مخطوطات ملفوفة وكبيرة الحجم، أما الجذاذات فتركاها خلفهما، ومن الواضح أن من الجذاذات التي تركت جمعت نسخة أخرى من "مزامير الشكر" (المعربة).

[63] أخذت هذه الجذاذات إلى "قاعة المخطوطات"، ونشرها ج. ت. ميلك، في المجلد الأول من *DJD* في عام 1955. وقد لاحظ ميلك التشابه بين هذه القطع الصغيرة جدًا، وبين المقاطع التي كان اطلع عليها، في ذلك الوقت، من المخطوطة التي كانت بحوزة سوكنيك، وظن أنها قد تكون بالفعل جزءًا منها. وعندما أصبح بالإمكان الاطلاع على المخطوطة التي يملكها سوكنيك بشكل كامل، تبين أن ثمة أجزاء مشتركة بالفعل بينهما؛ أي أن هذه المخطوطة هي نسخة ثانية من النص ذاته.

"مخطوطة الحرب" أيضًا، بالإضافة إلى الخطط المدروسة لكل التفاصيل المتعلقة بتنظيم القوات، وكيفية إدارة المعركة، قسمًا مطولاً يزودنا بنصوص من الترانيم والصلوات التي ينبغي للكهنة والكهنة الأعلون قولها (من العمود العاشر إلى الخامس عشر، والسابع عشر إلى التاسع عشر من "مخطوطة الحرب"، المكتشفة في الكهف الأول) 1QM 10-15, 17-19. وربما كان بعضها ترانيم نصر تعود إلى الفترة المكابية، أجريت عليها تعديلات طفيفة، لتكون معدَّة للاستعمال في الأيام الأخيرة. وتحوي وثيقة أخرى، وهي وثيقة "قانون المباركات" 1QSb، الملحقة بمخطوطة "قانون الجماعة" من الكهف الأول، سلسلة طويلة من المباركات التي ينبغي للمعلم "مَشْكيل" تلاوتها، لمباركة أعضاء الجماعة والكهنة والمسيحاني. ويشير ذكر المسيحاني إلى أن هذا النص وُضع لكي يستعمل في نهاية الزمان، مع أن هذه المباركات تُليت في ذلك الوقت استبشارًا، ولربما كان ذلك عند تناول الجماعة لوجبات الطعام؛ وهو الوقت الذي كان من المتوقع قدوم المسيحاني فيه (انظر الأسطر العاشر إلى الثاني والعشرين من العمود الثاني من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 1QSa 2 10-22. ولدينا من الكهف الأول أيضًا "مخطوطة سفر التكوين الأبوكريفي"، والتي تعيد باللغة الآرامية رواية القصص الواردة في "سفر التكوين التوراتي" بإسهاب، بما في ذلك من إضافة لصلوات؛ فعلى سبيل المثال، يشير النص التوراتي باقتضاب لردة فعل إبراهيم عندما أخذ ملك مصر زوجته سارة، بينما في "سفر التكوين الأبوكريفي" يُصوَّر إبراهيم بوضوح كرجل صلاة، كما تذكر كلماته حرفيًا: "تلك الليلة صليتُ وتضرعتُ وتوسلتُ، وقلتُ في حزني، بينما دموعي تسيل: "مبارك أنت، يا إلهي العظيم، رب كل الأكوان" (السطران الثاني عشر إلى الثالث عشر من العمود العشرين من "مخطوطة سفر التكوين الأبوكريفي"، المكتشفة في الكهف الأول) 1QapGen 20 12-13.

وقد عرف الباحثون، ومنذ السنوات الأولى في الدراسات المتعلقة بقمران، أن الصلوات والمزامير كانتا من الضروب الأدبية الموجودة في المخطوطات. لكن هذا النوع من النصوص اجتذب، في البداية، اهتمامًا بحثيًا أقل من النصوص التي تحوي شرائع وقوانين خاصة بالجماعة، وبالتأكيد اهتمامًا إعلاميًا أقل من ذلك الذي حازته بعض الجذاذات الصغيرة والمثيرة عن المسيحاني، أو عن نهاية الأيام. وقد نشرت هذه المخطوطات، وهي في أغلبها متشظية جدًا، وتحوي صلوات ومزامير، ببطء وعلى مدى أكثر من عشرين عامًا تلت، وكان ذلك في بداية الأمر، في مقالات أولية، في كثير من الأحيان، ثم في المجلد السابع من *DJD* في عام 1982، كما خُصِّص مجلدان من هذه السلسلة للنصوص الطقوسية (المجلد الحادي عشر في عام 1998، والمجلد التاسع والعشرون في عام 1999)، بالإضافة إلى قطع متنوعة ومختلفة ضمها المجلد السابع والثلاثون من *DJD* في عام 2000. وأحصت إستر حازون Esther Chazon في السنوات الأولى من عقد التسعينات ما مجموعه أكثر من مائتي صلاة مختلفة[64]. والعدد الدقيق ليس ذا أهمية (إذ من الممكن عدُّ الصلوات بأكثر من طريقة)، لكن ما ترسَّخ هو حيازتنا الآن لمدونة مهمة للدراسة، من مادة لم تكن معروفة في السابق. ولأن الكثير من النصوص المهمة نشرت في الآونة الأخيرة في هذا الحقل من الدراسات، فإن الباحثين ما زالوا يستكشفون كيف ينبغي أن نجمع كل هذا إلى بعضه بعضًا، بل حتى ما هي الأسئلة التي ينبغي أن تسأل. ولم تصدر قبل عام 1994 أية دراسة وافية بحجم

[64] انظر:

Esther Chazon, Prayers from Qumran and their Historical Implications, *DSD* (1994), pp. 265-284.

كتاب عن الصلوات والترانيم، وثمة الكثير من العمل الذي ما زال ينبغي القيام به[65].

وبالإضافة إلى نصوص الصلوات والمزامير، ثمة عبارات توضيحية عن الصلاة، وتعليمات حول كيف ومتى تكون الصلاة، فلنبدأ بهذه المسائل.

ممارسة الصلاة

كان تدوين الصلوات من الأمور التي ميزت جماعة قمران، وهذا يتناقض تناقضًا واضحًا مع ما كان يمارس في القرون اللاحقة؛ أي في اليهودية الحبرية التي لم تكن تشجع على تدوين الصلوات كتابة (الفقرة الرابعة من الفصل الثالث عشر من كتاب توسفتا سبت*). وتكمن إحدى الصعوبات التي تواجهنا عند دراسة الصلاة اليهودية (لا سيما مع تطورها بعد دمار الهيكل في عام 70 للميلاد) في أنها كانت في الأساس شفوية، على الرغم من وجود إشارات متناثرة لها، بل وتجد في بعض الأحيان ألفاظًا من المباركات في المشنا والتلمود. وكما

---

[65] انظر: *Qumran Prayer and Religious Poetry* ,Bilhah Nizan، أما الدراسة الرئيسة الأخرى بحجم كتاب، فكتبها دانيال فولك Danial Falk، وكانت بعنوان: *Daily Sabbath and Festival Prayers in the Dead Sea Scrolls*. وللاطلاع على شرح موجز لنصوص مختارة، انظر جيمس ر. دافيلا James R. Davila، في كتابه *Liturgical Work*.

* يعرِّف مؤلف موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" عبد الوهاب المسيري التوسفتا على النحو الآتي: "مصطلح التذييل هو المقابل العربي لكلمة توسفتا الآرامية والتي تعني التذييل أو الزيادة أو الإضافة. والتوسفتا عمل تشريعي ملحق بالمشنا ومكمل لها. وقد ورد في التلمود ذكر لأكثر من تذييل، ولكن لم يبق من ذلك سوى واحد. والتذييل الذي بين أيدينا يتكون من ستة أقسام (سداريم) تحمل عناوين أقسام المشنا نفسها. وتختلف الآراء بشأن التوسفتا، فيذهب أحد علماء التلمود إلى أن التذييل هو في الواقع المشنا الفلسطينية، ويذهب آخر إلى أن واضعي التلمود البابلي لم يكونوا على معرفة بهذا التذييل بتاتًا. ويضم التذييل كثيرًا من الفقرات الخارجية" (المعربة).

ذكرت سابقًا، فإن أقدم النسخ المحفوظة لكتاب صلاة (سيدور) تؤرخ إلى القرن التاسع الميلادي؛ ولهذا تزودنا المخطوطات بمعلومات عن مرحلة من مراحل التطور لصيغ الصلاة اليهودية لم تدون سابقًا.

ومع أنني لا أريد أن أبالغ في تأكيد هذا، إلا أن من المحتمل أن الإسينيين دوَّنوا الصلوات، تحديدًا، لأن تلاوتها لعبت دورًا رئيسًا في حياتهم. وقد ادَّعت هذه الطائفة اليهودية، وعلى نحو متطرف، أن الصلاة (عند اقترانها بأسلوب حياة صارم وملتزم بتعاليم التوراة المفسرة على نحو صحيح)، تكون بمثابة الأضاحي المقدمة للهيكل، ولذا يكون للصلاة خاصة دور في التكفير عن الذنوب. وقد أدرجت مفردات العبادة والهيكل وأضحياته في الصلاة:

> بغية التكفير عن إثم الظلم، وعن خيانة الخطيئة، وبغية استحسان (الإله) للأرض، دون لحم القرابين المحروقة، ودون شحوم الأضحية، سيكون قربان الشفتين في امتثال لحكم (الشريعة) كرائحة العدل الزكية، وكمال السلوك سيكون مقبولاً كقربان الإرادة الحرة (السطران الرابع إلى الخامس من العمود التاسع من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 9 4-5.

ربما كان هذا فهمًا للصلاة كعبادة (عافوداه) بحد ذاتها، وأنها قد تصلح كوسيلة للتكفير عن الذنوب، ويبدو أن ذلك جاء ردًا عمليًا لأزمة ملموسة؛ إذ زعمت هذه الجماعة أن تقديم الأضحيات في هيكل القدس بوضعه الحالي، وتحت سلطة الكهانة الحالية، يُمارس تبعًا لممارسة هالاخية (تشريعية) مغلوطة (كما وضحت ذلك وثيقة "بعض تعاليم التوراة"، المكتشفة في الكهف الرابع) 4QMMT، والأخطر من ذلك، أنها كانت تُمارس تبعًا لتقويم مغلوط (تقويم قمري عوضًا عن التقويم الشمسي). ولمَّا كان أهل قمران غير قادرين على المشاركة في تقديم الأضحيات اليومية والسبتية، وتلك المتعلقة بالأعياد؛ فقد

رأوا أن حياتهم المرتبطة بالصلاة والتقيد بالتوراة يمكن أن تحقق الهدف نفسه، في إقامة علاقة سوية مع الإله. ولم يكن هذا موقفاً عدائيًا من الهيكل والأضحية بحد ذاته. وبالنظر إلى المستقبل؛ أي إلى الأيام الأخيرة من المعركة العظيمة لأبناء النور ضد أبناء الظلام، فإن المرحلة الأولى للنصر بعد سبع سنوات، كانت ستشمل إحياء العبادة في هيكل القدس (الأسطر الأول إلى السادس من العمود الثاني من "مخطوطة الحرب"، المكتشفة في الكهف الأول) 1-6 1QM 2. وهذا يعني أنه لم يكن القصد من ذلك أن تحل الصلاة مكان نظام الأضاحي، والذي قضى الإله بأن يكون إلى الأبد، وأنزله في التوراة؛ إذ لم تكن ثمة حاجة لقيام الصلاة بمهمة تقديم الأضاحي إلا في ذلك الوقت، أي في "وقت بليعال". وقد كان الادعاء بإمكانية عيش حياة من القداسة بعيدًا عن نظام الهيكل ادعاء متطرفًا، وقد أثار المسائل نفسها التي وجب على تيارات الديانة اليهودية الأخرى التعامل معها بعد دمار الهيكل في عام 70 للميلاد، وكذلك الكنيسة المسيحية المبكرة (لا سيما النقاش حولها في سفر الرسالة إلى العبرانيين في العهد الجديد).

وعندما تتحدث المخطوطات عن الصلاة يقصد بذلك صلاة الجماعة، وهذا ما يشترطه "قانون الجماعة": "ينبغي أن يأكلوا معًا، وأن يباركوا معًا، وأن يتشاوروا" (السطران الثاني إلى الثالث من العمود السادس، من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 2-3 1QS 6. و"الكثيرون" يجب أن يجتمعوا سوية ثلث كل ليلة "لقراءة الكتاب، ولشرح التعاليم، وللتبارك سوية" (السطران السابع إلى الثامن من العمود السادس، من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 7-8 1QS 6. وقد صيغت الصلوات باستخدام ضمير المتكلمين، وهناك إشارات لأسلوب حواري أو تناوبي، ومن أمثلة ذلك ترديد الجواب "آمين، آمين". ولا بد أن ثمة كلمات فردية ترتبط بالتقوى والتضرع

كذلك؛ أي اللجوء العفوي إلى الإله في أوقات الأزمة أو الفرح، لكن هذا النوع من الصلوات لم يحفظ.

على ماذا اشتملت حياة الجماعة المتصلة بالصلاة؟ فأكثر ما بين أيدينا لا يعدو كونه تكهناً؛ فلدينا القليل من هذا وذاك، لكن ليس لدينا كتاب صلاة يومية، أو ذاك النوع من كتب الشعائر التي رسمت فيما بعد الخطوط العريضة للحياة الطقوسية في الأديرة المسيحية. وثمة دليل على وجود أوقات ثابتة للصلاة "مع قربان الشفتين الذي سيباركه (الإله) خلال الأوقات الثابتة التي أمر بها" (السطر الأول من العمود العاشر، من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 10 1، وكذلك (الأسطر السابع إلى الرابع عشر من العمود العشرين، من النسخة (أ) من "مخطوطة مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الأول) $1QH^a$ 20 7-14. وحُددت هذه الأوقات لتتناغم مع نظام الكون؛ أي الدورة الاعتيادية للصباح والمساء، ومطالع الشهور، والأعياد، والسنوات السبتية*[1]، وسنوات اليوبيل*[2] (الجزء الثاني من السطر الأول إلى السطر الثامن من العمود العاشر من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 10 1b-8؛ فتصبح الجماعة من خلال الصلاة في تناغم مع الكون كله، ومع العالم السماوي الذي يمجِّد سكانه الإلهَ أيضًا، تبعًا للنظام الكوني (كما يُعبَّر عن

---

*[1] سنة كل سبع سنوات تُراح الأرض فيها، وقد جاء في العهد القديم، في سفر اللاويين وفي مواضع أخرى، أن الإله يأمر شعبه بأن يزرع الأرض ست سنوات على أن يريحها في السنة السابعة، وكل ما ينمو على الأرض في هذه السنة يُصبح ملكًا مشاعًا للجميع يحرم الاتجار به، كما تصبح كل الديون بين اليهود وكأنها قد وُفيِّت ودفعت، كما يحرر العبيد اليهود في هذه السنة (المعربة).

*[2] تطبق في سنة اليوبيل شعائر السنة السبتية كلها، وتضاف إليها شعيرة أخرى، وهي إعادة الأرض المرهونة إلى أصحابها، كما تعاد الأرض المبيعة إلى ملاكّها الأصليين، وكأن من اشتراها قد استأجرها طيلة هذه المدة وحسب، ولا تبقى سوى الأرض الموروثة في حوزة صاحبها (المعربة).

ذلك في "ترنيمة الخالق": "فصلَ الضوءَ عن الظلام، بمعرفة عقله، خلق الفجر، وعندما شهدت ملائكته ذلك، أنشدت بصوت عالٍ") (السطران الحادي عشر إلى الثاني عشر، من العمود السادس والعشرين، من النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر) 12-11 26 11QPs^{a}. وبالإضافة إلى الصلوات التي كانت تتلى عند الشروق والغروب (سنتفحص أمثلة بعينها بعد حين)، كانت هنالك الوجبة الجماعية التي كانت بحسب جوزيفوس (حرب اليهود، المجلد الثاني، الصفحات 129-133) تقام عند الظهيرة، وفي شكل مغاير في المساء. وتعدُّ هذه الوجبات المنتظمة، بطريقة ما، نشاطًا دينيًا؛ إذ اقتضت المشاركة في هذه الوجبة الاغتسال والطهارة، كما كان ثمة نظام وتسلسل في ترتيب المقاعد، وكانت المشاركة في الوجبة (أو في بعض أجزائها على الأقل) مقصورة على أولئك الذين اجتازوا الوقت الكامل للتكوين والاختبار، والذين كانوا من أعضاء الجماعة المكرَّسين بالكامل (الأسطر السادس عشر إلى الثالث والعشرين، من العمود السادس، من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 23-16 6 1QS. ولا بد من حضور كاهن في الوجبات الجماعية؛ فهو صاحب الامتياز في قول المباركات. وفي الحقيقة، فإنه في الأيام النهائية، عندما يكون كل من المسيحاني من نسل داوود والكاهن حاضرين للوجبة، فإن الأولوية ستكون للكاهن في قول المباركة (الأسطر السابع عشر إلى الثالث والعشرين من العمود الثاني من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 23-17 2 1QSa. ويشير جوزيفوس إلى المباركات التي كانت تقال في الوجبات، فيقول: "في البداية وفي النهاية يمجِّدون الإله باعتباره الواهب للحياة" (حرب اليهود، المجلد الثاني، صفحة 131)، لكن لم يُحفظ في المخطوطات أي نص من هذه المباركات. وبحسب النص المقتبس من "قانون الجماعة" سابقًا (السطران السابع إلى الثامن من العمود السادس من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول 8-7 6 1QS)، كان، بالإضافة

إلى ما سبق، نوع من الاجتماعات يعقد في كل ليلة (أو ربما مرة كل ثلاث ليال طوال السنة)، يشمل المباركة، والتشاور، ودراسة النصوص المقدسة.

أين كانت تقام الصلاة؟ يبدو أن أولئك الذين كانوا يعيشون في بلدات ومدن مختلفة أوجدوا أماكن يجتمعون فيها للصلاة، لكن ليس ثمة مواقع أثرية يمكن تمييزها كأماكن للصلاة. ولمّا كانت الوحدة الأساسية للجماعة تكتمل باجتماع عشرة أشخاص (السطران الثالث والسادس من العمود السادس من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 6 3, 6، فليس ثمة ما يستدعي الافتراض أن مكان الصلاة كان بناء عامًا ضخمًا استخدم لهذه الغاية خصيصًا؛ فربما أنهم اجتمعوا في بيوت خاصة، كما كان حال المسيحيين الأوائل. وهناك فقرة في "وثيقة دمشق"، وتفسيرها على أية حال موضع خلاف، تناقش التعليمات لـ"كل من يدخل بيت سجود" (السطران الحادي والعشرون إلى الثاني والعشرين، من العمود الحادي عشر، من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 11 21-22، فكان لا بد له من الطهارة بالاغتسال قبل الدخول، ومن نفخ القرون*. وقد يبدو أن في هذا إشارة إلى الهيكل (حيث يسجد الناس)، وحديثاً قيل إن "بيت السجود" هو المصطلح الذي أطلقه الإسينيون على مراكزهم المحلية للعبادة[66]. وإذا كان هذا هو الحال، فهذه إشارة إلى أن عبادة الإسينيين اتخذت خصائص العبادة في الهيكل (السجود، وطقوس الطهارة قبل الدخول، ونفخ

---

* يسمى قرن النفخ بالعبرية الشوفار (שׁוֹפָר)، وهو أحد الأدوات الطقوسية التي يحتفظ بها في المعبد اليهودي. وهو قرن كبش، ينفخ فيه في صلاة الصباح في أثناء الشهر الذي يسبق عيد رأس السنة العبرية، وفي يوم العيد نفسه، وفي يوم الغفران. ولا يكون الشوفار مزخرفاً عادة، ولكن يمكن أن تنحت عليه بعض الرسوم، شريطة أن تظل الفوهة كما هي. وقد استخدم الشوفار في البداية للنفخ فيه وقت الحرب لدعوة الناس للخروج لها أو لإثارة خوف العدو (المعربة).

[66] انظر:

Annette Steudel, The Houses of Prostration CD xi 21-xii 1- Duplicates of the Temple, *RQ* 16 (1993-1994), 49-68.

القرون) وإن اختلفت بعض الشيء عما كان يُمارس في الكنيس؛ فالكنيس العام كان مكاناً للاجتماع بغية قراءة التوراة وتفسيرها؛ ولعلكم تذكرون أنه عندما ذهب المسيح إلى الكنيس في الناصرة قرأ من مخطوطة سفر إشعياء وفسر النص (الآيات السادسة عشرة إلى الثانية والعشرين من الأصحاح الرابع من إنجيل لوقا)؛ ولم يذكر صراحة أنه تلا صلوات. وستظل مسألة وجود صلاة محددة العناصر كجزء من العبادة في الكنيس في العقود السابقة لعام 70 للميلاد موضع خلاف في دراسة تطور الصلاة فيه.

صلوات الصباح والمساء والسبت

لنتفحص الآن نصوصًا لصلوات محددة، كأمثلة مختارة، مستهلين ذلك بصلاتي الشروق (الفجر) والغروب (قبيل الغروب أو المساء). وكما أشرنا أعلاه، فإن لهذه الأوقات ذات التبادل الكوني، من النور إلى الظلام، والعودة مرة ثانية إلى النور وهكذا، أهمية خاصة. ويقول جوزيفوس عن الإسينيين إنهم "لا يتكلمون بما هو غير مقدس قبل الشروق، وإنما يتلون صلوات موروثة محددة للشمس، أو تجاه الشمس، كما لو أنهم يستعطفونها لتشرق" (حرب اليهود، المجلد الثاني، صفحة 128). ويصوغ النص الشبيه بالترنيمة الوارد في نهاية "قانون الجماعة" هذا بأسلوب شعري واضح: "عند بداية سيادة النور في وقته، وعند نهايته، عندما يتراجع إلى مكانه المخصص ... عندما تشع الأنوار السماوية من حيث تكمن القداسة، وكذلك عندما تتراجع إلى مكان المجد" (الأسطر الأول إلى الثالث، من العمود العاشر من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 10 1-3. ويواصل النص: "ومع قدوم النهار والليل سأدخل في ميثاق الإله، وعندما يرحل المساء والصباح سأتلو أحكامه" (السطر العاشر من العمود العاشر من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 10 10. وقد يكون في هذا إشارة إلى تلاوة صلاة "اسمع": "اسمع يا إسرائيل، الرب إلهك واحد" (الآية الرابعة

من الأصحاح السادس من سفر التثنية). وفي التراث المتأخر، عُدَّت هذه التلاوة التزامًا بميثاق الإله، وكان يتوجب ترديدها "عندما تضطجع وعندما تستيقظ". وقد يشير القول "سأتلو أحكامه" إلى تلاوة الوصايا العشر؛ إذ ثمة ما يلمح إلى أن الوصايا العشر كانت عنصرًا من عناصر الصلاة العامة في الكنيس في مرحلة مبكرة، لكنها استبعدت فيما بعد. ويقول كاتب المزمور "سأمجّد اسمه" (السطر الثالث عشر من العمود العاشر من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 10 13، وقد عُدَّ هذا، في بعض الأحيان، دليلاً على أن المباركات نفسها التي كانت جُعلت قبل صلاة "اسمع" وبعدها، أصبحت، فيما بعد، معتمَدة في الطقوس اليومية. لكن قد يكون في هذا مبالغة في التحليل لعبارة ذات دلالة أكثر عمومية.

وهناك مجموعتان من الصلوات النثرية القصيرة المرتبطة بالصباح والمساء، هي "الصلوات اليومية" (المخطوطة رقم 503، المكتشفة في الكهف الرابع 4Q503)، والتي حفظت في نسخة واحدة فقط، وهي مجموعة من المباركات لكل يوم من أيام الشهر. والمخطوطة تالفة جدًا، وتتألف من حوالي مائتين وخمس وعشرين جذاذة صغيرة، ولم تحفظ صلاة واحدة منها بشكل كامل، لكن، ولأنها ذات صياغة نمطية محددة، فبإمكاننا استبناء الكثير من بنائها الاعتيادي. وهناك صلاة خاصة ذات نص محدد لمباركة المساء: "في اليوم (اسم اليوم) من الشهر في المساء، سوف يباركون ويجيبون ويقولون ..."، ولمباركة الصباح: "عندما تصعد الشمس لتنير الأرض، سوف يباركون ويجيبون ويقولون ...". وتبدأ كل صلاة بصيغة مباركة مميزة (باروك)، باستخدام ضمير الغائب "ليكن إله إسرائيل مباركًا الذي ..."، وفي بعض الأحيان تختتم الصلاة بمباركة باستخدام ضمير المخاطب "لتكن (أنت) مباركًا/ ليكن اسمك مباركًا، يا إله إسرائيل"، وبعد ذلك يُخاطِب أحد ما (ربما الكاهن) الحشد مباشرة بالكلمات: "سلام عليك يا

إسرائيل" (أنظر الآية الخامسة من المزمور مائة وخمسة وعشرين، والآية السادسة من المزمور مائة وثمانية وعشرين من سفر المزامير التوراتي).

ولهذه الصلوات سمتان مهمتان بصورة خاصة، لأنهما تدلان على الكيفية التي تطورت فيها الصلاة اليهودية. تتبين السمة الأولى بمقارنة الصيغ الواردة في المخطوطات بتلك الموجودة في الطقوس الدينية المتأخرة؛ إذ تبدأ الصلاة في المخطوطات بعبارة: "ليكن إله إسرائيل مباركًا"، أما الصيغة الأساسية للمباركة في كتاب الصلاة اليهودية المعتمد فهي: "باروك أتَّا أدوناي إلوهيم مِلِك هاعولام"، وترجمتها: "مبارك أنت يا سيدي، الإله، ملك الكون". وتؤكد "الصلوات اليومية" (بالإضافة إلى صيغ أخرى مماثلة) أن صيغ الصلاة هذه أصبحت صيغًا ثابتة في القرن الأول قبل الميلاد، وإن لم تكن توحدت وترسخت كما أصبح حالها في القرون اللاحقة. والصيغ الواردة في المخطوطات أكثر تنوعًا من الطقوس الدينية المتأخرة بكثير[67]. والسمة المميزة الأخرى تتمثل بالعبارات التي تتحدث عن ربط الصلوات على الأرض بصلوات الملائكة في السماء: "نحن مع المقدَّسين ... أولئك الذين يسبِّحون معنا". وإذا ما كانت الجماعة "تصلي مع الملائكة"، فإن من السهل أن ندرك لماذا كانت مسألة التقويم الصحيح مسألة حاسمة بكل معنى الكلمة؛ فإذا كانت الجماعة التي تعيش على الأرض تحتفل بعيد ما في يوم معين، والملائكة في العالم السماوي تحتفل تبعًا لتقويم مختلف، فهناك مشكلة! فالصلاة مع الملائكة عنصر مهم في الصلاة اليهودية التشريعية، كما تطورت حتى يومنا هذا، وفي كل صلاة

---

[67] كنت ناقشت المباركات وأهميتها في مقالة بعنوان:

Some Observations on Blessings of God in Texts from Qumran, in *Of Scribes and Scrolls: Studies on Hebrew Bible, Intertestamental Judaism and Christian Origins, Presented to John Strugnell*, pp. 133-144.

عامة تظهر كلمات السارافيم*[1] السماويين التي ترد في الآية الثانية من الأصحاح السادس من سفر إشعياء، وهي: "قدوس قدوس قدوس رب الجنود"، مرتين على الأقل. وثمة خلاف قائم بين الباحثين في الطقوس الدينية منذ أمد بعيد، فيما إذا كان استخدام كلمة قدوس "قِدوشاه" (ثلاث مرات) تطورًا مبكرًا أم متأخرًا (أو ربما يعود إلى العصور الوسطى)، أو فيما إذا كان بُدئ باستخدامها في صلاة السبت، ثم توسع استخدامها لاحقًا ليشمل أيام الأسبوع الأخرى، بتأثير محتمل من جماعات غامضة وقبَّاليَّة*[2]. وكان من العسير الإجابة على هذه الأسئلة عندما كان الدليل الوحيد لدينا يتمثل بكتب صلاة من القرون الوسطى، من القرن العاشر الميلادي وما يليه. وغدت المخطوطة رقم 503، المكتشفة في الكهف الرابع 4Q503 تبين لنا الآن أن الصلاة مع الملائكة كانت موضوعًا رئيسًا في الديانة اليهودية في وقت مبكر، كما كانت جزءًا من

---

*[1] السارافيم كلمة عبرية يغلب أن يكون معناها "كائنات مشتعلة"، وربما كان معناها "شرفاء" وهي في صيغة الجمع، لم ترد سوى في آيتين من سفر إشعياء (الآيتان الثانية والسادسة من الأصحاح السادس)؛ إذ يصفها إشعياء دون أن يذكر عددها، ويقول إن لها وجوهًا وأياديًا وأرجلاً وأجنحة، ولكل منها ستة أجنحة، باثنين تغطي وجهها، وباثنين رجليها، وباثنين تطير. وقد طارت إحداها بجمرة من على المذبح ووضعتها على شفتي إشعياء لتطهيرهما (الآيتان السادسة والسابعة من الأصحاح السادس من سفر إشعياء) (المعربة).

*[2] القبَّالاه تطلق على مجموعة من المعتقدات التراثية اليهودية المعقدة التي كانت تقتصر دراستها الصعبة على دارسي التلمود من المتزوجين، وهي تحوي أنواعًا من التعاليم التي تبحث في المعاني السرية الموجودة في التوراة، وفي المصادر الأخرى للدين اليهودي، وتنقسم دراسة التوراة إلى أربعة مستويات، وهي:

1. دراسة المعاني المباشرة السطحية.
2. دراسة المعاني غير المباشرة للكلمات.
3. الدراسة الحبرية (دراسة وتفسير الأحبار للتوراة).
4. دراسة المعاني الدفينة والخفية للتوراة، وهي ما تسمى بالقبَّالاه (المعربة).

الصلاة قبل دمار الهيكل، وجزءًا من صلاة كل يوم من أيام الأسبوع، ولم يقتصر ذلك على صلاة يوم السبت.

وثمة مجموعة أخرى من الصلوات ربما كانت تقال مرتين يوميًا؛ في الصباح وفي المساء، إلا أن هذا غير مؤكد. وكُتب عنوان العمل الموسوم بـ: "كلمات الأجرام السماوية" على ظهر إحدى نسخ* المخطوطة 504 المكتشفة في الكهف الرابع 4Q504، وهو مجموعة من الصلوات لكل يوم من أيام الأسبوع، والمخطوطة مصابة بتلف كبير، لكن إستير حازون استبنت الشكل الأصلي للمخطوطة في أطروحتها التي قدمتها في الجامعة العبرية. وتتبع هذه الصلوات بناء ثابتًا، ولا بد أنها كتبت كوحدة أدبية واحدة. ومرة أخرى، وضع عنوان توضيحي للصلاة؛ فعند الحديث عن يوم الأربعاء على سبيل المثال يقال: "صلاة اليوم الرابع". ويبدو أن كل صلاة تبدأ بالأسلوب نفسه، بصيغة أمر وليس بصيغة مباركة: "اذكر يا إلهي". ويتبع هذه الصيغة سرد تاريخي موسع ومقسم على أيام الأسبوع المتتالية، بدءًا من خلق آدم (في يوم الأحد)، مرورًا بإعادة رواية أحداث سفر الخروج وتلقّي الشريعة، وانتهاء بالفترة التي سبقت السبي، والتي اتسمت بالمعاناة والأسى (في يوم الجمعة). وعلى سبيل المثال، تحكي صلاة يوم الأحد حكاية الأصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين: "آدم، أبونا، خلقته في صورة مجدك ... ونَفَسِ الحياة الذي نفخته في منخريه والفطنة والمعرفة ... في جنة عدن" (الأسطر الرابع إلى السادس من العمود الثامن، من المخطوطة رقم 504، المكتشفة في الكهف الرابع) 6-4 8 4Q504. ويتبع هذا الجزء القصصي من كل صلاة توسل مبني على أفكار قيلت أو أُلمح إليها في السرد القصصي ("أشفق علينا ... إصفح عن ظلمنا وخطيئتنا ... قوِّ قلبنا لنفعل"). والخاتمة تكون

---

* هناك ثلاث نسخ من هذه المخطوطة، وهي المخطوطات 504، 505، 506، المكتشفة في الكهف الرابع 4Q504-506، والعنوان "كلمات الأجرام السماوية" كُتب على ظهر الجذاذة الثامنة من هذه المخطوطة (المعربة).

على شكل مباركة، يُمجَّد فيها الإله بطريقة مرتبطة بموضوع الصلاة (على سبيل المثال: "[ليُمجَّد] الرب الذي علّمنا") (السطر الرابع عشر من العمود الرابع، من المخطوطة رقم 504، المكتشفة في الكهف الرابع) 14 4 4Q504. وتردد الجماعة "آمين، آمين"، وفي هذا دليل آخر على التوظيف الطقوسي لهذه الصلاة.

وتعدُّ المخطوطة رقم 504، المكتشفة في الكهف الرابع 4Q504، واحدة من أقدم المخطوطات المحفوظة في قمران؛ إذ نسخت في الجزء الأول من القرن الثاني قبل الميلاد (ربما 175-150 قبل الميلاد)، وكان تأليف الصلوات نفسها أبكر من ذلك (ليس ثمة ما يدعو للظن بأن هذه النسخة هي المخطوطة الأصلية)؛ فالتاريخ المبكر جدًا (حتى قبل معلم الحق وقبل تشكيل الجماعة) وحقيقة عدم وجود ما يشير إلى سمات طائفية لافتة للنظر في المادة المعجمية وفي المحتوى (فلا ثنائية لفظتي النور والظلام، ولا المفردات الخاصة المستخدمة في مخطوطة مزامير الشكر) تقودنا إلى الاستنتاج أنه حتى في القرن الثاني قبل الميلاد كانت بعض الجماعات الدينية الورعة تتلو صلوات يومية ثابتة على الأقل، وهي ممارسة استمر الإسينيون في أدائها، لكنها لم تكن من ابتداعهم. وإذا كان هذا الفهم صحيحًا، يكون لدينا هنا دليل أقدم بكثير مما كان لدينا سابقًا، أو أقدم مما افترضه الباحثون، على ممارسة صلوات يومية. وهذا يعني أن ممارسة صلاة جماعية ثابتة بدأت بينما كان الهيكل لا يزال قائمًا، ولم يكن ذلك ردًا على دمار الهيكل في عام 70 للميلاد.

وصلاة السبت المذكورة في "كلمات الأجرام السماوية" تختلف عن الصلوات الخاصة بأيام الأسبوع الأخرى؛ إذ صيغت على شكل أسطر شعرية متوازية عوضًا عن صياغتها نثرًا، وهي تتناول مواضيع متعلقة بالخليقة وبالميثاق، وهي تمجيدية بالكامل، وليس فيها توسل أو تضرع. وثمة اختلاف في الصلاة اليهودية، في الوقت الحاضر، ما بين الصلاة اليومية التي تشكل "صلاة المباركات الثماني عشر" جوهرها، والتي يزخر محتوى الكثير منها بالتوسل،

وبين صلاة السبت "عميداه"، ذات المباركات السبع، وكلها من التسبيح. وقد حذر الأحبار أيضًا من "الصراخ" توسلاً في يوم السبت. فبتنا ندرك الآن أنهم عدوا يوم السبت يومًا للتسبيح وحسب، وأن هذا الفهم يعود إلى زمن مبكر جدًا؛ أي إلى القرن الثاني قبل الميلاد على الأقل.

ويرد في "أناشيد قربان السبت" نوع آخر من الصلاة المخصصة ليوم السبت، وقد وجدت تسع نسخ من هذا العمل في قمران (المخطوطات من 400 إلى 407، المكتشفة في الكهف الرابع، والمخطوطة السابعة عشرة، المكتشفة في الكهف الحادي عشر) 4Q400-407, 11Q17، ونسخة أخرى في خربة مصعدة، ومن الواضح أنه كان عملاً مهمًا. وهناك ثلاث عشرة مقطوعة لأيام سبت متتالية، كل واحدة منها تبدأ بالعنوان: "بواسطة المَشْكيل (المعلم). أنشودة قربان السبت الفلاني في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني". وهذا نوع مختلف جدًا من الصلاة، كما يوضح ذلك النص التالي المختار من أنشودة السبت السادس:

"للمعلم. أنشودة قربان السبت السادس في التاسع من الشهر الثاني. [مجّدوا] إله الآلهة. يا سكان أعلى الأعالي ...

مزمور مباركة بلسان أول الأمراء الرئيسين إلى الإله الأبدي بمباركاته السبع العظيمة، هو سيبارك الملك ... سبع مرات بسبع كلمات من المباركة الرائعة.

مزمور تبجيل بلسان الثاني إلى ملك الحقيقة بأناشيد تبجيله السبع الرائعة، وهو سيبجل إله كل الكائنات السماوية ... سبع مرات بسبع كلمات من التبجيل الرائع.

مزمور تمجيد بلسان ثالث الأمراء الرئيسين ... يمجّد إله الملائكة المبجلين سبع مرات بسبع كلمات من التمجيد الرائع ...".

وبعد استكمال الأمراء السبعة الرئيسين، تُكرر السلسلة نفسها مع نواب الأمراء السبعة الرئيسين؛ وهذا أسلوب لغوي خاص، شبيه بالأنشودة، كثير التكرار والصيغ الثابتة ذو سلسلة طويلة من الأسماء والنعوت التي تستحيل ترجمتها تقريبًا. ويتكون القسم النهائي، والذي يتألف من الأناشيد التاسع إلى الثالث عشر، من وصف مفصل للهيكل السماوي، بما في ذلك العرش العربة (ميركافا) ولثياب الكهنوت الملائكي، ولطرق تعبده.

وقد كان أصل هذه الأناشيد والغاية منها محل جدال عريض؛ ولاكتشاف نسخة منها في موقع خربة مصعدة، بالإضافة إلى تلك المكتشفة في قمران دلالة مهمة؛ فقد بدت هذه الأناشيد فريدة في صيغتها ومحتواها عندما تفحصها الباحثون في بداية الأمر، مما جعلهم يفترضون أنها من تأليف الإسينيين، وأن نسخة منها نقلها إلى مصعدة بعض الناجين من قمران. لكن ربما أن ما حدث هو العكس تمامًا؛ أي أن هذه الأناشيد أحضرها إلى مصعدة يهود من غير طائفة الإسينيين كانوا يستخدمونها في الصلاة، لا سيما كهنة أو سواهم من المعنيين بالملكوت السري والسماوي. وثمة أوجه شبه مثيرة للانتباه بين هذه الأناشيد وبين مجموعة أدبية عرفناها سابقًا، وتعود إلى قرون لاحقة لقمران، والتي تسمى بترانيم "هيخالوت"* (القصور)، والتي وضعتها جماعات غامضة، عُنيت كثيرًا بممارسات سرية، يمكن أن تخولها ولوج الملكوت الإلهي ولقاء العربة السماوية. وقد أشارت كارول نيوسوم، وهي المحققة المسؤولة عن نشر "أناشيد السبت"، إلى أن الغاية من اللغة التكرارية والآسرة كانت إحداث نوع من "التصوف الروحي الجماعي"، لكي يختبر من يقوم بالتلاوة الإحساس بالمشاركة في

---

* ضرب أدبي كتابي يُعنى عناية شديدة بمفاهيم الارتقاء الغامض إلى السماء، والرؤى الإلهية، واستدعاء الملائكة والسيطرة عليها. والغاية من ذلك، امتلاك القدرة على التبصر في التوراة (المعربة).

الشعائر السماوية، حتى وإن كانوا الآن كهنة مستبعدين من الهيكل الدنيوي[68].

الاحتفال السنوي بالميثاق

يُعدُّ الطقس السنوي للاحتفال بالميثاق أكثر الطقوس التي نعرف عنه أكبر قدر من المعلومات، وإن كانت محدودة؛ وهو طقس ديني للاحتفال السنوي بتجديد الميثاق، والذي كان يقام خلال عيد الأسابيع (عيد الخمسين)، في اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث، في الربيع (يُذكر التاريخ في نصوص مختلفة، ومن ضمنها جذاذة من "وثيقة دمشق"، من الكهف الرابع). وفي هذا الوقت يؤدي القادمون الجدد إلى الجماعة قَسَمهم المقدس، وكان جميع الأعضاء يجددون التزامهم، ويتلقون رتبهم، ويطرد من الجماعة أي عضو رفض النظام الجماعي. ويذكر هذا الطقس، بما في ذلك بعض الكلمات التي كانت تقال فيه، بشيء من التفصيل في "قانون الجماعة" (السطر الثامن عشر وما يليه من العمود الأول، والسطر الثامن عشر من العمود الثاني، من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 1 18-, 2 18. ويوضح الاحتفال أمرين: الأول، أنه كان بالإمكان، أو كان لا بد في الواقع من تطوير طقوس جديدة لتعبِّر عن العقيدة المميِّزة لهذه الجماعة؛ أي أن الإله اختارهم كأفراد ليدخلوا طواعية في "ميثاق جديد" (السطر التاسع عشر من العمود السادس، من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 6 19، كالميثاق الذي وضع على جبل سيناء اعتمادًا على شريعة موسى التي بات معلم الحق يفسرها تفسيرًا صحيحًا الآن. والأمر الثاني الذي يبينه الاحتفال أن هذه الطقوس الجديدة كانت، على الدوام، وبطريقة ما، تعديلاً لنماذج توراتية قديمة؛ ففي طقس الانضمام إلى الميثاق، يقوم الكهنة واللاويون

---

[68] انظر: Songs of the Sabbath Sacrifice: A Critical Edition, pp. 71-72.

"بمباركة إله الخلاص وأعماله الحقّة كلها"، ويوافق كل أولئك المنضمين إلى الميثاق على ذلك بقول كلمة "آمين" مرتين. ثم يتلو الكهنة بعد ذلك "نِعَمُ الإله كلها تظهر في أعماله العظيمة وتؤكد فضله الرحيم على إسرائيل"، ويتلو اللاويون بعد ذلك "كل جور أبناء إسرائيل، وكل ثوراتهم وذنوبهم الآثمة في أثناء سلطة بليعال"؛ إذ يعترف كل المنضمين إلى الميثاق بذنوبهم: "لقد ضللنا، و[عصينا]، نحن وآباؤنا من قبلنا، ارتكبنا الإثم وفعلنا الشرور ..." (الأسطر الحادي والعشرون إلى الخامس والعشرين، من العمود الأول من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 1 21-25، وبعدها يؤكدون عدل الإله "وحكم [الإله] علينا وعلى آبائنا". وثمة شواهد على هذا النمط من الاعتراف بالخطيئة الذي يرافقه تأكيد العدل الإلهي في صلوات التكفير عن الذنوب من فترة ما بعد السبي (الأصحاح التاسع من أسفار دانيال ونحميا وعزرا، والأصحاح الثامن من سفر الملوك الأول). ويتواصل الطقس الديني متبعًا النمط الموجود في الأصحاحين السابع والعشرين والثامن والعشرين من سفر التثنية، واصفًا التلاوة المقدسة للمباركات واللعنات من على جبلي جرزيم وعيبال. ويتلو الكهنة هنا مباركات لأجل أولئك الذين هم من حصة الإله، ويتلو الكهنة واللاويون لعنات على أولئك الذين هم من حصة بليعال، وعلى أولئك الذين يحاولون الانضمام إلى الميثاق بزيف وتصنع. وعند تلاوة المباركات نجد أن مباركة الكهنة المذكورة في الأصحاح السادس من سفر العدد قد وُسِّعت وعُدِّلت لتتناسب مع مفهوم الثنائية في الفكر اللاهوتي للجماعة، وتأكيد أهمية المعرفة:

"ألا فليباركك بالخير كله وليحفظك من الشر كله

ألا فلينر قلبك بحكمة مانحة للحياة، وليمنحك المعرفة الخالدة

ألا فليرفع وجهه الرحيم نحوك لأجل نعيم خالد"

(الأسطر الثاني إلى الرابع من العمود الثاني من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 2 2-4.

فنرى جليًا في هذا التجديد للميثاق، كيف أن نصوصًا توراتية تقليدية، ومعتقدات طائفية محددة، يمكن أن تُجمع مع بعضها بعضًا، لابتداع احتفال طقوسي جديد.

المزامير: الشِعر كصلاة

وأخيرًا، دعونا نلقي نظرة على المجموعات المختلفة من الشعر الديني. تُعدُّ نسختا "مزامير الشكر" من الكهف الأول، واللتان ناقشناهما سابقًا، بالإضافة إلى النسخ الست الأخرى المكتشفة في الكهف الرابع ذوات أهمية خاصة. فقد أشار جون سترغنل قبل سنوات (في عام 1956) إلى أن هذه المخطوطات المكتشفة في الكهف الرابع بالغة الأهمية لأنها "تسد بعض الثغرات، كما أنها تشير إلى أن ترتيب المزامير كان مختلفًا عما هو في النسخة المعتمدة من العهد القديم"[69]. وقد عمل كل من جون سترغنل وهارتموت شتيغمان سنوات عديدة على تحقيق هذه النسخ، ثم توليت أنا المهمة في عام 1990، ونشرتُها نشرة نهائية في عام 1999، في المجلد التاسع والعشرين من *DJD*. ومن الواضح أن ترتيب المزامير الفردية في عدد من هذه النسخ مختلف عما هو موجود في النسخة (أ) من "مخطوطة مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الأول $1QH^a$، وهناك على الأقل مزمور واحد في النسخة (أ) من "مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الرابع $4QH^a$ غير موجود في النسخة (أ) من "مخطوطة مزامير الشكر" المكتشفة في الكهف الأول $1QH^a$. وبت قادرة من خلال محاولة استبناء كل مخطوطة من مخطوطات

---

[69] انظر:

John Strugnell, Le travail d'édition des manuscrits de Qumrân, *RB* 63 (1956), p. 64.

"مزامير الشكر" من الكهف الرابع وتحديد طولها على برهنة أن بعضها كان نسخًا من مجموعات أصغر من المزامير؛ فعلى سبيل المثال، النسخة (ج) من "مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الرابع 4QH[c]، مخطوطة صغيرة جدًا؛ فطولها أقل من ثماني سنتيمترات، والأعمدة فيها ضيقة جدًا، وإذا ما أردنا أن نكتب المزامير كلها الموجودة في النسخة (أ) من "مخطوطة مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الأول 1QH[a]، بالشكل نفسه المكتوبة فيه المزامير على النسخة (ج)؛ فعندها سيتطلب الأمر أكثر من ثلاثة عشر مترًا*، مما سيؤدي إلى إنتاج مخطوطة من المستحيل لفها واستخدامها من الناحية المادية. وها هنا دليل قوي على أن النسخة (ج)، المكتشفة في الكهف الرابع، لا تحوي إلا القسم الخاص بترانيم المعلم من "مخطوطة مزامير الشكر" الكاملة؛ مما يثبت أننا نتعامل مع مجموعة أعقد بكثير مما كنا نحسب في البداية، وسيتطلب الأمر دراسة إضافية مستفيضة لنكتشف المجموعات الفرعية المختلفة من المزامير كلها، ولمحاولة تفسير كيف ولماذا جمعت مع بعضها بعضًا.

وبالإضافة إلى "مزامير الشكر"، ومجموعة أو مجموعات مزامير الملوك والأنبياء التي تناولناها بالبحث في وقت سابق، وهما المخطوطتان 380 و381، المكتشفتان في الكهف الرابع 4Q380 و4Q381، ثمة مجموعة أخرى سميت بحسب بداية أحد المزامير (على الأقل)، وهي "باركي نفشي"؛ أي "باركي يا نفسي الربَّ" (كما يرد في المزمورين مائة وثلاثة ومائة وأربعة من المزامير

---

* تذكر المؤلفة في الأصل الإنجليزي رقمًا يستحيل قبوله وهو 450 مترًا، وقد وجدت أنها تناقش هذه المسألة نفسها في مقالة أخرى؛ فتذكر هناك الرقم 13 مترًا تحديدًا؛ فرأيت أن اعتمده هنا. انظر:

Eileen Schuller, The Cave 4 Hôdāyôt Manuscripts: A Preliminary Description, in *Qumranstudien: Vorträge und Beiträge der Teilnehmer des Qumranseminars auf dem internationalen Treffen der Society of Biblical Literature, Münster, 25-26 Juli 1993*, Heinz-Josef Fabry, Armin Lange and Hermann Lichtenberger (eds.). pp. 92-93 (المعربة).

التوراتية). وقد وُجدت في خمس نسخ (وهي المخطوطات من 434 إلى 438، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q434-438، وهي مزامير ذات طابع عام، تحوي شكرًا وتمجيدًا للخلاص والنعمة الإلهيين. ومن الصعب جدًا معرفة فيما إذا كانت هذه المزامير مؤلفات محددة وضعتها جماعة الإسينيين، أم أنها أُلِّفت واستخدمت داخل "التيار السائد" من اليهودية على نحو واسع.

وثمة مجموعات مختلفة من المزامير تُعنى بالتخلص من الأرواح الشريرة، وهي لافتة للنظر على نحو خاص ("مخطوطة المزامير المنحولة"، المكتشفة في الكهف الحادي عشر، والمخطوطة رقم 444، المكتشفة في الكهف الرابع، والمخطوطة الخامسة من الكهف الثامن، والمخطوطتان 510 و511، المكتشفتان في الكهف الرابع) 4Q510-511, 11QapocrPs, 4Q444, 8Q5. وبعض هذه النصوص رُقىً (جمع رُقية) تأمر الأرواح الشريرة بأن تتلاشى من خلال مخاطبتها بصورة مباشرة: "من أنت؟ ... وجهك هو وجه لاشـ[ـيء]، وقرونك هي قرون [حلم]. [وأنت] ظلام لا نور؛ [وجور] لا حق" (الأسطر السادس إلى الثامن من العمود الخامس، من "المزامير المنحولة"، المكتشفة في الكهف الحادي عشر) 11QapocrPs 5 6-8. وفي المقابل لا وجود لكلمات التوبيخ والطرد المألوفة في مخطوطتي "أناشيد الحكمة"، وهما المخطوطتان 510 و511، المكتشفتان في الكهف الرابع 4Q510-511، وإنما مدائح موجهة إلى الإله بهدف محدد، وهو "إخافة وترويع كل أرواح ملائكة الخراب، وأرواح أبناء الزنى، والشياطين، وشيطانات الليل (ليليث)، والمخلوقات التي تعوي ..." (السطران الرابع إلى الخامس من العمود الأول من المخطوطة رقم 510، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q510 1 4-5. وهذا يعني أن إنشاد الترانيم كان له مهمة، وهي: "نشر مخافة الإله، [لإرهاب] كل أرواح أبناء الزنى من خلال قوَّته، ولإخضاعهم ليس لكل الأزمنة [الخالدة] (أي إلى الأبد)، لكن في أوقات سيطرتهم (المؤقتة)" (الأسطر من السادس إلى الثامن من العمود الخامس والثلاثين من المخطوطة رقم 511،

المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q511 35 6-8. وهذا يعكس، كما هو الحال في العهد الجديد، نظرة كونية تفترض وجود الشياطين والأرواح الشريرة وامتلاكها لقوة حقيقية يمكن إخضاعها.

وبعض المزامير ليست جزءًا من مجموعة مزمورية، بل تأتي في معرض سرد قصصي. وهذا النوع من المؤلفات معروف من العهد القديم بالطبع؛ ومنها على سبيل المثال أنشودة حنًّا في الأصحاح الثاني من سفر صموئيل الأول، ومزمور يونان في الأصحاح الثاني من سفر يونان، ومزمور في تمجيد القدس، في الأصحاح الثالث عشر من سفر طوبيا*. أما في "الرواية والشعر" فلدينا المخطوطتان 371 و372، المكتشفتان في الكهف الرابع) 4Q371-372[70]، وفيهما سرد قصصي شبيه بالسرد التاريخي، يحكي قصة تشتت القبائل الشمالية، لينتقل بعدها إلى مرثية شعرية موسعة:

ولهذا كله، [وُضع] يوسف في أيدي غرباء

ليستنفدوا قوته ويكسروا عظامه إلى أن تحين نهايته

... بكى للإله العظيم لكي ينقذه من أيديهم. وقال

"أبي وإلهي لا تتركني في أيدي الأمم

(السطران الخامس عشر إلى السادس عشر من العمود الأول من المخطوطة رقم 372، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q372 115-16.

---

* أحد الأسفار القانونية الثانية التي تعترف بها الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية (المعرية).

[70] سمي هذا العمل في السابق "قصة يوسف المنحولة"، وهو الاسم الذي استخدمه فيرمش في ترجمته الإنجليزية الكاملة لمخطوطات البحر الميت، في الصفحتين 530-531.

ولمخاطبة الإله بلفظي "أبي وإلهي" هنا أهمية خاصة؛ إذ يُعدُّ هذا النص واحدًا من النصوص القليلة التي تعود لما قبل المسيحية، والتي يُخاطَب فيها الإله في الصلاة على نحو مباشر باستخدام لفظة "أبي". ومن المثير للاهتمام وجود مثال آخر في نص مشابه من السرد القصصي والتوسل (في السطر السادس من العمود الأول من الجذاذة التاسعة، من المخطوطة رقم 360، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q360 9 i 6، حيث تنتهي الصلاة بقول "أبي وربِّي". ويبرهن هذان النصان على الأسبقية اليهودية في مخاطبة الإله كأب، وذلك ما نجده في "صلاة الرب" في الآية التاسعة من الأصحاح السادس من إنجيل متَّى، وفي صلاة المسيح في الحديقة الجِثِسْمَانية* (الآية التاسعة والثلاثون من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متَّى)، وفي حثِّ بولس للمسيحيين الأوائل على مناداة الإله بلفظة "أبًا" "أب" (الآية الخامسة عشرة من الأصحاح الثامن من الرسالة إلى أهل رومية؛ والآية السادسة من الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل غلاطية).

وأخيرًا، بالإضافة إلى كل هذه النصوص "الجديدة" من الصلوات المكتشفة في المخطوطات، فإنه ينبغي أن لا ننسى مخطوطات المزامير التوراتية، والتي يفوق عددها الثلاثين، فكما أشرنا في الفصل السابق، ثمة نسخ للمزامير أكثر بكثير مما هو موجود للأسفار التوراتية الأخرى. فلماذا هذا العدد الكبير من النسخ؟ لقد عُدَّت المزامير نبوءات تتحقق الآن في سياق الأحداث المرتبطة بتأسيس الجماعة. وقد دُرست المزامير وفسرت مع أسفار الأنبياء، كما وضعت الشروحات "فشاريم" عليها (المخطوطتان 171 و173، المكتشفتان في الكهف الرابع) 4Q171, 4Q173، بالطريقة نفسها التي وضعت على أسفار إشعياء، أو هوشع، أو حبقوق. والسؤال الأكثر إثارة للاهتمام هو إن كانت المزامير استخدمت أيضًا لأغراض طقوسية؛ أي أنها لم تدرس وحسب، بل أنشدت أيضًا،

* حديقة أسفل جبل الزيتون اختبأ فيها المسيح وتلاميذه، وهناك أُسر (المعربة).

ربما بمصاحبة الموسيقى. وعندما نستبني صلاة الجماعة، هل لنا أن نتخيل أن صلاتي المباركة أو التوسل القصيرتين اللتين كنا بحثاهما سابقاً كانتا تتليان أيضًا إلى جانب إنشاد المزامير التوراتية التي ربما رافقتها قصائد من تأليف الجماعة (بما في ذلك "مزامير الشكر")؟ ومما لا شك فيه، أن توليفة كهذه نشهدها اليوم في الصلاة اليهودية، وفي كثير من طقوس العبادة المسيحية. وكثيرًا ما يُعدُّ أمرًا مسلَّمًا به أن المزامير كانت جزءًا اعتياديًا وثابتًا من الصلاة العامة في الكنيس في الزمن الذي عاش فيه المسيح، وأن هذه العادة نقلت إلى الكنيسة المبكرة التي تبنت العناصر الثلاثة؛ تلاوة الكتاب المقدس، والشروح الوعظية، وترتيل المزامير، في "طقوس الكلمة"، والتي يشكل العنصر الأخير منها؛ أي ترتيل المزامير، جوهر "الواجب الإلهي"* The Divine Office. وكان موسيقيون من أمثال إيريك فيرنر Eric Werner أشاروا إلى أن أصول ألحان الإنشاد الكنسي هي الإنشاد في الكنيس اليهودي[71]. ومع ذلك، يأخذ باحثون آخرون من الذين يبحثون في التطور التاريخي للطقوس الدينية اليهودية جانب الحذر في هذه المسألة؛ إذ ارتأوا أن الاستخدام الاعتيادي والثابت للمزامير أضيف إلى الصلاة العامة في الكنيس في فترة متأخرة نسبيًا؛ أي بعد القرن الخامس أو السادس الميلاديين[72]. ولا نستنتج من هذا بالضرورة أن الإسينيين لم ينشدوا المزامير في صلواتهم، لكنهم إن فعلوا هذا، فسيكون ذلك مثالاً آخر على أن عبادتهم كانت أقرب إلى العبادة في الهيكل (حيث كان للمزامير مكان فيه) منها إلى العبادة في الكنيس. وليس في المخطوطات أدلة صريحة على الاستخدام

---

* مجموعة الصلوات اليومية الرسمية في الكنيسة الكاثوليكية (المعربة).

[71] جُمعت دراسة إيريك فيرنر الشاملة عن التأثير الموسيقي في كتاب:

The Sacred Bridge: Liturgical Parallels in the Synagouge and Early Church.

[72] وصل إلى هذه النتيجة لورنس أ. هوفمان Lawrence A. Hoffman، في كتابه:

The Canonization of the Synagogue Service.

الطقوسي للمزامير، على الرغم من وجود تلميحات إليه؛ فعلى سبيل المثال، نجد في إحدى مخطوطات المزامير، المكتشفة في الكهف الثاني، أن أول سطرين من المزمور رقم مائة وثلاثة قد كتبا بالحبر الأحمر، مما قد يشير إلى ترويسة لطقس ديني (قد يكون ثمة مثال آخر لاستخدام مشابه للحبر الأحمر في النسخة (ب) من سفر العدد، المكتشفة في الكهف الرابع 4QNum^b. ولكن، مرة أخرى، هذا مجال يحتاج إلى دراسة إضافية.

الخلاصة

زودتنا كهوف قمران بمجموعة كبيرة من نصوص الصلاة لم نكن نعلم عنها شيئاً في السابق. وقد تعلمنا أنه كان ثمة تراث مستمر في تأليف المزامير، بالإضافة إلى تطور صلوات نثرية أقصر، اتبعت أنماطًا صياغية محددة. وقد اقتضى معظم السنوات الخمسين الأولى من الباحثين إنجاز العمل الصعب والمضني المتمثل في تحقيق ونشر الجذاذات الصغيرة بأشكالها كافة. ولكن، ومع قرب انتهاء هذه المرحلة التقنية، فإن التركيز يمكن أن يتجه في الدراسات المقبلة إلى مسائل أوسع، وسألقي الضوء فيما يلي على ثلاث منها فقط:

أولاً، من الواضح أن الصلوات والمزامير تشكل مصدرًا مهمًا لدراسة "الدين في مخطوطات البحر الميت"، إلا أن تخصيص الباحثين للنزر اليسير من الاهتمام للقراءة اللاهوتية لهذه النصوص يثير الدهشة[73]. وثمة، بالطبع، مخاطر في محاولة استخلاص "المعتقدات" من الصلوات؛ فلغة الورع تختلف جوهريًا عن لغة العقيدة،

---

[73] للاطلاع على محاولة أولية، انظر مقالتي:

Petitionary Prayer and the Religion of Qumran, in *Religion in the Dead Sea Scrolls*, John J. Collins and Robert Kugler (eds.), pp. 29-45.

والقصيدة الدينية ليست بحثاً منهجيًا[74]. ولا بد لنا من أن نفكر مليًا كيف عبَّر الإسينيون عن عقيدتهم ونظرتهم إلى الدنيا في صلواتهم، وكيف أثر ذلك أيضًا في صياغة تلك الصلوات.

ثانيًا، لهذه الصلوات أهمية عظيمة في دراسة تطور الطقوس الدينية اليهودية؛ فالصلات بين مراحل هذه الطقوس معقدة، لا سيما مع انعدام الصلة المباشرة بين هذه الجماعة والجماعات التي بقيت حية بعد دمار الهيكل في عام 70 للميلاد، والتي صاغت شكل كتاب الصلاة المعتمد خلال الألفية التي تلت، عندما طورت هذه الجماعات (كما هو حال الإسينيين في الفترة التي سبقت عام 70 للميلاد) شكلاً من العبادة (عافوداه) المستقلة عن العبادة في الهيكل. ويمكننا مع ذلك إدراك أن بناء الصلوات على شكل مباركات، وتجنب التوسل في صلوات السبت، بل حتى استخدام صيغ محددة بعينها في كتاب الصلاة، تعود، بشكل واضح، إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وإذا ما أردنا إحراز المزيد من التقدم في هذا الباب، فعلى الباحثين ذوي الخبرة في تاريخ الطقوس الدينية أن يطلعوا على هذه المادة من المخطوطات الجديدة، وأن يتأملوا في المخطوطات قدمًا وإلى الوراء بحثاً عن صلات وأوجه شبه.

ثالثاً، فيما يتعلق بالطقوس الدينية المسيحية ثمة الكثير مما ينبغي البحث فيه. وقد استعرضنا بعض المسائل وحسب، حيث توجد نقاط اتصال واضحة ما بين هذه الطقوس والطقوس الدينية اليهودية، ومنها: تطور أنماط شكلية للمباركة والشكر، والأبعاد الكونية للصلاة، ومكانة الوجبة الجماعية، وترتيل المزامير، والصلاة والتسابيح ضد الشياطين. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسات المتعلقة بالشعائر الدينية قد تنبهنا إلى الطريقة التي كانت تمارس فيها الشعائر؛

---

[74] كما قال أحدهم عن ترتيل الترانيم المسيحية "سينشد المسيحيون أية هرطقة طالما كانت مقفّاة".

وكيف استخدمت اللغة بهدف ترسيخ الحدود، وفي التضمين والاستثناء، وفي ترسيخ التسلسل الهرمي والسلطة[75]. ومرة أخرى فإن هذا سيستدعي تحطيم الحواجز التقليدية بين الحقول البحثية المعتادة، ومجالات العمل المتعددة التخصصات، بغية الإفادة الكاملة من النصوص الفنية المتوافرة لدينا الآن.

---

[75] على سبيل المثال، استكشف روبرت كوغلر مؤخرًا كيف يمكن استخدام الإطار النظري لكاثرين بيل Catherine Bell في وصف الحياة الشعائرية في قمران، وذلك في مقالته:

Making All Experience Religious: The Hegemony of Ritual at Qumran, *JSJ* 33 (2002), 131-152.

الفصل الرابع

ماذا تعلمنا عن النساء؟

لم يكن للمرء أن يتخيل يومًا ما كتابًا عن مخطوطات البحر الميت يشتمل على فصل خاص عن النساء، دع عنك أن يرى أحدهم أن على مثل هذه الكتب أن تشتمل على فصل كهذا. وعلى الرغم من أن الناس عدت مخطوطات البحر الميت ملأى بالكنوز، إلا أن أكثرهم لم يكن يتوقع قبل خمسين عامًا أن يجد فيها معلومات ذات صلة بالنساء، هذا إن كان توقع أي شيء من ذلك أصلاً. وفي الواقع، فإن من بين الأمور التي ميزت هذه المخطوطات أنها بدت تعبيرًا عن عالم من النسَّاك الذكور المتبتلين الذين فروا إلى الصحراء؛ أي أنهم رجال هجروا "المجتمع العادي" في انتظار النهاية الوشيكة للزمان، والتدخل النهائي للإله. وربما كان من المتوقع أن تزودنا المخطوطات بكل أنواع المعلومات الجديدة عن مفاهيم مثل الثنائية*، وعالم الملائكة، والآخروية، والمسيحانية، لكن لم يكن في الحسبان أن تخبرنا الكثير عن شؤون دنيوية ذات صلة بالنساء والزواج والحياة الأسرية.

وقد ورد هذا الفهم في البيان الصحفي الأول الذي أصدرته المدرسة الأميركية للدراسات الشرقية في عام 1948، وفيه حُددت هوية إحدى مخطوطات الكهف الأول بكونها "كتاب لقواعد ضبط السلوك لطائفة دينية أو رهبانية لا يُعرف

---

* مثل ثنائية الروح والجسد، وثنائية الخير والشر، كما تحوي مخطوطات البحر الميت الطائفية مصطلحًا ثنائيًا، هو أبناء النور وأبناء الظلام (المعربة).

الكثير عنها، وربما كان هؤلاء هم الإسينيون" (أنظر أعلاه في الصفحتين 3 و6). وقبل اكتشاف المخطوطات كانت طائفة الإسينيين طائفة غامضة غير معروفة إلا من خلال أوصاف المؤرخ اليهودي جوزيفوس، والفيلسوف الإسكندري فيلو، والمؤرخ الروماني بليني[76]. وعلى الرغم من أن أوصافها لدى هؤلاء الكتَّاب الكلاسيكيين متباينة في التفاصيل ووجهات النظر (على الأرجح أن فيلو لم يلتقِ بأي إسيني، أما جوزيفوس فادعى أنه عاش معهم فترة وجيزة عندما كان شابًا) إلا أن الثلاثة أجمعوا على شيء واحد، وهو أن هذه الطائفة من اليهود لم تشتمل على النساء. وقد وصف بليني الأكبر الإسينيين بأنهم كانوا يعيشون إلى الغرب من البحر الميت: "شعب فريد من نوعه ومثير للإعجاب على نحو يفوق سواه في العالم كله، لا نساء فيهم، ويعتزلون الحب بالكامل، ودون مال، ولا تؤنسهم سوى أشجار النخيل" (كتاب التاريخ الطبيعي*، المجلد الخامس، الكتاب السابع عشر، الصفحة الرابعة). أما فيلو؛ فقال على نحو قاطع: "لا يتخذ أي من الإسينيين زوجة" (كتاب الفرضيات، الصفحة 14). ويوضح جوزيفوس بأنهم: "تزدري أنفسهم الزواج ... ويحذرون فجور النساء، وهم موقنون بأنه لا توجد منهن من هي مخلصة لرجل واحد" (حرب اليهود، المجلد الثاني، الصفحتان 120-121). ومع ذلك، وبعد أن يواصل الحديث على هذا المنوال مطولاً، ينهي جوزيفوس حديثه بشكل غير متوقع، فيشير إشارة مقتضبة إلى وجود "جماعة أخرى من الإسينيين الذين، على الرغم من اتفاقهم مع الآخرين في طريقة حياتهم، وأعرافهم وعاداتهم"، إلا انهم يُقدِمون على الزواج

---

[76] جمعت النصوص الأساسية المكتوبة باليونانية واللاتينية على نحو ميسر، في الكتاب الموسوم بالعنوان:

The Essenes According to the Classical Sources, Geza Vermes and Martin D. Goodman (eds.).

* في الأصل *National History*، والصحيح *Natural History*، وهو أحد أهم كتب بليني الأكبر (المعربة).

بغية "تكاثر الجنس البشري"، لأنه إذا ما "تبنى كل الناس الرأي نفسه، فسرعان ما سيختفي الجنس البشري" (حرب اليهود، المجلد الثاني، الصفحة 160).

وعندما قُرئت المجموعة الأولى من المخطوطات المكتشفة في الكهف الأول، بدت وكأنها تعزز فكرة وجود صلات ما بين مؤلفي المخطوطات والإسينيين، بل حتى الاعتقاد بأن مؤلفي المخطوطات هم الإسينيون أنفسهم. ولا يأتي "قانون الجماعة" على أي ذكر للنساء، أو العلاقات الجنسية، أو الزواج، أو العائلة؛ وليس ثمة مفردات تتصل بالنساء أو بالإنجاب، باستثناء المصطلحات التوراتية التقليدية مثل: "ابن جاريتك؛ مولود لامرأة ما" (السطران السادس عشر والحادي والعشرون من العمود الحادي عشر من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 11 16, 21، وهناك أيضًا أمنية صيغت على المجاز، من أجل "ذرية خصبة" (السطر السابع من العمود الرابع من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 4 7. وفي "مخطوطة الحرب" تُذكر النساء مرة واحدة في خطة الحرب المستقبلية التفصيلية لأبناء النور ضد أبناء الظلام، وجاء ذلك من باب الإقصاء: "ولا يدخلنَّ صبي أو امرأة معسكراتهم من وقت مغادرتهم القدس (أي المحاربين) خارجين إلى الحرب إلى حين عودتهم" (السطر الثالث من العمود السابع من "مخطوطة الحرب"، المكتشفة في الكهف الأول) 1QM 7 3. وتظهر النساء على المجاز في "مخطوطة مزامير الشكر"، على سبيل المثال، المرأة الحامل التي تنجب طفلاً ذكرًا، ومن ثم مجتمَعًا، وذلك في الأسطر السابع إلى الثاني عشر من العمود الحادي عشر من النسخة (أ) من "مخطوطة مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الأول $1QH^a$ 11 7-12. وفيما خلا ذلك، يبدو أن كاتب المزمور وصحبه الذين يقدِّمون الشكر ويتلقَّون المعرفة الإلهامية كانوا جميعًا من الذكور.

ومع ذلك، فقد تجلى حتى في الأيام الأولى من دراسة المخطوطات أن الصورة الكاملة كانت أكثر تعقيدًا؛ فهناك صحيفتان أخريان عثر عليهما خلال حفرية في الكهف الأول، اقتطعتا من المخطوطة التي تحوي "قانون الجماعة"، ونشرتا في عام 1955 في المجلد الأول من *DJD*، وقد احتوت الأولى قانوناً ثانيًا أقصر من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول 1QS، يبدأ بجملة: "هذا هو قانون مجمع إسرائيل في الأيام الأخيرة" (السطر الأول من العمود الأول من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 1QSa 1 1، ثم يواصل ليصف بالتفصيل سلسلة كاملة من التعليمات. وفي هذا الموضع يُذكر رجل يفترض أنه كان سيتزوج، والسؤال هو في أي سن؟: "لا ينبغي له أن [يقترب] من امرأة فيعرفها بالاضطجاع معها قبل أن يتمَّ عشرين عامًا من عمره" (السطر العاشر من العمود الأول من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 1QSa 1 10. وفي موضع آخر، يتحدث "قانون مجمع إسرائيل" عن اجتماع للجماعة كلها: "يجب عليهم أن يستدعوهم جميعًا، الأطفال الصغار والنساء أيضًا"، لقراءة التوراة ولبيان تشريعاتهم "لكي لا يتوهوا طويلاً في [أخطائهم]" (السطر الرابع من العمود الأول من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 1QSa 1 4. وسواء فهمنا تلك "الأيام الأخيرة" بأنها الزمن الحاضر أو المستقبل الأخروي البعيد الذي لمّا يأتِ بعد؛ فإن وجود النساء ومشاركتهن الفاعلة في حياة الجماعة، أمر مسلم به في هذا القانون.

وعندما وجه الباحثون اهتمامهم إلى الأطلال القريبة من كهوف قمران في الخمسينات، كشفت البقايا المادية التي نقبوا عنها عن أبنية تشاركية كبيرة، مع مطبخ مركزي، وقاعة ضخمة لتناول الطعام، ولم يكن هناك مساكن عائلية. وعندما نقب في جزء من المقبرة المتاخمة للموقع، والتي تحوي ما يقرب من ألف ومائتي قبر، أكدت النتائج أن هذه الجماعة كانت جماعة من المتبتلين الذكور. وكان رولان دوفو، وهو عالم الآثار المسؤول عن تلك التنقيبات، أجمل

ذلك بالقول: "كل الهياكل العظمية التي نظمت بعناية في ذلك الجزء من المقبرة [المسماة "المقبرة الرئيسة"]" تعود لذكور[77]. ولا يمكننا أن ننكر أن التنقيب عن عدد قليل من تلك القبور كشف عن رفات لنساء وأطفال، لكن دوفو رأى أن هذه القبور تقع في أماكن معزولة على تخوم المقبرة، مشكّلة امتدادات لها أو مساحات هامشية للدفن. ولم يكن دوفو ومن تلاه من الباحثين متيقنين من كيفية تفسير وجود النساء والأطفال في ضوء أنموذجهم المتصور لجماعة قمران باعتبارها جماعة من الذكور المتبتلين. فهل كانت تلك النسوة أمهات جئن لزيارة أبنائهن؟ أم مدبرات لشؤون الجماعة؟ أم كن نسوة تقيات ورعات اخترن أن يُدفنَّ بعيدًا في وسط هذه الصحراء عوضًا عن أن يدفنَّ في مقابر عائلاتهن؟

وفي الخمسينات والستينات، ثم في شطر كبير من السبعينات والثمانينات، كانت النساء، عمومًا، غائبات عن عالم النصوص القديمة والآثار. كما أقصيت الإشارات القليلة لوجودهن، والتي لا يمكن إنكارها، إلى الهامش، لتُهمَل عمليًا. لكن في السنوات الخمس عشرة أو العشرين الأخيرة، حدث تغير بطيء، ولكنه لافت للانتباه؛ إذ نُشر المزيد والمزيد من النصوص التي تأتي على ذكر النساء تحديدًا، أو تتناول مواضيع، مثل الولادة، والطمث، وضوابط العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة. وبسبب الأسلوب العشوائي الذي نشرت فيه هذه المخطوطات على امتداد سنوات طويلة، وعلى يد عدد كبير من الباحثين المختلفين؛ فقد مضت فترة من الزمن قبل أن يلحظ أحد كم تحتوي المخطوطات من نصوص تتناول النساء فعليًا. ومما لا ريب فيه أن موضوع "النساء في المخطوطات" لم يغدُ مسألة بحثية مستقلة إلا في السنوات الأخيرة فقط.

ولعلي أذكر في هذا الموضع تجربتي الشخصية لتوضيح التحول في الموقف من موضوع النساء في مخطوطات البحر الميت؛ ففي بداية التسعينات شاركت

---

[77] انظر: *Archaeology and the Dead Sea Scrolls*, p. 47.

الجمعية الكندية للدراسات التوراتية بحلقات دراسية متواصلة عن التنظيمات الطوعية (جماعات ومنظمات وجمعيات) في العالم القديم[78]. وكان موضوع العام 1992 عن دور النساء في مثل تلك التنظيمات، وطُلب من عدة باحثين المساهمة بأوراق بحثية، خصص لكل منها نصف ساعة، تتناول في مجالات محددة مثل: "النساء في عبادة إيزيس"، و"النساء في كنيسة كورنثوس"، و"النساء في المدارس الفلسفية اليونانية". واتصل بي أحد المنظمين ليسألني فيما إذا كنت راغبة بتقديم ورقة عن "النساء في مخطوطات البحر الميت"، وضحك قائلاً: إنه بإمكاني أن أقوم بأي شيء لملء العشرين دقيقة المتبقية! وبعد ذلك بعشرة أعوام، أي في عام 2002، وفي اللقاء السنوي لجمعية الأدب التوراتي، اتصل بي المنظمون مرة أخرى. وكانت هذه المرة للرد على ندوة لمدة ثلاث ساعات، حضرها أعضاء الجمعية كلهم، قُدمت فيها خمسة بحوث عن النساء في قمران، على يد أفضل الباحثين في دراسات قمران (من اللافت للانتباه أنهم كانوا جميعًا من الرجال)[79]. وفي السنوات العشر الأخيرة، بات موضوع النساء في مخطوطات البحر الميت يحظى باعتراف واسع كموضوع بحث مهم بحد ذاته، في الدراسات المتعلقة بالمخطوطات، وليس فقط كهواية خاصة تمارسها بضع نساء مهتمات بقضايا المرأة. وما يزال هذا المجال من البحث في مرحلة مبكرة من التطور؛ فهناك عمل كثير ينبغي القيام به في مجال الدراسات التفصيلية لنصوص محددة، وفي مجال صقل المناهج التي نوظفها في هذا البحث بشكل عام.

---

[78] نشرت نتائج الحلقة البحثية الآن في كتاب:

John S. Kloppenborg *and Stephan G. Wilson, Voluntary Associations in the Graeco-Roman World.*

[79] نشرت معظم هذه الأوراق في الصفحات 167-261، من العدد 2/11 (2004) من دورية *DSD*.

لعله من النافع أن نسوق عددًا من الملاحظات العامة قبل أن ننكب على فحص نصوص بعينها؛ فإذا ما قمنا بمسح سريع للمخطوطات، لن نجد فقرات تناقش بوضوح آراء الكتّاب في النساء، أو في العلاقة بين الجنسين، أو الأدوار الملائمة للنساء في العائلة والجماعة والمجتمع بشكل عام. وليس ثمة عبارات توصيفية ممنهجة كتلك التي نجدها عند فيلو: "النساء أنانيات وغيورات وماهرات في التحايل على مبادئ الزوج وإغرائه بسحر لا ينتهي. وتبدأ النساء بالإطراء ... وبعد أن يخدعن الغرائز الدنيا، يقدن العقل المهيمن إلى الضلال" (كتاب الفرضيات، الصفحتان 14-15)، أو كما قرأنا سابقًا لدى جوزيفوس "[الإسينيون] يحذرون فجور النساء، وهم موقنون بأنه لا توجد منهن من هي مخلصة لرجل واحد" (حرب اليهود، المجلد الثاني، صفحة 121).

ويُذكر في مدونة النصوص غير التوراتية اسم امرأة واحدة فقط، وهو شيلام صهيون، وهي الملكة الحشمونية ألكسندرا سالومي (كما تسمى في المصادر اليونانية)، والتي حكمت من عام 76 إلى 67 قبل الميلاد. ويظهر اسمها في قائمة تقويمية لأيام تذكارية متشظية جدًا (في السطر الرابع من العمود الثاني من المخطوطة رقم 320، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q320 2 4، (وفي السطر الخامس من العمود الأول من المخطوطة رقم 324، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q324 1 5، لكن النص متقطع لدرجة يتعذر معها تحديد فيما إذا كان اليوم المحتفى به، والمرتبط بها، مناسبة سارة أم محزنة.

وأعرف موضعًا واحدًا فقط تخاطَب المرأة فيه بطريقة مباشرة؛ وهو مقطع تجزأ إلى جذاذات كثيرة، من نص طويل من نصوص الحكمة (يشبه إلى حد بعيد سفر الأمثال) والمسمى "إرشادات"، حيث تقدم لامرأة لا يذكر اسمها إرشادات تقليدية، لها طابع الحكمة، حول علاقتها بزوجها وبحميها: "أكرميـ[ـه؛ أي حموك] كأبيك ... لا تزيلي بقلبك [...] ... مخافة أن تهملي ميثاقك المقدس ... من

البيت الذي فيه وُلدْتِ" (الأسطر من الأول إلى التاسع من العمود الثاني من الجذاذة الثانية من المخطوطة رقم 415، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q415 2 ii 1-9. وعلاوة على ذلك، ثمة نصوص قليلة تتكلم المرأة فيها، كما هو الحال في إحدى الوثائق المحيِّرة، وهي المخطوطة رقم 502، المكتشفة في الكهف الرابع 4Q502، والتي تصف مراسم طقوسية لاحتفال وابتهاج تشارك فيه النساء، حيث تذكر أخوات وعجائز وعذارى وصبايا بأسمائهن. وفي إحدى الجذاذات تقف امرأة ما في مجلس "الشيوخ والعجائز" (أما إذا كانت هذه المسميات ألقابًا فينبغي أن نترجمها: "كبار الرجال وكبيرات النساء")، ويبدو أن هذه المرأة تخاطب الرجال: "سنواتكم في سلام" (السطر الخامس من العمود الرابع والعشرين من المخطوطة رقم 502، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q502 24 5[80]. وقد ظن محقق تلك الجذاذات الثلاثمائة وأربع وأربعين أنها ربما تصف حفل زفاف، ولكنها قد تكون أيضًا احتفالاً بسنة جديدة، أو احتفالاً خاصًا آخر[81].

وتنتمي النصوص الأساسية في بحثنا (سواء لما تحتويه أو لما لا تحتويه) إلى النوع المسمى "قانون حياة" أو "قانوناً دستوريًا" (على سبيل المثال، "وثيقة دمشق"، و"قانون الجماعة"، و"قانون مجمع إسرائيل")، أو إلى مجموعات معينة من الضوابط الطائفية للتفسير الصحيح للتوراة (من هذه النصوص على سبيل المثال

---

[80] قد يكون ثمة ذكر لعبارة "المرأة، الشكر" في أعلى الجذاذة، لكن العبارة مضافة فيما بين السطور، والفصل بين الكلمات غير واضح على الإطلاق. كما يمكن تقسيم الحروف لتقرأ كالتالي "الرجل، الشكر".

[81] على سبيل المثال، قدم جوزيف باومغارتن اقتراحًا بأن يكون هذا احتفالاً خاصًا، يتضمن التزام الرجال والنساء من كبار السن، الذين كانوا متزوجين فيما مضى بالتبتل، بغية الطهارة الأعظم، أو تحضيرًا للأيام الأخيرة، وجاء اقتراحه في مقالة بعنوان:

4Q502 Marriage or Golden Age Ritual, *JSS* 34 (1983), 125-135.

"مخطوطة الهيكل"، و"بعض تعاليم التوراة" 4QMMT، و"الطهارات" (طوهوروت)، و"الأوامر"). وتعد علاقة هذه النصوص بعضها ببعض إحدى أكثر المسائل تعقيدًا في دراسة المخطوطات اليوم. والسؤال، إذا ما صيغ بوضوح، سيكون على النحو الآتي: هل ترتبط هذه الوثائق جميعها، أو تنبثق عن المجموعة نفسها ضمن الديانة اليهودية الفلسطينية؟ إذ أن الفهم الذي هيمن على كثير من الدراسات المتعلقة بالمخطوطات طوال العقود الماضية كان يقضي باعتبار "قانون الجماعة" قانوناً لجماعة (يَحاد) من الذكور المتبتلين الذين عاشوا في موقع قمران ولم يتزوجوا، في حين وصفت "وثيقة دمشق" ضوابط "للمخيمات" المنتشرة على امتداد البلاد، حيث كان الزواج والحياة الأسرية من طبيعة تلك الحياة. ومع ذلك، فمن الواضح أن ثمة علاقة متعددة الجوانب بين "الجماعة" و"المخيمات"، حتى وإن لم يكن ثمة دليل على ذلك سوى اكتشاف نسخ متعددة من "وثيقة دمشق" في قمران. ويبقى دور "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول 1QSa، أقل وضوحًا؛ إذ عدَّه بعض الباحثين القانون الذي كان ساريًا في المراحل الأولى، عندما كان الزواج والحياة العائلية من طبيعة الحياة في الجماعة، ورآه آخرون ضوابط متعلقة بإسرائيل المستقبل، وقد استرجعت مجدها في "نهاية الزمان". كما أن الأمر أصبح أكثر تعقيدًا مع نشر نسخ عديدة من "قانون الجماعة" من الكهف الرابع في الآونة الأخيرة، وهي نسخ أكدت أن "قانون الجماعة" هو بحد ذاته وثيقة معقدة ومركبة، مرت بأطوار مختلفة من التطور. وفي الوقت الحاضر أصبح بمقدورنا الحديث بثقة أكبر عن النساء في وثائق بعينها، كالنساء في "وثيقة دمشق"، لكن ما ليس واضحًا، هو كيف نجمع، أو حتى هل ينبغي لنا الجمع، بين الشواهد الواردة في الوثائق كلها والشواهد الواردة في القطع الصغيرة والمجزأة بشكل كبير، في محاولة للخروج بصورة شاملة.

إلا أننا في حاجة ماسة، على وجه الخصوص، إلى فرضية عمل، نقرر تبعًا لها كيف سنستخدم المقاطع ذات العلاقة بالنساء الواردة عند جوزيفوس وفيلو وبليني. ولنفترض جدلاً أن المخطوطات نشأت عن حركة واسعة ضمن يهودية فترة الهيكل الثاني، وأن جماعة قمران، كانت جزءًا منها وحسب، فربما كان موقع قمران ملاذًا صحراويًا للصفوة: "جميع أولئك الذين يسيرون ... في قداسة تامة" (السطر الخامس من العمود السابع من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 7 5، أو ربما كان مكاناً للتدريب المكثف للأعضاء الجدد، أو الاثنين معًا؛ فجوزيفوس وفيلو لا يذكران قمران أو الصحراء البتة، بل يصفون الإسينيين كجماعة تعيش "في كل بلدة وقرية". ولربما كانوا متزوجين، وقد يكون هذا هو السبب وراء عدم وجود إشارة واضحة للتبتل، أو لأية محاولة لمخالفة الوصية الأساسية الواردة في سفر التكوين: "أثمِروا وأكثِروا" (الآية الثامنة والعشرون من الأصحاح الأول من سفر التكوين). ولعل مجموعة فرعية صغيرة منهم لم تتزوج، مفضلة التبتل بغية الحفاظ على مستوى عال من الطهارة، ولكي يكونوا على الدوام على أهبة الاستعداد، كمحاربين، للمعركة النهائية الآخروية. وإذا ما قُرئت القوانين المختلفة (وجميعها اكتشفت في الكهوف)، مع بعضها بعضًا، وفي ضوء بعضها بعضًا، وعندها قد لا تكون هناك أية أهمية تذكر لغياب ذكر النساء عن "قانون الجماعة؛ فهذه الوثيقة لا تأتي على ذكر السبت أو الالتزام بشعائر السبت، لكن ليس ثمة من يستنتج من ذلك أن مؤلفيها لم يكونوا من اليهود الملتزمين بشعائر السبت.

وثمة مسألة منهجية أخيرة؛ فإذا ما سلمنا بأن كثيرًا من الوثائق تفترض أن الجماعة اشتملت على النساء، فهل ينبغي أن نقصر بحثنا على المقاطع التي تذكر النساء بوضوح؟ فعند مناقشة موضوع النساء، من البديهي أن نبحث أولاً في النص عن كلمات، مثل امرأة وعذراء وأرملة وأمة، لكن هل يكفي ذلك؟ خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن كل النصوص التي بين أيدينا ذات نزعة

ذكورية في منظورها وصياغتها، كما هو الحال في قوانين الشريعة التوراتية، حيث تصاغ الضوابط عادة باستخدام صيغة المذكر (إلا إذا كانت ضوابط تخص النساء فقط، كتلك المتعلقة بالإنجاب على سبيل المثال). لكن مثل هذه الضوابط، على الرغم من التعبير عنها باستخدام صيغ المذكر النحوية، يمكن أن تنطبق على النساء أيضًا، ولذا، تشكل جزءًا من مدونة النصوص التي تتناول موضوع النساء. فعلى سبيل المثال، إذا افترضنا أن "وثيقة دمشق" تتضمن إرشادًا للمجتمع بكامله؛ فتكون ترجمة العبارة في السطر الرابع عشر من العمود الثاني من "وثيقة دمشق القاهرية" CD 2 14: "والآن، يا أطفالي، استمعوا لي" بدلاً من "والآن، يا أبنائي (بنيم)، استمعوا لي"[82]. وعلى النهج نفسه، فإن من المعقول ضم "مزامير الشكر"، لا سيما ترانيم الجماعة، إلى مسحنا للنصوص التي تذكر النساء، باعتبارها مزامير تظهر تقوى النساء بالطريقة نفسها التي تظهر فيها تقوى الرجال. ومع أننا سنركز اهتمامنا فيما تبقى من هذا الفصل على مقاطع تذكر النساء تحديدًا، فمن المهم أن نقرَّ على نحو بيِّن أن هذه المقاطع ليست هي وحدها بالتأكيد الوثيقة الصلة بهؤلاء النسوة اللواتي "نذرن أنفسهن طواعية للتقيد بتعاليم الإله" (السطر السابع من العمود الأول من "قانون الجماعة"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 1 7.

الزواج والطلاق

يتعلق عدد كبير من القواعد المتعلقة بالنساء بقضايا الزواج والعلاقات الجنسية والطمث والإنجاب. وهي جميعها نصوص صعبة، وليس بإمكاننا مناقشة كل

---

[82] سبق وأن أدرك حاييم رابين Chaim Rabin ذلك، وهو الذي كان بالكاد متأثرًا بالقضايا النسوية في ترجمته التي قام بها في عام 1958، وكانت على النحو التالي: "والآن، يا أطفالي، استمعوا إلي"، في الصفحة الثامنة من كتاب *The Zadokite Documents*.

المسائل ذات العلاقة وتفسيراتها المحتملة هنا، لكن الاستعراض الموجز التالي يمكن أن يقدم لنا فكرة عن طبيعة المادة التي بين أيدينا وعن مدى تعقيدها.

ورد في مقطع أساسي من الجزء الخاص بالنصح في "وثيقة دمشق" (السطر الثاني عشر وما يليه من العمود الرابع، والسطر الحادي عشر من العمود الخامس من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 4 12-, 5 11 أن كتَّاب هذه الوثيقة ميزوا أنفسهم من اليهود الآخرين بأن هؤلاء هم الذين "بنوا الجدار"، والذين وقعوا في "أشراك بليعال الثلاثة". وعلى الرغم من أن أسلوب النص في بيان طبيعة هذه الأشراك الثلاثة متشعب، كما أنه ليس واضحًا دائمًا، إلا أن المدهش في الأمر أن النص يناقش مسائل متعلقة بمن يجوز الزواج منهن، ومن لا يجوز الزواج منهن (لا تتزوج ابنة أخ أو ابنة أخت)، وكذلك الطلاق والزواج مرة أخرى (أمر محرم)، والعلاقات الجنسية (ذات العلاقة بفترة الطمث)؛ وكلها مسائل مرتبطة بالنساء، وهي ذاتها التي كانت في صميم تعريف الجماعة لنفسها في مقابل الجماعات اليهودية الأخرى، والتي كانت تُتَّهم بأنها تتبع ممارسات فاسدة تتعلق بهذه المسائل.

ومن الأشياء التي يفعلها "هم/ الأشرار" هو أنهم "يتخذون زوجتين في حياتهم" (السطران العشرون إلى الحادي والعشرين من العمود الرابع من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 4 20-21؛ فالمفهوم ضمنيًا إذن، أن هذه الجماعة لا تأتي مثل هذا الفعل. لكن ما الذي لا تقوم به الجماعة تحديدًا؟ إذ يمكن تفسير عبارة "يتخذون زوجتين" بطرق مختلفة، وأبسط التفسيرات لها وأكثرها تساهلاً، أن يكون في العبارة تحريم لتعدد الزوجات، أي اتخاذ زوجتين في الوقت نفسه. وقد كان تعدد الزوجات مسموحًا به في التقاليد التوراتية؛ إذ ثمة شواهد على ذلك من الفترة اليونانية - الرومانية، لا سيما ضمن الطبقات الراقية، لكن من الجلي أن الأمر لم يكن منتشرًا بما يكفي لجعله مميِّزًا للهوية اليهودية في تلك الفترة. وقد رأى أغلب الباحثين أن الموضوع يتعلق بالطلاق، أو على نحو أدق، بالزواج

مرة أخرى بعد الطلاق، وهذا يعني أن هذه الجماعة من اليهود، وخلافًا للفريسيين وللتقاليد الحبرية المتأخرة، حرَّمت الطلاق أو الزواج ثانية بعد الطلاق. وعلى أية حال، فالأمر ليس بكل هذه البساطة؛ إذ يبدو أن ثمة مقاطع أخرى من "وثيقة دمشق" تجيز الطلاق؛ فأحد النصوص، على الأقل، يشير بوضوح إلى أن أحد واجبات مراقب المخيم تقديم "النصح لمن يطلّق" (السطر السابع عشر من العمود الثالث عشر من "وثيقة دمشق القاهرية"، والسطر الخامس من العمود الثالث من الجذاذة التاسعة من المخطوطة رقم 266، المكتشفة في الكهف الرابع) CD 13 17 و4Q266 9 iii 5. والتفسير الثالث لعبارة "لا يتخذون زوجتين في حياتهم"، وهو أكثرها تشددًا، يحرم على الرجل الزواج مرة أخرى بتاتًا، حتى وإن كان ذلك بعد وفاة زوجته، وهذا يعني حرفيًا أن الرجال لا يجوز لهم الزواج من اثنتين مطلقًا، مهما كانت الظروف.

والسؤال هو: أي تحريم من الثلاثة قصدت العبارة؟ أهو التحريم لتعدد الزوجات، أم للزواج مرة أخرى بعد الطلاق، أم للزواج بعد وفاة الزوجة؟ ولا يزال هذا السؤال موضع جدل كبير بين الباحثين. لكن، حتى وإن كان التفسير الدقيق لهذه الفقرة غير مؤكد، إلا أنه يمكن أن نتعلم منها الكثير؛ فمن الجلي أن مسألتي الزواج والطلاق كانتا موضع خلاف في فترة يهودية الهيكل الثاني. "أولئك الذين سقطوا في أشراك بليعال" يفعلون أشياء بحسب تفسيرهم للتوراة؛ بينما تدرك هذه الجماعة أنه لا بد من تفسير توراة موسى بأسلوب مختلف تمامًا، ولذلك يستشهدون بالنصوص التوراتية كدليل: "ذكرًا وأنثى خلقهم" (الآية السابعة والعشرون من الأصحاح الأول من سفر التكوين، في السطر الحادي والعشرين من العمود الرابع من "وثيقة دمشق القاهرية" CD 4 21) و"دخلوا إلى الفلك زوجين زوجين" (الآية التاسعة من الأصحاح السابع من سفر التكوين، في السطر الأول من العمود الخامس من "وثيقة دمشق القاهرية" CD 5 1). ويمكن أن نذكّر هنا بنص من إنجيل متّى، حيث يأتي الفريسيون إلى المسيح ليسألوه:

"هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لأي سبب؟" (الآية الثالثة من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متّى؛ وكذلك الآية الثانية من الأصحاح العاشر من إنجيل مرقص). فقبل اكتشاف المخطوطات عدَّ الباحثون في العهد الجديد هذا السؤال مصطنعًا، وأن أحدًا ما كان ليفكر في طرحه على أرض الواقع. وعلى أية حال، فإن الآية الأولى من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية جعلت جواز الطلاق أمرًا مسلّمًا به، في ظروف معينة على الأقل؛ فجماعة بيت هِلّل وبيت شمّاي، وهو جماعتان فريسيتان، لم تختلفا في الطلاق بحد ذاته، بل فيما يمكن أن يكون سببًا كافيًا له. فما الداعي إذن لذهاب أحدهم إلى المسيح ليسأله "هل يحل للرجل أن يطلق امرأته؟". لقد أصبح بمقدورنا الآن أن ندرك أن الناس اختلفوا بالفعل في هذه المسألة، وفي كيفية تفسير النصوص ذات الصلة. وفي هذه الحالة جاءت تعاليم المسيح المتشددة أقرب إلى تعاليم جماعة قمران منها إلى تعاليم الفريسيين.

لكن ثمة سؤال آخر لا يُطرح عادة في النقاشات العلمية المتعلقة بهذا الشاهد، وهو: ما هو تأثير هذا التفسير للتوراة على النساء؟ ويتوجب علينا أن نلاحظ أن هذا الضابط تحديدًا (كما هو الحال في معظم الشريعة التوراتية) صيغ من منظور الرجل، لكنه أثر في حياة النساء أيضًا. فهل كان التشدد في الطلاق حماية للمرأة، أم إدانة لاستغلال الطلاق على غير الوجه المقصود أصلاً؟ وإذا كان الزواج مرة أخرى بعد الطلاق ممنوعًا، فهل نشأ عن هذا فئة من "النساء العازبات" اللواتي لا مكان لهن ضمن منظومة العائلة؟ وكيف كان الوضع الاجتماعي لأولئك النسوة؟ فقد أشار شتيغمان إلى أن هذا الضابط كان السبب الذي جعل جوزيفوس يصف الإسينيين بأنهم جماعة من الرجال غير المتزوجين؛ فإذا ما كانت النساء يمتن بكثرة في أثناء الولادة صغيرات السن، وحظر على الرجال تكرار الزواج، فلا بد أن عددًا كبيرًا من أعضاء الجماعة كان من

الرجال غير المتزوجين[83]. ومن خلال أسئلة أخرى، فإننا ننتقل من النص إلى استبناء الواقع الاجتماعي، مفترضين أن رجالاً ونساءً حقيقيين عاشوا وفق تلك الضوابط؛ فتلك لم تكن صيغة وهمية أو نظرية.

العلاقات الجنسية ضمن إطار الزواج

في النصوص جميعها التي نحن بصددها، تُعدُّ العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة أمرًا طبيعيًا؛ فليس ثمة استنكار أو تحريم للأفعال الجنسية، وليس ثمة إشارة إلى أن الجنس شر، أو إلى وجود إشكالية في السلوك الجنسي الأنثوي على نحو خاص. وهناك اهتمام بالطهارة، لا سيما فيما يتعلق بالنجاسة الناجمة عما يخرج من الجسد، لكن هذا الأمر ينطبق على الرجل والمرأة على السواء. ومع هذا، فثمة حالات تفسر فيها الجماعة الشريعة التوراتية على نحو مغاير للتفسير الفريسي أو الحبري؛ ويأخذ هذا الاختلاف، في غالب الأحيان، منحى الزيادة في التشدد.

فعلى سبيل المثال، وبحسب "وثيقة دمشق"، تقع بقية إسرائيل في شرك بليعال الثالث، مدنسة للهيكل "لأنهم لا يراعون الفرق [بين الطهارة والنجاسة] وفقًا للشريعة، بل يضطجعون مع امرأة ترى دمها يسيل" (السطران السادس إلى السابع من العمود الخامس من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 5 6-7. ويشير ذلك إلى أن مؤلفي هذا النص اتبعوا تقليدًا مختلفًا (أكثر تشددًا فيما يبدو) فيما يتعلق بالجماع والطمث (ولذا فقد عدُّوا اليهود الآخرين منتهكين للشريعة اللاوية). ومن الأمثلة الأخرى تحريم الجماع في مدينة القدس "لا يضطجعنَّ رجل مع امرأة في مدينة الهيكل" (السطر الأول من العمود الثاني عشر من "وثيقة دمشق

---

[83] انظر: Hartmut Stegeman, *The Library of Qumran*.

القاهرية") CD 12 1[84]. ومن جهة أخرى، يذكر لنا نص مجزأ بشكل كبير (السطر الثامن من العمود الأول من الجذاذة الثانية من المخطوطة رقم 270، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q270 2 i 18 قائمة طويلة من الآثمين، ومن ضمنهم "رجل يدنو من زوجته في يوم [...]"؛ وثمة تلف في هذا الموضع بالذات. واقترح جوزيف باومغارتن Joseph Baumgarten عندما نشر هذه الجذاذات استبناء النص على النحو الآتي: "في يوم [السبت]"، مما يعني أن هذه الجماعة حرمت الجماع أيام السبت، بينما أثنى الأحبار على الاستمتاع بالجنس أيام السبت وحثوا الناس عليه. وبعد بضعة أسطر (السطر السادس عشر من العمود الثاني من الجذاذة الثانية من المخطوطة رقم 270، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q270 2 ii 16 نقرأ: الآثم هو "رجل يضطجع مع امرأة حامل متسببًا في تحريك الدم". ومرة أخرى نجد المعنى مبهمًا؛ فهل سبب الاهتمام بالدم هنا هو الطهارة، أم الخوف من إلحاق الضرر بالجنين؟ ويبدو أن عبارة جوزيفوس عن الإسينيين الذين يتزوجون تشير إلى الضابط نفسه: "وعندما يحملن فإنهم يمتنعون [أي الأزواج] عن جماعهن" (حرب اليهود، المجلد الثاني، الصفحة 161). وثمة مثال أخير مأخوذ من قانون العقوبات، وهو قائمة طويلة من الإساءات والعقوبات المفروضة تبعًا لها، من أخطرها قضية رجل "يدنو من زوجته لممارسة عمل لاأخلاقي (لِزنوت) معها" (السطر الثالث عشر من العمود الأول من الجذاذة السابعة من المخطوطة رقم 270، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q270 7 i 13. ومرة أخرى، فإن طبيعة الإساءة المقترفة غير واضحة، لكنها نوع من الممارسات الجنسية بين رجل وامرأته، يُعدُّ خطيرًا بما يكفي ليستحق عليه عقوبة من بين أكثر العقوبات تشددًا؛ إذ "يجب أن يغادر ولا يعود ثانية". وقد ترتبط هذه القيود المتعددة على الممارسات الجنسية بما كان أشار إليه جوزيفوس، من أن أولئك

---

[84] يرى بعض الباحثين أن المقصود بعبارة "مدينة الهيكل" هو جبل الهيكل فقط (وليس إلى مدينة القدس بكاملها)، وعند ذلك، يصعب تبين ضرورة هذا الضابط.

المتزوجين بالفعل "لا يتزوجون بغية المتعة، بل لأنه ينبغي أن يكون لديهم أطفال" (حرب اليهود، المجلد الثاني، صفحة 161). ويثير كثير من هذه الضوابط تساؤلات عما كان يعنيه للنساء تأكيد أن ممارسة الجنس هدفها الإنجاب وحسب، لا سيما لأولاء اللاتي لا يحملن.

وثمة ضوابط إضافية في "وثيقة دمشق" تتناول موضوعي الطهارة والنجاسة المتصلين بالطمث والولادة. والاتجاه العام، هنا أيضًا، هو الزيادة في التشدد على ما هو الحال في المنظومة الحبرية؛ فعلى سبيل المثال، تُعدُّ المرأة التي يستمر نزول الدم لديها لأكثر من فترة الطمث البالغة سبعة أيام (الأسطر من الثاني إلى الرابع من العمود الثاني من الجذاذة السادسة من المخطوطة رقم 266، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q266 6 ii 2-4 امرأة مستحيضة "زَبَا" (خلافًا للهالاخا الحبرية والسامرية اللتين لم تشيرا إلى فئة الاستحاضة "زَبَا" إلا إذا استمر نزول الدم لفترة زمنية أطول). وثمة مقطع آخر (الأسطر من الخامس إلى الثالث عشر من العمود الثاني من الجذاذة السادسة من المخطوطة رقم 266، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q266 6 ii 5-13، يتحدث عن فترة النجاسة التي تلي الولادة والموصوفة في الآيات الأولى إلى الثامنة من الأصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين. ويبدو أن ذكر الظئر (من ترضع غير ولدها) يشير إلى أن على الأم ألا ترضع خلال فترة نجاستها، لكن النص مجزأ على نحو كبير، مما يتيح تفسيرات أخرى.

اختيار الزوج

ثمة ضوابط أخرى تؤثر في حياة النساء بأسلوب مباشر جدًا (قياسًا إلى التقييدات في مسائل الطلاق والزواج)، وهي تلك التعليمات المتعلقة باختيار الزوج. وقد صيغت هذه الضوابط من منظور الأب الذي تقع على عاتقه مهمة اختيار زوج

لابنته. ويبدو أنه كان لمراقب الجماعة بكاملها أيضًا، بحسب موضع آخر، دور في اختيار الزوج ("ولذا يتعين على كل من يتخذ زوجة أن يستشير") (السطران الرابع إلى الخامس من العمود الثالث من الجذاذة التاسعة من المخطوطة رقم 266، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q266 9 iii 4-5. وقد تقيدت سلطة الأب التقليدية عندما تخلى كل من الرجال والنساء عن قدر كبير من استقلالهم الذاتي لصالح سلطة الجماعة ككل. ويذكر موضوع الزواج ضمن السياق الأعم للتشريعات المتعلقة بالاحتيال في الصفقات التجارية. وبقبوله تزويج ابنته (الأسطر من الرابع إلى العاشر من العمود الثالث من المخطوطة رقم 271، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q271 3 4-10، فعلى الأب كشف عيوبها كلها خشية أن يجلب على نفسه اللعنة التي تنزل على ذاك الذي يجعل الأعمى يتعثر (الآية الثامنة عشرة من الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية، والآية الرابعة عشرة من الأصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين). وليس ثمة ذكر لعيوب العريس! ثم تضاف إلى ذلك عبارة مفادها أن على الأب أن لا يزوجها لمن "ليس كفؤًا لها". وليس ثمة شواهد أخرى على هذه العبارة بعينها في أي موضع آخر، وقد تقدم الكثيرون باقتراحات لتفسيرها. ولعل الأمر يتعلق بوجوب توافر شروط تشريعية (هالاخية) معينة في زوج المستقبل؛ فعلى سبيل المثال، لا يجوز أن يكون عمها أو خالها (السطر الثامن من العمود الخامس من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 5 8، أو رجلاً عمره أقل من عشرين عامًا (الأسطر من التاسع إلى الحادي عشر من العمود الأول من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 1QSa 1 9-11. وربما كان هناك اهتمام بالتكافؤ من حيث العمر والتعليم والمستوى الاجتماعي، ونتذكر العبارة الواردة في سفر طوبيا حول ملاءمة سارة كزوجة لطوبيا: "هي قُسمت لك قبل أن يُخلق العالم" (الآية الثامنة

عشرة من الأصحاح السادس من سفر طوبيا)، لكن قد يكون هذا تعبيرًا عاطفيًا جدًا عن عبارة "كفؤًا لها"*.

ويواصل المقطع بالقول إن: الرجل لا يجوز له الزواج من امرأة مارست الجنس قبل الزواج، سواء كانت فتاة صغيرة "في بيت أبيها" أو أرملة بعد أن توفي زوجها عنها. وإذا ما كان هناك شك في عذرية الفتاة "فلا يأخذنها رجل، إلا بعد أن تفحصها امرأة موثوق بها، أُختيرت بأمر من المراقب". وهذا تفسير دقيق للتشريعات الواردة في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية؛ ففي سياق ذلك النص التوراتي، إذا ما اتهم الزوج عروسه ليلة الزفاف بأنها لم تكن عذراء، وثبتت التهمة، وجب قتلها. وتفسير التشريع هنا يمنع هذا الاحتمال (إذ يُقضى بشأن العذرية قبل الزفاف)، وهو بذلك يحمي المرأة من عقوبة الموت. ونلاحظ هنا افتراض وجود نساء يمتلكن الخبرة للبت في أمر العذرية البدنية، وهن، إلى ذلك، يتمتعن بقبول من الجماعة كنساء "ثقات" (المصطلح المستخدم هنا هو ذاته المستخدم لوصف الشهود من الذكور الذين تقبل شهادتهم، وذلك في السطر الثالث والعشرين من العمود التاسع من "وثيقة دمشق القاهرية" CD 9 23).

المنزلة والوضع الاجتماعي

من الواضح في المقاطع التي قرأناها، حضور النساء في الجماعة. لكن هل كان بإمكانهن اختيار الانضمام لهذه الطائفة بشكل فردي، وأن يقمن بطقوس التكريس نفسها، وأن يؤدين "أقسام (جمع قَسَم) الميثاق" نفسها كما كان يفعل الرجال، أم كن لا يدخلن في الجماعة إلا إذا ما ولدن فيها أو تزوجن رجلاً

---

* تنبغي الإشارة إلى أن "القسمة" تعبير يستخدم في الموروث الشعبي في هذا السياق تمامًا حتى الآن بمعنى "الحظ والنصيب"، وهو تفسير يخالف ما قدمته المؤلفة هنا "الملاءمة" أو "الكفؤ" (المعربة).

من أعضائها؟ هل كن حقًا "عضوات" أو "عضوات تامات العضوية"؟ هل كان بمقدورهن ممارسة أية أدوار قيادية؟ هل كن متساويات مع الرجال؟ هذه الأسئلة أسئلة عصرية بالطبع (لا يرد مصطلح المساواة في المخطوطات!)، ومن العسير جدًا الإجابة عليها. لكن ثمة ما يشير إلى أنه كان للنساء وضع اجتماعي معين، بل حتى بعض المراكز القيادية.

يحتوي "قانون مجمع إسرائيل" (السطران العاشر إلى الحادي عشر من العمود الأول من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 1QSa 1 10-11 على عبارة قصيرة عن الإدلاء بالشهادة. والمثير في الأمر ليس النص نفسه وحسب، بل كذلك الكيفية التي تناوله الباحثون فيها. ويذكر النص قائمة بالأعمار المناسبة للقيام بنشاطات محددة عند تعليم الأطفال، لا سيما سن التعليم المذكور في كل من "كتاب حجو" (كتاب فريد بعض الشيء عن أحكام أو تأملات)، ومبادئ الميثاق، وسن الانتساب، وسن الزواج للرجل: "لا ينبغي له أن [يقترب] من امرأة فيعرفها بالاضطجاع معها قبل أن يتمّ عشرين عامًا من عمره، عندما يعرف [الخير] والشر" (السطر العاشر من العمود الأول من "قانون مجمع إسرائيل"، المكتشف في الكهف الأول) 1QS 1 10. (لا يقال شيء عن سن الزواج للنساء، لكنه كان على الأرجح أقل من ذلك الخاص بالرجال)[85]. ويتبع هذا مباشرة عبارة عن زوجته: "ستُقبل لتدلي بشهادة تتعلق به حول أحكام الشريعة، ولتتخذ مكاناً عند إعلان الأحكام". والكتابة على المخطوطة واضحة ومقروءة تمامًا في هذا الموضع، وليس ثمة شك في أن الكلمة الأولى هي

---

[85] ثمة مقطع يرد في وصف جوزيفوس للإسينيين، يمكن تفسيره بحيث يعني أن بمقدور الفتاة الزواج بعد أن تكون قد جاءتها ثلاث حيضات (حرب اليهود، المجلد الثاني، صفحة 161)، لكن ما هو مكتوب باليونانية في هذا الموضع غير أكيد، مما يفسح المجال لتفسيرات أخرى.

صيغة فعلية مؤنثة "ستُقبل"[86]. ومع ذلك، قرأ بعض أوائل الباحثين النص على النحو الآتي: "سيُقبل ليدلي بشهادته"، وقالوا إنه كان من المستحيل للنساء أن يدلين بشهادتهن؛ إذ أن في ذلك مخالفة للأحبار وللتقليد اليهودي، ولذا حسبوا أنه ينبغي تصحيح النص. إلا أن معظم هؤلاء الباحثين قد أقرَّ مؤخرًا بأن مثل هذا التصحيح غير جائز منهجيًا؛ إذ يتوجب علينا أن ندع النص يقول ما يقول[87]. ولا تفيد هذه العبارة قبول شهادة المرأة مطلقًا، وإنما تتحدث تحديدًا عن شهادة هي وحدها القادرة على أن تدلي بها، فهي متعلقة بالعلاقات الزوجية (وهي شهادة سمح الأحبار بها بالفعل في ظروف معينة). ولذا، فإنه يمكن أن تقبل شهادة النساء تبعًا لهذا الضابط، كما كان يفترض بالنساء أن يكن على دراية وعلم بتفاصيل التشريع الخاص بقضايا العلاقات الجنسية والطهارة.

وعلاوة على ذلك، فإنه بالإضافة إلى تلك النسوة الثقات، المشهود لهن بالمهارة في تحديد عذرية الفتاة غير المتزوجة (انظر صفحة 116 أعلاه)، فإن ثمة مجموعة أخرى من النساء كن، فيما يبدو، يحظين بتقدير خاص ضمن الجماعة، أُسمين "الأمهات"، وهو، فيما يبدو، لقب كلقب "الآباء". ويرد المصطلحان مرة واحدة في مقطع مأخوذ من قانون العقوبات: "[فإذا تذمر] من الآباء؛ فعليه الرحيل ولا ينبغي له أن يرجع [ثانية]، لكن إذا تذمر من الأمهات؛ فيجب عليه أن يكفر عن ذلك لعشرة أيام. ذلك أنه ليس للأمهات "ر و ق م هـ" (؟) ضمن الـ[جماعة]" (السطران الثالث عشر إلى الرابع عشر من العمود الأول، من الجذاذة السابعة، من المخطوطة رقم 270، المكتشفة في الكهف الرابع) 4Q270 7 i 13-14. ونجد هنا إساءة للآباء في موازاة إساءة للأمهات، وثمة تباين كبير في شدة العقوبة؛ فطرد

---

[86] يمكن أن نترجم هذا باستخدام البناء للمعلوم "ستَقبل أن تدلي بشهادتها" عوضًا عن البناء للمجهول "ستُقبل لتدلي بشهادتها".

[87] حتى النسخة الأحدث من كتاب جيزا فيرمش: *The Complete Dead Sea Scrolls in English* أبقت على الترجمة باستخدام صيغة المذكر: "وبعدئذ، سيُقبل عندما يستدعى للشهادة ... ".

لأولئك الذين يتذمرون من الآباء، وعقوبة لمدة عشرة أيام (على الأرجح تقليل كمية الطعام) لأولئك الذين يتذمرون من الأمهات. ولسوء الحظ، فإن العبارة الأخيرة من المقطع لم تفسر إلى الآن بأسلوب مقنع؛ فنحن لا نعرف معنى "ر و ق م هـ"، وهي تشير في بعض السياقات إلى قماش مزركش وملون، وربما تعني، في هذا السياق، شيئاً ما مثل "سلطة" أو "وضع اجتماعي".

التبتل

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن النصوص تشير إلى النساء غالبًا ضمن سياقات معينة، كالزواج، والعلاقات الجنسية، وإنجاب الأطفال، فيمكن أن نتساءل إن كان ثمة نص يذكر أن النساء قد يخترن البقاء دون زواج. وبالتأكيد يمكن كذلك التساؤل إن كان التبتل خيارًا ممكناً للرجال. لاحظوا التحول: في الأيام الأولى من الدراسات حول قمران كان السؤال يطرح على النحو الآتي: "هل كان ثمة من هو متزوج في هذه الجماعة؟"، أما الآن فالسؤال هو: "هل كان أي من أعضاء الجماعة غير متزوج؟"

وليس ثمة مقطع يناقش التبتل بوضوح، ولا الكيفية التي ينبغي أن تفسر بها وصية التوراة "أثمروا وأكثروا" (الآية الثامنة والعشرون من الأصحاح الأول من سفر التكوين)، أو فيما إذا كان الأمر ينطبق على النساء بالإضافة إلى الرجال أم لا. وهناك مقطع معقد وغير مترابط، فيما يبدو، في "وثيقة دمشق" (السطر الحادي عشر وما يليه من العمود السادس، والسطر التاسع من العمود السابع من "وثيقة دمشق القاهرية") CD 6 11-, 7 9، يمكن أن يفهم كإشارة إلى انقسام بين الأعضاء. وبحسب هذه الأسطر، ثمة مجموعة "ستسير وفق مبادئ القداسة التامة، ووفق تعاليم الإله كلها"، وهؤلاء سيثابون على زهدهم، لأن "ميثاق الإله سيكون ضماناً ليعيشوا آلاف الأجيال". ويُقدَّم للحديث عن مجموعة أخرى باستخدام صيغة "لكن إذا" إظهارًا للتباين بينها وبين الجماعة الأولى: "لكن إذا عاشوا في المخيمات وفقًا لقانون الأرض؛ يتزوجون وينجبون الأطفال ...". والمقطع

بكامله مكتوب من وجهة نظر الرجال، لكن هذا لا يمنع وجود انقسام مماثل لدى النساء: "أولاء اللواتي يسرن وفقًا لهذه الأمور في قداسة تامة"؛ أي في تبتل، والنساء اللواتي يتزوجن. وفي حين كانت هناك حاجة إلى الحديث صراحة ، في كثير من الأحيان، عن الضوابط المتعلقة بالمتزوجين، لم يكن ثمة الكثير ليقال عن أولئك النسوة (ربما كان عددهن قليلاً) اللواتي لم يكن معنيات بالزواج والإنجاب، ولهذا فقد أُهمل ذكرهن، وكأنهن لم يكن.

الشواهد الأثرية

ذكرنا سابقًا كيف أن الباحثين التفتوا منذ الخمسينات من دراسة النصوص إلى دراسة الخرائب في موقع خربة قمران، والمقابر القريبة منه، في محاولة للحصول على معلومات إضافية عن قاطني الموقع، لا سيما النساء. وينبغي الانتباه إلى أننا نتحدث في هذا الموضع عن موقع قمران تحديدًا، وليس عن جماعات أخرى، كتلك التي عاشت في "مخيمات" و"بلدات وقرى"، والتي لم تخلف أية آثار مادية.

وعندما بدأ التنقيب في الخرائب، أظهر الحجم الكبير لقاعة الاجتماع أو الطعام (ما يقرب من مائة متر مربع)، وأوعية الحساء السبعمائة المكتشفة في حجرة المؤن، وخلو الموقع من مساكن صغيرة وعديدة، أن قاطني الموقع عاشوا أسلوب حياة تشاركية، بدلاً من وحدات عائلية مستقلة. وحديثاً جدًا، طرح تساؤل حول إمكانية أخذ اللقى الأثرية الأخرى بعين الاعتبار، لا سيما تلك الأشياء الصغيرة المرتبطة بالنساء تحديدًا، مثل: الخرز والأقراط والمرايا والجواهر وفلكات المغزل[88]. فعلى سبيل المثال، ثمة، على الأقل، فلكة مغزل واحدة، وربما ثلاثة،

---

[88] انظر على وجه الخصوص النقاش لدى جون تايلور Joan Taylor، في مقالتها:

مدرجة في قوائم اللقى الأثرية من قمران وعين فشخة؛ وتعتمد أهميتها على النقاش الكبير الجاري بين الآثاريين والأنثروبولوجيين عن ما إذا كان الغزل حرفة خاصة بالنساء في العصور القديمة. وفي الوقت الحاضر، لا تمكن الإجابة إلا على عدد قليل من مثل هذه الأسئلة المتعلقة بـ"علم الآثار المرتبط بالذكورة والأنوثة"؛ فمعظم المواد الأثرية الصغيرة لم تنشر بعد.

وثمة أهمية خاصة في هذا النقاش للمقبرة الكبيرة التي تضم نحو ألف ومائتي قبر، والتي تبعد نحو ثلاثين إلى أربعين مترًا إلى الشرق من القرية، بالإضافة إلى المقبرتين الصغيرتين إلى الشمال والجنوب. وكان التقليد المتبع في فترة يهودية الهيكل الثاني، على الأقل بين الأثرياء، الدفن في مدفن عائلي، إذ كان يعاد جمع عظام الميت (فيما يسمى بالدفن الثانوي) في مِعظمة (صندوق مصنوع من الحجر الجيري، ينقش عليه في بعض الأحيان اسم الميت)*. أما في قمران فقد كان الأمر مختلفًا؛ فالموتى كانوا يدفنون في قبور حفرت في تربة جيرية، بعمق مترين تقريبًا، ويدفن في القبر، عادة، جثمان واحد. وحفر في قعر كل قبر تجويف على امتداد طول الحفرة، يوضع فيه الميت، وكان يحكم إغلاقه ببلاطات حجرية أو طوب. وبعد ذلك تملأ الحفرة بالتراب وبأكوام من الحجارة الصغيرة توضع على أحد طرفي الحفرة، ويوضع حجر كبير على الطرف الآخر. وكانت معظم القبور باتجاه شمالي – جنوبي؛ ويبدو أن الميت كان يدفن على

The Cemeteries of Khirbet Qumran and Women's Presence at the Site, *DSD* 6 (1999), 317-321.

* الحديث هنا عن تقليد كان متبعًا عند اليهود في فترة الهيكل الثاني، في المدافن العائلية، ويكون بإخراج عظام ميت من القبر، وتجميعها على شكل كومة، لتوضع الجمجمة فوقها، ثم تحفظ في صندوق من الحجر الجيري، يوضع في تجويف داخل المدفن نفسه. وفي أحيان أخرى، لم تكن العظام تحفظ في صندوق، بل كانت توضع على شكل كومة في تجاويف المدفن أو على نضده (المعربة).

هذا النحو، ليكون مستعدًا للبعث باتجاه الشمال؛ وهو موضع الفردوس بحسب مقاطع معينة من سفر "إخنوخ".

وقد استكشف رولان دوفو ثلاثة وأربعين قبرًا تقريبًا (نقل عن أحد مساعديه القول إن رولان دوفو توقف بعد ذلك لأن القبور بدت متشابهة ومملة جدًا). وعد رولان دوفو خمسة أو ستة هياكل عظمية من هذه القبور هياكل عظمية أنثوية، ولا يتضح البتة، في كثير من الأحيان، كيف أجري، ومن أجرى هذا التحديد لجنس الميت، ذكرًا كان أم أنثى. وفيما يخص تنظيم المقبرة، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه (الصفحتان 101-102)، خرج دوفو بنتيجة مفادها أنه في الجزء الأوسط من المقبرة، حيث كانت القبور ذات نسق واحد، عثر على هياكل عظمية ذكورية فقط. وعثر على هيكل عظمي أنثوي واحد T7 في هذه المنطقة، وقال دوفو إنه كان في موقع مغاير للنسق العام، وذا نمط يختلف عن باقي القبور. وعثر على ستة قبور أخرى لنساء (وأربعة قبور لأطفال) فيما أسماه دوفو "امتدادات" المقبرة الرئيسة، أو في المقبرتين الثانويتين.

وفي السنوات الأخيرة، ومع ازدياد الاهتمام بالنساء في مخطوطات البحر الميت، أراد عدد كبير من الآثاريين دراسة الهياكل العظمية التي اكتشفها دوفو مرة أخرى. وبُدئ بطرح السؤال الآتي: كيف يمكن التأكد من أن هذه الهياكل العظمية، وهذه فقط، كانت تعود لإناث؟ وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه ليس ثمة تقرير آثاري نهائي، فقد كان من العسير في كثير من الأحيان معرفة فيما إذا كان جنس الهياكل العظمية قد حُدد على أساس الجمجمة، أم الحوض، أم الهيكل العظمي بكامله، أم بسبب وجود خرز أو مجوهرات في القبر. لكن إلى وقت قريب جدًا، لم يكن بالإمكان البحث في مثل هذه المسائل، لأن الهياكل العظمية "ضاعت"، وباستثناء هيكل عظمي واحد قيل إنه موجود في قبو متحف

روكفلر*، لم نكن نعرف ماذا حل بالعظام التي كُشف عنها في تنقيبات دوفو. والآن، وفي السنوات القليلة الماضية، "عثر" على الهياكل العظمية؛ إذ ظهر اثنان وعشرون منها في ميونيخ، وثمانية في أحد متاحف باريس، وتسعة في القدس. وقد خضعت هذه الرفات في السنوات القليلة الماضية للفحص باستخدام طرق ومعايير أنثروبولوجية جديدة لتحديد الجنس.

وما زال ثمة جدل حول النتائج؛ إذ يعتقد معظم الآثاريين الآن أن قبور النساء والأطفال في منطقة الامتداد الجنوبي (تميز الكثير منها باحتوائه على خرز ومجوهرات) ما هي، في الحقيقة، إلا قبور لبدو معاصرين، ولذا فهي ليست ذات صلة بعملنا البتة. وفي المقبرة الرئيسة ثمة ثلاثة قبور لإناث وحسب[89]. ومهما يكن العدد الدقيق للنساء المدفونات في مقابر قمران، فإن النسبة بالتأكيد أقل بكثير مما يتوقع المرء وجوده في مقبرة عادية، مما يشير إلى شيء خارج عن المألوف بشأن هذه الجماعة التي كانت تدفن موتاها هنا.

لكن نسبة القبور التي استكشفت هي ثلاثة وأربعون قبرًا من أصل ألف ومائتين تقريبًا؛ أي أقل من أربعة في المائة من المجموع الكلي للقبور، وهذه من ناحية إحصائية نسبة صغيرة جدًا، يتعذر الخروج باستنتاجات من خلالها، بل إنها قد

---

* متحف الآثار الفلسطيني في القدس الشرقية، والذي وضعت إسرائيل يدها عليه بما فيه من مقتنيات أثرية، ومن ضمنها مخطوطات البحر الميت، بعد حرب عام 1967 (المعربة).

[89] لنقاش حديث ومنفتح انظر:

Judi Magness, Women and the Cemetery at Qumran, in *Archaeology and the Dead Sea Scrolls*, pp. 163-187.

وقد أفادت ماغنس من العمل الذي قامت به عالمة الأنثروبولوجيا الأميركية سوزان شيريدان Susan Sheridan، والتي انجزت أتم دراسة عن الهياكل العظمية جميعها، لا سيما تلك الموجودة في باريس والقدس.

تكون عديمة الدلالة تقريبًا[90]. وإلى أن تُستكشف القبور جميعها، أو على الأقل جزء ذو دلالة منها، وإلى أن تفحص محتوياتها بطريقة علمية، فليس من الممكن استخدام المقبرة كدليل مستقل على وجود النساء في موقع قمران أو غيابهن عنه.

للمستقبل

من الواضح أنه لا يزال هناك الكثير من العمل الذي ينبغي القيام به، إذ أن دراسة النساء في المخطوطات لم تكن حتى الآن جزءًا فعليًا من الأبحاث النسوية المزدهرة، والمتطورة منهجيًا، بشكل متزايد، والتي تتناول النساء في العصور الكلاسيكية القديمة، وفي العهد القديم العبري، وفي العهد الجديد، وفي يهودية الهيكل الثاني والمشنا. والأسباب وراء هذا الأمر مفهومة؛ فقلة من الباحثين في المخطوطات اهتموا بالأبحاث النسوية النقدية أو كانوا خبراء فيها، كما أن عددًا قليلاً فقط من الناشطين في الأبحاث النسوية، تجاوزت معرفتهم بالمخطوطات حدود المعرفة السطحية. ويرجع ذلك إلى المعضلات التي كانت موجودة حتى وقت قريب، والمتعلقة بالوصول إلى النصوص ونشرها، وكذلك الإحساس بأن البحث في المخطوطات هو مجال مختص جدًا، ومقصور على فئة قليلة؛ ويستحسن تركه للخبراء. بل إن كتبًا ادعت معالجتها بدقة لموضوع "المرأة اليهودية في فلسطين في الفترتين اليونانية-الرومانية" (وهو العنوان الرئيس

---

[90] لا يشمل هذا النقاش القبور العشرة التي تحتوي على تسعة هياكل عظمية، والتي استكشفها سولومون هـ. ستيكول Solomon H. Steckoll في حوالي عام 1966. ولم تنشر مادته بشكل كامل، وما تزال غير متاحة للدراسة اليوم، كما أن الادعاءات التي قال بها غير موثوقة في أكثرها.

لكتاب، والفرعي لآخر، وهما كتابان حديثان[91])، تناولت المخطوطات بأسلوب سطحي جدًا وحسب.

واليوم، تتهيأ الفرصة لإجراء دراسات تتشارك فيها تخصصات متعددة، من شأنها أن تدمج بين الرؤى والأساليب المكتسبة من الدراسات النسوية للنصوص القديمة. ويمكن لمنهجية نسوية نقدية أن تضفي على قراءتنا للمخطوطات وعيًا صريحًا بأن النصوص ذات النزعة الذكورية لا تعكس الحقيقة التاريخية كما تنعكس الصورة في المرآة. وعلى الرغم من أنه بات لدينا عدد من الفقرات من مخطوطات البحر الميت تتحدث عن النساء، إلا أننا ما نزال بعيدين عن سماع صوت النساء اللواتي عشن حياتهن وفقًا للضوابط والنظرة الكونية لهذه النصوص.

ومع ذلك، فإننا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ضآلة معرفتنا بالنساء في العصور القديمة، بشكل عام، فيمكننا أن نشعر بالامتنان؛ إذ أن اكتشاف المخطوطات أضاف مصدرًا جديدًا وغير متوقع للمعلومات عن النساء. ففي هذا المجال، كما هو الحال في مجالات أخرى، أثبتت المخطوطات أنها "اكتشاف مذهل حقًا".

---

[91] انظر كتاب ليوني ج. آرشر Léonie J. Archer، بعنوان *Her Price is Beyond Rubies: The Jewish Woman in Greco-Roman Palestine.*، وكتاب تال إيلان Tal Ilan، وهو بعنوان *Jewish Women and Greco-Roman Palestine: An Inquiry into Image and Status.*

الفصل الخامس

نظرة إلى المستقبل

لقد اكتملت وأنجزت الآن إحدى مراحل العمل على مخطوطات البحر الميت، وأصبحت المخطوطات في الوقت الحاضر (أو ستصبح في القريب العاجل*) متاحة للدراسة على شكل نشرات محققة نموذجية، وعلى شكل ترجمة إنجليزية أيضًا. وسيتواصل العمل على إجراء تحسينات، وتنقيح نصوص بعينها، وتحديد هوية بعض الجذاذات الصغيرة التي لم تقترن، حتى الآن، بأي وثيقة معروفة. وقد يكون هناك من حين لآخر توفيق جديد بين جذاذتين صغيرتين (أو على الأقل توفيق مقترح) لم يفطن المحققون إليه أو يجزموا بصحته فيما سبق. لكن العمل الفني الطويل والمضني في إعداد النشرات، لم يَعُدْ محور دراسة المخطوطات.

وربما ثمة ما له صلة بتجربة "بلوغ سن الخمسين" يحرك الهمم لتجميع وتعزيز ما قد أنجز. ومثل هذا التعزيز ظهر على نحو ملموس في عدد كبير من الكتيبات، والكتب التعليمية، والدراسات العامة، التي كتبت في السنوات العشر الأخيرة[92]، وخاصة في "موسوعة مخطوطات البحر الميت" التي صدرت في عام 2000 في مجلدين[93]. ومنذ ذلك الحين، كان هناك وابل من مشاريع جديدة؛

---

* اكتمل في مطلع عام 2009 نشر مخطوطات البحر الميت جميعها (المعربة).

[92] انظر القائمة في الحاشية رقم 1، في صفحة ل ؟.

[93] لورنس هـ. شيفمان، وجيمس سي. فاندركام هما المحرران الرئيسان لهذا العمل التعزيزي، بالاشتراك مع المحررين الآتية أسماؤهم: (جورج ج. بروك، وجون ج. كولنز، وفلورنتينو غارسيا

ومجموعة كبيرة منوعة من السلاسل، تضم كل منها عدة مجلدات، بعضها شرع في إعدادها فعلاً، بينما لا يزال عدد منها في طور الخطط الأولية، وبعضها بدئ بتنفيذه. ومنها ما وضع ليناسب جمهورًا عامًا، لكن أغلبها يستهدف، على وجه الخصوص، طلبة المرحلة الجامعية الأولى، وكذلك أولئك الذين تجاوزوا الحقائق الأولية المتعلقة بالمخطوطات، وباتوا قادرين على استكشاف مواضيع أو صنوف معينة من النصوص بتعمق[94]. وثمة مشاريع أخرى موجهة لذوي الاختصاص والباحثين، مثل إنتاج فهرس أبجدي كامل لسياقات المفردات العبرية والآرامية

مارتينيز، وآيلين م. شولر، وإيمانويل طوف، ويوجين أولريش) بالإضافة إلى أكثر من مائة وخمسين مشاركًا آخر.

[94] بإمكان القراء الذين يبحثون عن دراسات إضافية وأكثر اختصاصًا، لكنها مع ذلك في متناول اليد، الالتفات إلى السلسلة التالية، وهي حاليًا في طور الإعداد، وقد حررها جورج ج. بروك بعنوان: *Literature of the Dead Sea Scrolls*، وتصدر عن دار النشر Routledge.

نشرت إلى الآن ثلاثة مجلدات من هذه السلسلة، وهي:

- Daniel J. Harrington, *Wisdom Texts from Qumran.*
- John J. Collins, *Apocalypticism in The Dead Sea Scrolls.*
- James C. VanderKam, *Calendars in the Dead Sea Scrolls.*

كما حرر فيليب ديفيس Philip Davies السلسلة الموسومة بالعنوان: *Companion to the Qumran Scrolls*، من دار النشر Continuum.

في المطبعة الآن ستة مجلدات، وهي:

- Timothy Lim, *Pesharim.*
- Hannah Harrington, *The Purity Texts.*
- Jonathan Campbell, *The Exegetical Texts.*
- Jean Duharme, *The War Texts.*
- Charlotte Hempel, *The Damascus Texts.*
- Sidnie White Crawford, *The Temple Scroll and Related Texts.*

بالإضافة إلى السلسلة الموسومة بالعنوان: *Commentaries on the Dead Sea Scrolls*، والتي حررها مارتن ج. أبيغ، وبيتر و. فلنت، من دار النشر Eerdmans، نشر منها في الوقت الحاضر مجلد واحد، وهو من تأليف جيمس ر. دافيلا، ويحمل العنوان *Liturgical Works.*

الواردة في المخطوطات (في صورتين ورقية وإلكترونية)[95]. وفي نهاية المطاف، ستكون ثمة شروحات محققة علمية وافية على وثائق قمران الأساسية في سلسلة "هيرمنايا"* العالمية للتفسير، وستكون تلك المرة الأولى التي تدرج فيها المخطوطات ضمن سلسلة رئيسة مختصة بالشروح التوراتية كهذه[96]. ونحن بالطبع بانتظار نشر الباحثين في المدرسة الفرنسية التوراتية والآثارية في القدس للمجلدات الآثارية الإضافية، والتي ستزودنا بتقرير آثاري كامل عن التنقيبات التي جرت في الخمسينات، وعن اللقى الأثرية جميعها (الفخار والزجاج والمعادن والمسكوكات)، بما يتفق والمعايير المعتمدة في الدراسات الميدانية في الوقت الحاضر.

ولا يعني المضي قدمًا باتجاه المرحلة التالية من دراسة المخطوطات، هجر المناهج والأساليب التقليدية؛ إذ لا يزال هناك الكثير من العمل الأساسي الذي ينبغي القيام به، فبعض المخطوطات الصغيرة لم تدرس بأي عمق أو تفصيل يذكر، إلا على يد المحققين الذين أعدوها للنشر في سلسلة *DJD*، ومهما كان هذا العمل الأولي متقناً، فإن عينًا فاحصة أخرى، ومجموعة أخرى من الأسئلة، يمكن أن تأتي بفائدة إضافية. وهذا ينطبق أيضًا على المنشورات التي أنجزت في مرحلة مبكرة جدًا، ومنها على سبيل المثال، المجلد الأول من المجلدات التي تناولت المخطوطات المكتشفة في الكهف الرابع، والتي أتاحها جون أليغرو سريعًا للجمهور المترقب بحلول عام 1966، والذي يتطلب إعادة نشر بحرص شديد، في

---

[95] وضعه كل من مارتن ج. أبيغ، وجيمس باولي James Bowley، وإدوارد كوك، بالتشاور مع إيمانويل طوف، وقد وسم العمل بالعنوان:

The Dead Sea Scrolls Concordance: The Non-Biblical Texts from Qumran.

* سلسلة مختصة بالشروح النقدية والتاريخية على الكتاب المقدس (المعربة).

[96] العمل جار على نشر عدد من المجلدات عن نصوص من مخطوطات البحر الميت، لكن لم تصدر دار النشر Fortress Press أيًا منها بعد.

ضوء ما تعلمناه في أربعين السنة الماضية[97]. والأهم من ذلك كله، يتعين علينا العودة إلى "المخطوطات الكبيرة" الرئيسة المكتشفة في الكهف الأول، والتي أثرت تأثيرًا كبيرًا في صياغة فهمنا لمخطوطات البحر الميت، ودراستها في ضوء النسخ المتعددة والمتباينة التي باتت في حوزتنا الآن من الكهوف الأخرى جميعها. ومن الجلي أن كل نص من هذه النصوص الأساسية، مثل "قانون الجماعة"، و"مخطوطة مزامير الشكر"، و"مخطوطة الحرب"، هو وثيقة أعقد بكثير مما افترض بداية الأمر، كما أنها (أي النصوص) مرت بعمليات معقدة من التحرير والتنقيح. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الباحثين عملوا لمئات السنين على دراسة بنية الأناجيل المسيحية الأربعة، وتحديد العلاقة فيما بينها، فلا عجب أننا ما زلنا بعد مرور خمسين عامًا لا نملك إجابات لأسئلة أساسية تتعلق ببنية وتاريخ تحرير الوثائق الأساسية للمجتمع الإسيني!

وفي ضوء هذه الدراسة الإضافية لكل من النصوص الرئيسة والوثائق الأصغر، سيمكننا الرجوع مرة أخرى إلى بعض الأسئلة الأساسية التي واجهت الجيل الأول من الباحثين، مثل: ما هو الأنموذج الخاص بعلم الاجتماع الذي ينبغي استخدامه لوصف المجتمع الذي أنتج المخطوطات: هل هي طائفة؟ أم تنظيم طوعي؟ وهل يفترض أن نعد مؤلفي المخطوطات هم الإسينيين المذكورين عند فيلو وجوزيفوس وبليني؟ وهل نعرف الآن المزيد عن هوية معلم الحق؟ وما علاقة هؤلاء الناس بالجماعات اليهودية الأخرى: الفريسيون؟ الهيكل؟ "حركة المسيح"؟ الكنيسة المبكرة في القدس؟ فبعد خمسين عامًا ما تزال هذه أسئلة حقيقية، ولم يُنطق حتى الآن بالكلمة الفصل في أي منها.

---

[97] يعمل حاليًا جورج ج. بروك، وموشيه بيرنشتاين Moshe Bernstein على إعادة نشر المجلد الخامس من سلسلة *DJD*، والذي كان أعده جون أليغرو.

لكن وبعد نصف قرن*[1]، تحمّل فيه علماء النصوص وفقه اللغة والتاريخ جلّ العبء؛ حان الوقت الآن لاجتذاب باحثين آخرين وموارد أخرى لدراسة المخطوطات. فمن ناحية، هناك الكثير مما يمكن "لعلماء الطبيعة" الذين يعملون في تخصصات مختلفة ومعقدة مثل: مسارع مقياس الأطياف الكمي AMS، وعلم النبات الآثاري Archeobotany، وتحليل الحمض النووي DNA، والتحليل بالتنشيط النيوتروني المستحث INAA أن يساهموا فيه؛ ومنها المسائل المتعلقة بالتأريخ والتحضير التقني لجلود الحيوانات، وتحديد مصدر الطين المستخدم في صنع الفخار، وما إلى ذلك. وبالإضافة إلى ذلك، أثبتت التطورات الحديثة في التصوير الفوتوغرافي والإلكتروني قدرتها على تمكيننا من قراءة بعض الحروف والكلمات والأسطر، على الأقل، والتي كانت في السابق مبهمة بالكامل، وإلى الآن، أعيدت دراسة عدد قليل فقط من المخطوطات باستخدام هذه التقنية. ولا يقل إثارة عن ذلك ما يمكن للباحثين المدربين في مناهج ومجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة المساهمة به. ولأن المخطوطات متاحة الآن؛ فقد أصبح بالامكان قراءتها من قبل علماء الاجتماع المختصين بالجماعات الاستثنائية، والمختصين بالنقد الأدبي بأسلوب المدرسة الباختينية*[2]، وأولئك المهتمين بمسائل البيان والبلاغة، والمختصين بنظريات التواصل، والمختصين بدراسة الشعائر. وستنجم عن الاعتماد على تخصصات واسعة ومتنوعة قراءة للمخطوطات بطرق أخرى، ستثير أسئلة جديدة، وأكاد أجزم أنها ستثير أيضًا قضايا ومشاكل جديدة للدراسة.

وأود في الختام أن أعيد إلى الأذهان كلمات أحد أهم الشخصيات من الجيل الأول، وهو الأب رولان دوفو الذي شارك بشكل مكثف في نشر المخطوطات،

---

*[1] في الأصل عقد والصحيح ما أثبت هنا (المعربة).

*[2] نسبة إلى ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin، وهو فيلسوف ولغوي ومنظّر أدبي روسي، درس فقه اللغة، وتخرج عام 1918، عمل في سلك التعليم، وأسس "حلقة باختين" النقدية (المعربة).

وكذلك في الدراسة الآثارية، في تلك السنوات الأولى، فكثيرًا ما كان دوفو يقول: "ما تعلّمته اليوم سأُعلّمه اليوم، وما أتعلّمه غدًا سأُعلّمه غدًا". ويمكن قول الشيء نفسه عن حالة البحث في مخطوطات البحر الميت في يومنا هذا؛ فقد تعلمنا الكثير من المخطوطات في السنوات الخمسين الماضية، لكن لا يزال هناك الكثير الكثير لنتعلّمه من هذا "الاكتشاف المذهل حقًا".

دراسات مختارة عن مخطوطات البحر الميت

تتضمن الصفحات الآتية المعلومات البيبلوغرافية الكاملة المتعلقة بالكتب والفصول المذكورة في حواشي الكتاب.

Martin G. Abegg, Peter W. Flint and Eugene Ulrich, 1999, *The Dead Sea Scrolls Bible: The Oldest Known Bible Translated for the First Time into English*, San Francisco: Harper.

Martin G. Abegg with James Bowley and Edward Cook, 2003, *The Dead Sea Scrolls Concordance: Volume One, The Non-Biblical Texts from Qumran*, Parts One and Two, Leiden: Brill.

Léonie R. Archer, 1989, *Her Price Is Beyond Rubies: The Jewish Woman in Greco-Roman Palestine*, Sheffield: Sheffield Academic Press.

Nahman Avigad and Yigael Yadin, 1956, *A Genesis Apocryphon: A Scroll from the Wilderness of Judaea*, Jerusalem: Magnes Press and Heikhal Ha-Sefer.

Michael Baigent and Richard Leigh, 1991, *The Dead Sea Scrolls Deception*, London: Corgi Books.

Christopher Burchard, 1957, *Bibliographie zu den Handschriften von Toten Meer*, Berlin: Alfred Töpelmann.

R. H. Charles, 1913, *The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament in English*, 2 volumes, Oxford: Oxford University Press.

James, H. Charlesworth (ed.), 1972, *John and Qumran*, London: Geoffrey Chapman.

John J. Collins, 1997, *Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls*, The Literature of the Dead Sea Scrolls Series, London: Routledge.

Frank Moore Cross, 1995, *The Ancient Library of Qumran*, rev edn (first edn, 1958), Minneapolis: Fortress Press.

Frank Moore Cross, 1965, 'The Development of the Jewish Scripts' in G. Ernest Wright (ed.), *The Bible and the Ancient Near East: Essays in Honor of William Foxwell Albright*, Garden City, NY: Doubleday, pp. 133-202.

James R. Davila, 2000, *Liturgical Works*, Eerdman's Commentaries on the Dead Sea Scrolls, Grand Rapids: Eerdmans.

Devorah Dimant, 1997, 'The Scrolls and the Study of Early Judaism' in Robert A. Kugler and Eileen M. Schuller (eds), *The Dead Sea Scrolls at Fifty: Proceedings of the 1997 Society of Biblical Literature Qumran Section Meetings*, pp. 43-60.

Robert Donceel and Pauline Donceel-Voûte, 1994, 'The Archaeology of Khirbet Qumran' in Michael O. Wise et al. (eds), *Methods of Investigation of the Dead Sea Scrolls and the Khirbet Qumran Site*, New York: New York Academy of Sciences.

Robert Eisenman, 1983, *Maccabees, Zadokites, Christians and Qumran*, Leiden: E. J. Brill

Robert Eisenman, 1986, *James the Just in the Habakkuk Pesher*, Leiden: E. J. Brill.

Daniel Falk, 1998, *Daily Sabbath and Festival Prayers in the Dead Sea Scrolls*, Leiden: Brill.

Edward D. Herbert and Emanuel Tov, 2002, *The Bible as Book: The Hebrew Bible and the Judaean Desert Discoveries*, London: The British Library and Oak Knoll Press.

Lawrence A. Hoffman, 1979, *The Canonization of the Synagogue Service*, Notre Dame: University of Notre Dame Press.

Jean-Baptiste Humbert and Alain Chambon, 1994, *Fouilles de Khirbet Qumrân et de Aïn Feshkha*, in Volume I: Album de photographies; Répetoire du fonds photographique; Synthèse des notes de chantier du Père Roland de Vaux OP. Volume II: Studies of Anthropology, Physics and Chemistry, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 2003, English edn trans. and revised by Stephen J. Pfann, 2003.

Tal Ilan, 1995, *Jewish Women and Greco-Roman Palestine: An Inquiry into Image and Status*, Tübingen: J. C. B. Mohr (Paul Siebeck).

John S. Kloppenborg, and Stephen G. Wilson (eds), 1996, *Voluntary Associations in the Graeco-Roman World*, London: Routledge.

Robert A. Kugler and Eileen Schuller (eds), 1999, *The Dead Sea Scrolls at Fifty: Proceedings of the 1997 Society of Biblical Literature Qumran Section Meetings*, Atlanta: Scholars Press.

Jodi Magness, 2002, *The Archaeology of Qumran and the Dead Sea Scrolls*, Grand Rapids: Eerdmans.

Florentino García Martínez, 1988, *The Dead Sea Scrolls Translated*, Grand Rapids: Eerdmans.

Florentino García Martínez and Eibert Tigchelaar, 1999, *The Dead Sea Scrolls Study Edition*, two volumes, Grand Rapids: Eerdmans (texts in English and Hebrew).

Florentino García Martínez and Donald W. Parry, 1996, *A Bibliography of the Finds in the Desert of Judah 1970-1995*, Leiden: E. J. Brill.

J. T. Milik, 1959, *Ten Years of Discovery in the Wilderness of Judea*, trans. John Strugnell, London: SCM Press.

J. T. Milik in collaboration with Matthew Black, 1976, *The Books of Enoch: Aramaic Fragments of Qumran Cave 4*, Oxford: Clarendon Press.

Jerome Murphy O'Connor (ed.), 1968, *Paul and Qumran: Studies in New Testament Exegesis*, London: Geoffrey Chapman.

Carol Newsom, 1985, *Songs of the Sabbath Sacrifice: A Critical Edition*. Harvard Semitic Studies, Atlanta: Scholars Press.

Carol Newsom, 1990, "Sectually Explicit" Literature from Qumran' in William Propp, Baruch Halpern and David Noel Freedman (eds), *The Hebrew Bible and Its Interpreters*, Winona Lake, IN: Eisenbrauns.

Bilhah Nitzan, 1994, *Qumran Prayer and Religious Poetry*, Leiden: Brill.

Avital Pinnick, 2001, *The Orion Center Bibliography of the Dead Sea Scrolls (1995-2000)*, Leiden: Brill.

Elisha Qimron and John Strugnell, 1985, 'An Unpublished Halakhic Letter from Qumran' in *Bilical Archaeology Today: Proceedings of the*

International Congress on Biblical Archaeology Jerusalem, April 1984, Jerusalem: Israel Exploration Society, pp. 400-7.

Chaim Rabin, 1958, *The Zadokite Documents*, Oxford: Clarendon Press.

Mar Athanasius Y. Samuel, 1966, *The Treasure of Qumran, My Story of the Dead Sea Scrolls*, Philadelphia: Westminster Press.

Lawrence H. Schiffman, 1995, *Reclaiming the Dead Sea Scrolls*, Anchor Bible Reference Library, New York: Doubleday.

Lawrence H. Schiffman and James C. VanderKam (eds), 2000, *Encyclopedia of the Dead Sea Scrolls*, 2 volumes, New York: Oxford University Press.

Lawrence H. Schiffman, Emanuel Tov and James C. VanderKam (eds), 2000, *The Dead Sea Scrolls Fifty Years After Their Discorery 1947-1997*, Jerusalem: Israel Exploration Society in cooperation with the Shrine of the Book, Israel Museum.

Eileen M. Schuller, 1986, *Non-Canonical Psalms from Qumran: A Pseudepigraphic Collection*, Harvard Semitic Studies, Atlanta: Scholars Press.

Eileen M. Schuller, 1990, 'Some Observations on Blessings of God in Texts from Qumran' in Harold W. Attridge, John J. Collins, Thomas H. Tobin (eds), *Of Scribes and Scrolls: Studies on the Hebrew Bible, Intertestamental Judaism and Christian Origins Presented to John Strugnell*, Lanham: University Press of America, pp. 133-44.

Eileen M. Schuller, 2000, 'Petitionary Prayer and the Religion of Qumran' in John J. Collins and Robert A. Kugler (eds), *Religion in the Dead Sea Scrolls*, Grand Rapids: Eerdmans, pp. 29-45.

Hershel Shanks, 1994, *Frank Moore Cross: Conversations with a Bible Scholar*, Washington: Biblical Archaeological Society.

Neil Asher Silberman, 1994, *The Hidden Scrolls: Christianity, Judaism and the War for the Dead Sea Scrolls*, New York: G.P. Putnam's Sons.

Hartmut Stegemann, 1998, *The Library of Qumran: On the Essenes, Qumran, John the Baptist and Jesus*, Grand Rapids: Eerdmans.

Krister Stendahl, 1957, *The Scrolls and the New Testament*, New York: Harper (reissued by Crossroad Press, 1992).

Eleazar L. Sukenik, 1954, *The Treasure of the Hidden Scrolls of the Hebrew University* (in Hebrew); 1955, *The Dead Sea Scrolls of the Hebrew University* (in English), Jerusalem: Magnes Press.

Carsten Peter Thiede, 1992, *The Earliest Gospel Manuscript? The Qumran Papyrus 7Q5 and its Significance for New Testament Studies*, London: Paternoster Press.

Emanuel Tov, 2002, 'The Biblical Texts from the Judean Desert - An Overview and Analysis of the Published Texts' in Edward D. Herbert and Emanuel Tov (eds), *The Bible as Book: The Hebrew Bible and the Judaean Desert Discoveries*, Leiden: Brill, pp. 139-66.

John C. Trever, 1977, *The Untold Story of Qumran*, Westwood, NJ: F. R. Revell.

Eugene Ulrich, 2001, 'The Bible in the Making: The Scriptures Found at Qumran' in Peter W. Flint (ed.), *The Bible at Qumran: Text, Shape and Interpretation*, Grand Rapids: Eerdmans, pp.51-66.

James C. VanderKam, 1994, *The Dead Sea Scrolls Today*, Grand Rapids: Eerdmans.

James C. VanderKam and Peter Flint, 2002, *The Meaning of the Dead Sea Scrolls: The Significance for Understanding the Bible, Judaism, Jesus and Christianity*, San Francisco: Harper.

Roland de Vaux, 1973, *Archaeology and the Dead Sea Scrolls*, London: Oxford University Press.

Geza Vermes, 1977, *The Dead Sea Scrolls: Qumran in Perspective*, Cleveland: Collins & World.

Geza Vermes, 1997, *The Complete Dead Sea Scrolls in English*, Harmondsworth: Penguin.

Geza Vermes, 1999, *An Introduction to the Complete Dead Sea Scrolls*, Minneapolis: Fortress.

Geza Vermes and Martin D. Goodman (eds), 1989, *The Essenes According to the Classical Sources*, Sheffield: JSOT Press.

Eric Werner, 1970, *The Sacred Bridge: Liturgical Parallels in the Synagogue and the Early Church*, New York: Schocken Books.

Edmund Wilson, 1971, *The Dead Sea Scrolls 1947-l969*, Collins, Fontana Library.

Michael O. Wise, Martin G. Abegg, Edward Cook, 1996, 2005, *The Dead Sea Scrolls: A New Translation*, San Francisco: HarperCollins.

Yigael Yadin, 1957, *The Message of the Scrolls*, New York: Simon and Shuster.

Yigael Yadin, 1983, *The Temple Scroll*, 3 volumes, Jerusalem: Israel Exploration Society.

وسائط الاتصال الإلكترونية

صور المخطوطات على الميكروفيش: توجد صور للجذاذات كلها، وصور كثيرة لمنطقة قمران على الميكروفيش، وذلك في العمل المسمى:

Emanuel Tov with Stephen J. Pfann, 1993, *The Dead Sea Scrolls on Microfiche: A Comprehensive Facsimile Edition of the Texts from the Judaean Desert*, Leiden: E. J. Brill;

وتوجد صور منها كذلك على قرص مدمج في العمل الآتي:

The Dead Sea Scrolls Electronic Reference Library from Brill (1999).

وكان جورج ج. بروك قد أصدر مجموعة الصور الخاصة بجون آليغرو:

George J. Brooke, *The Allegro Qumran Photo Collection*, Leiden: Brill, 1996.

الموقع الإلكتروني لمركز أوريون: يشتمل موقع هذا المركز التابع للجامعة العبرية في القدس على معلومات كثيرة، بعضها موجه للمختصين، ولكن في الموقع أقسام محددة مخصصة للجمهور العادي. إلى ذلك يعرف الموقع أسبوعيًا بالكتب والمقالات الصادرة حديثاً: http://orion.mscc.huji.ac.il.

معبد الكتاب، متحف إسرائيل، القدس: يقدم هذا المتحف موقعًا إلكترونيًا للقارئ العادي: http://www.imj.org.il/eng/shrine.

الفهارس

فهرس أسماء الأشخاص

فهرس أسماء الأماكن

فهرس أسفار العهد القديم

فهرس الأسفار القانونية الثانية

فهرس أسفار العهد الجديد

فهرس المواضيع

فهرس مخطوطات البحر الميت الواردة في الكتاب

رمز المخطوطة	اسمها ومحتواها
1QapGen	سفر التكوين الأبوكريفي
1QH[a]	النسخة (أ) من مخطوطة مزامير الشكر، المكتشفة في الكهف الأول
1QH[b]	النسخة (ب) من مخطوطة مزامير الشكر، المكتشفة في الكهف الأول
1QIsa[a]	النسخة (أ) من مخطوطة سفر إشعياء، المكتشفة في الكهف الأول
1QIsa[b]	النسخة (ب) من مخطوطة سفر إشعياء، المكتشفة في الكهف الأول
1QM	لفيفة الحرب، المكتشفة في الكهف الأول
1QpHab	شروح سفر حبقوق
1QS	قانون الجماعة، المكتشف في الكهف الأول
1QSa	قانون المحفل، المكتشف في الكهف الأول
1QSb	قانون المباركات، المكتشف في الكهف الأول
3Q15	المخطوطة النحاسية، المكتشفة في الكهف الثالث
4QH[a]	النسخة (أ) من مخطوطة "مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الرابع
4QH[c]	النسخة (ج) من مخطوطة "مزامير الشكر"، المكتشفة في الكهف الرابع
4QJer[a]	النسخة (أ) من مخطوطة سفر إرمياء، المكتشفة في الكهف الرابع
4QJer[b]	النسخة (ب) من مخطوطة سفر إرمياء، المكتشفة في الكهف الرابع
4QJer[c]	النسخة (ج) من مخطوطة سفر إرمياء، المكتشفة في الكهف الرابع
4QJer[d]	النسخة (د) من مخطوطة سفر إرمياء، المكتشفة في الكهف الرابع
4QMMT	مخطوطة مِقْصات مَعاسيّه هَتوراه "بعض تعاليم التوراة"، المكتشفة في الكهف الرابع
4QNum[b]	النسخة (ب) من سفر العدد، المكتشفة في الكهف الرابع
4QPs[e]	النسخة (هـ) من مخطوطة سفر المزامير، المكتشفة في الكهف الرابع
4QPs[g]	النسخة (ز) من مخطوطة سفر المزامير، المكتشفة في الكهف الرابع
4QPs[h]	النسخة (ح) من مخطوطة سفر المزامير، المكتشفة في الكهف الرابع
4QSam[a]	النسخة (أ) من مخطوطة سفر صموئيل، المكتشفة في الكهف الرابع
4QSam[b]	النسخة (ب) من مخطوطة سفر صموئيل، المكتشفة في الكهف الرابع
4Q117	المخطوطة رقم 117، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "أجزاء من سفر عزرا"

رمز المخطوطة	اسمها ومحتواها
4Q156	المخطوطة رقم 156، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "ترجوم لبعض آيات سفر اللاويين"
4Q171	المخطوطة رقم 171، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "شروحات على المزامير"
4Q173	المخطوطة رقم 173، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "شروحات على المزامير"
4Q266	المخطوطة رقم 266، المكتشفة في الكهف الرابع
4Q270	المخطوطة رقم 270، المكتشفة في الكهف الرابع
4Q271	المخطوطة رقم 271، المكتشفة في الكهف الرابع
4Q266-273	المخطوطات 266-273، المكتشفة في الكهف الرابع، نسخ وثيقة دمشق كهوف من قمران". أنظر شواهدها أعلاه، وهي منشورة في المجلد الثامن عشر من سلسلة *DJD* (1996)
4Q320	المخطوطة رقم 320، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "قائمة تقويمية لأيام تذكارية"
4Q324	المخطوطة رقم 324، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "قائمة تقويمية لأيام تذكارية"
4Q371-372	المخطوطتان 371 و372، المكتشفتان في الكهف الرابع؛ "قصة يوسف المنحولة"
4Q380	المخطوطة رقم 380، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "مزامير الملوك والأنبياء"
4Q381	المخطوطة رقم 381، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "مزامير الملوك والأنبياء"
4QMMT C = 4Q396	الجذاذة (ج) من "مِقْصات مَعاسيه هَتوراه"، "بعض تعاليم التوراة"
4Q400-407	المخطوطات من 400 إلى 407، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "أناشيد قربان السبت"
4Q415	المخطوطة رقم 415، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "إرشادات"
4Q434-438	المخطوطات من 434 إلى 438، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "مزامير "باركي نفشي"، "باركي يا نفسي الربَّ"
4Q444	المخطوطة رقم 444، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "رُقية"
4Q502	المخطوطة رقم 502، المكتشفة في الكهف الرابع؛ طقس الزواج
4Q503	المخطوطة رقم 503، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "الصلوات اليومية"
4Q504	المخطوطة رقم 504، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "كلمات الأجرام السماوية"

رمز المخطوطة	اسمها ومحتواها
4Q504-506	لمخطوطات من 504 إلى 506، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "صلوات لكل يوم من أيام الأسبوع"
4Q507-509	المخطوطات من 507 إلى 509، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "صلوات للأعياد الرئيسية"
4Q510	المخطوطة رقم 510، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "تراتيل لإرهاب وإخافة الأرواح والجن"
4Q511	المخطوطة رقم 511، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "تراتيل لإرهاب وإخافة الأرواح والجن"
4Q512	المخطوطة رقم 512، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "طقوس للطهارة"
4Q550-5754	المخطوطات من 550-575، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "نصوص آرامية"
4Q580-582	المخطوطات من 580-582، المكتشفة في الكهف الرابع؛ "نصوص آرامية"
7Q5	المخطوطة الخامسة من الكهف السابع
8Q5	المخطوطة الخامسة من الكهف الثامن؛ "ترنيمة لطرد الأرواح الشريرة"
11QapocrPs	مخطوطة المزامير المنحولة، المكتشفة في الكهف الحادي عشر
11QPs[a]	النسخة (أ) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر
11QPs[b]	النسخة (ب) من مخطوطة المزامير، المكتشفة في الكهف الحادي عشر
11QT	مخطوطة الهيكل، المكتشفة في الكهف الحادي عشر
11Q17	المخطوطة السابعة عشرة، المكتشفة في الكهف الحادي عشر؛ " أناشيد قربان السبت "
8HevXIIgr	مخطوطة الأنبياء الثانويين المكتوبة باليونانية، المكتشفة في الكهف الثامن من كهوف وادي خبرا
CD	وثيقة دمشق القاهرية

